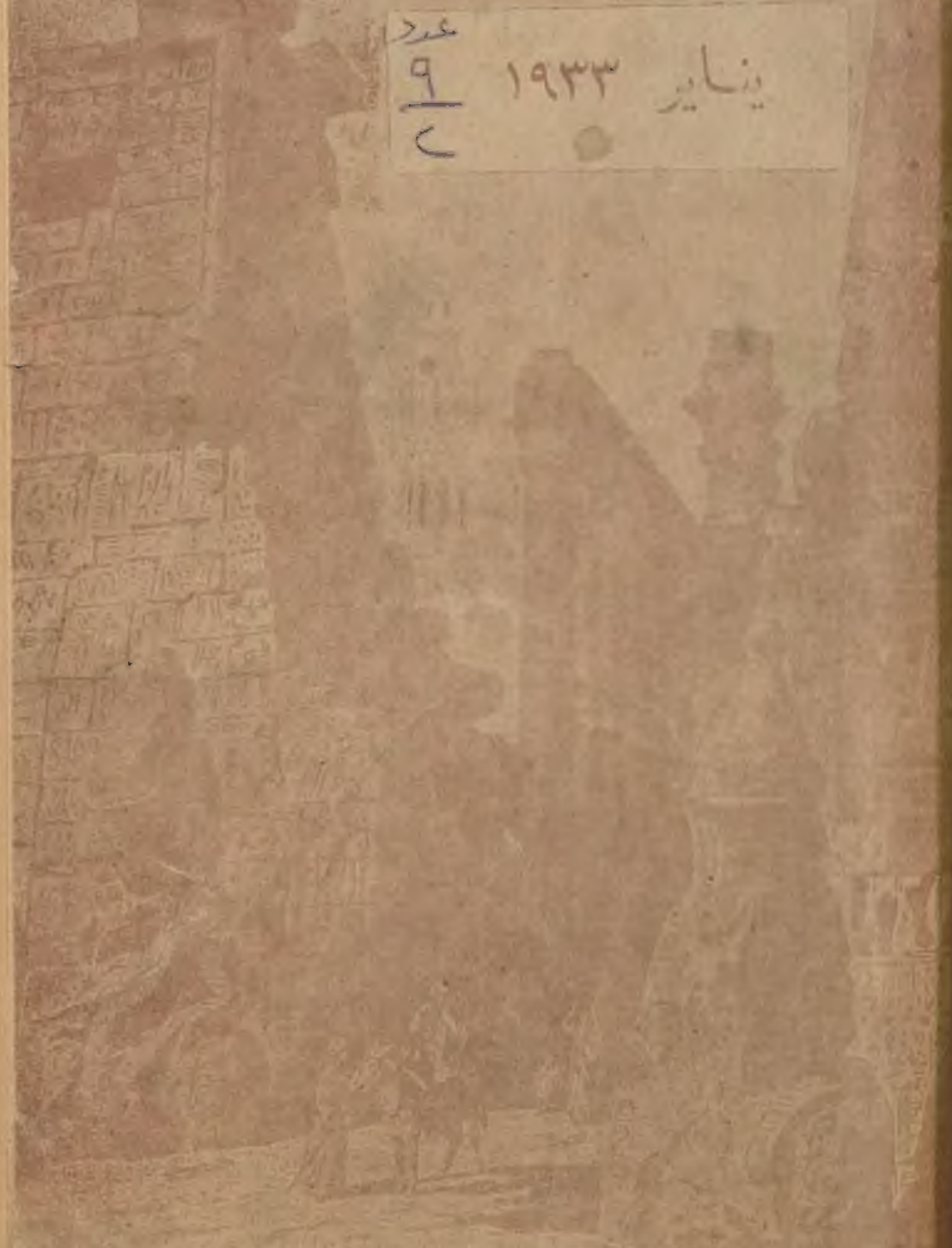


المعرفة

عدد ٩
يناير ١٩٣٣
٢





الأستاذ على الجارم
(للمناسبة رأيه عن الشعر)



الدكتور محمد بك حسين هيشن
(للمناسبة رأيه عن الشعر)



الأستاذ هرمان جرابو
(اقرأ حديثه في هذا الجزء عن مصر)

آراء في الشعر والشعراء



الأستاذ محمد المرأوي



الأستاذ أنطوني بك الجليل



الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الجزء التاسع
السنة الثانية

المعرفة

أول يناير سنة ١٩٣٣
رمضان سنة ١٣٥١

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الأسيدي

العدد ٢١

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد الرابع

عاطفة الحب

في نظر العلم والفلسفة

ضاق نطاق هذا الجزء عن نشر القسم الثاني من هذا البحث الذي بدأناه
في العدد الماضي ؛ وموعدنا العدد المقبل .

الرسالة العذراء

« الرسالة العذراء » اسم لرسالة نفيسة ، تعد إحدى ذخائر الأدب العربي النفيس ،
لابراهيم بن المدير ؛ حوت من جليل البحث ، وطريف الفكر ، ورقة الأسلوب ، وسلامة
اللفظ ، ما جعلها — بحق — كنزاً من كنوز أدبائنا العرب المغاوير .

وقد صححها وشرحها باللغة العربية ، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية ، تناول الكلام
فيها على فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث ، الأستاذ البجائي والعالم الفاضل
الدكتور زكي مبارك .

وقد بعثت إدارة « المعرفة » بهذه الهدية النفيسة إلى حضرات المشتركين (الذين سددوا
قيمة اشتراك هذه السنة) . ورجاؤنا أن يتفضل حضرات الذين لم يسددوا قيمة اشتراك
تلك السنة بتسديدها ، لنبعث بتلك الهدية إليهم .

في الشعر — عمر والشعر — شعراء

لمناسبة وفاة المرحومين « حافظ » و « شوقي »

١ - هل أمرت موت الشعراء فراغاً ؟

٢ - ما مدى مستقبل الشعر والشعراء ؟

خلف موت الشعراء العظميين - حافظ وشوقي - ما خلف من حزن وأسى ، وترك من حسرة وألم ، وأحدث ما أحدث من هوة ونفرة ، الزمن وحده كفيل ببيان نصيبهما من الحق والباطل ؛ وما أراه أنا وأنت ، ويتفق فيه زيد وعمرو ، قد لا يراه الزمن ، أو يتفق فيه حكمه ؛ فلندع ذلك إليه . وكل ما علينا الآن عمله ، إنما هو التوجه إلى البحث عن الشاعر المصري المنتظر ، تأخذ بيده ، وتتيح له فرصة البعث والظهور ، فلا توصد الباب أمامه ، أو تقف - بتعصبنا للنثر مثلاً ، أو للشعر الاغريقي مثلاً ، أو للشعر الغربي مثلاً آخر ، أو بحكم غلاتنا بالفتيديين مثلاً رابماً - سداً منيعاً دون ظهور هذا المنتظر .

وليفهم من لا يفهم : أنا نلحظ فيما ندعو إليه - من أخذ بيد شعرائنا المعروفين ، أو للثوريين - غرضاً قومياً نبيلاً ، فأما أن تهاون فيه - منذ الآن - ونحط من أقدار بعضنا بعضاً ، فذلك سياسة الهدم والتدمير ؛ وما كان لمثل تلك السياسة الغلب أو الفوز في عصور الاستقرار ، وفي بناء مجد الأوطان وسوددها .

وإن « المعرفة » لترجو ، لو تتاح لها في القريب العاجل ، فرصة استفتاء شباب الأمة ، فيمن يخلّف الشعراء ، ويحفظ لنا الزعامتين : زعامة الشعر ، وزعامة القومية ، وأعني بها زعامة مصر على الشرق ، في دولة الشعر .

والشباب وحدهم هم خير من تتوجه إليهم في هذا ؛ فما تزال قلوبهم طاهرة تقية ، لم تدنسها منافسة ، أو يعد عليها عدوان من التحيز أو الغرض .

أقول هذا بعد الذي رأيت من إجماع من قابلت - من الشعراء والكتاب والادباء ، على

اختلاف نحلهم ، وتعدد مذاهبهم - على الاحجام عن إعلائهم صريحاً فينب
يخلف الشاعرين .

وهنا نحن أولاء تقدم - في هذا الجزء - آراء بعض حضراتهم ، على أن تقدم الآراء
الأخرى في الجزء القادم إن شاء الله ؛ ومن ثم يكون المجال واسعاً أمام الشباب للتفكير في
الأمر ، في روية وحكمة وتريث .

رد الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

لست أعرف منيلاً « للمازني » الكاتب ، و« المازني » الأديب ، و« المازني » الشاعر ،
غير (برنارد شو) في تقده اللاذع ، وأسلوبه التهكمي ، وسموه على استرضاء الجماهير .
وقد أصبح بأسلوبه هذا عالماً على مدرسة النقد الحديث ، التي تتأثر أسلوبه ، وتنهج نهجه .
وليس أدل على ما ذكرنا عن أسلوبه ذاك ، من هذا الرأي الذي كتبه - في الفترة التي زرت
فيها - وهو جالس إلى مكتبه ، يستقبل زائراً ليودع زائراً آخر ، وينتهي من التحدث إلى بعض
المحررين ، ليعد مواد التحرير لمعامل المطبعة الذي لا يرحمه ، والذي يأتي إلا أن يستأثر
بجميع وقته .

هل أمريت مروت الشاعرين فراغاً ؟

أرجو أن تسمح لي ، أن أوجز في جوابي عن سؤالك اللذين تفضلت بتوجيههما إلي ؛
والإيجاز خير من الإطالة ، تقادياً من إملال القراء في مسائل لم يبق قلم إلا تناوّلها بالكلام .
أما السؤال الأول ، فجوابي عنه : أن المرحومين « حافظاً وشوقي » يمثلان مذهباً أو مدرسة
كان البارودي فاتحتهما ، وكانا هما ختامها ؛ وبموتهما انتهت هذه المدرسة ، ولم يبق منها شيء ،
يستحق الذكر ، وقد تقضى العصر الذي أمتجها قبل أن ينتقلها من هذه الدار ، فلا يمكن
في رأيي أن يقال : إن مكانهما الآن خال ، أو إنهما أحدثا فراغاً في عالم الأدب الحديث ؛
والسبب بسيط جداً ، وهو أنه لم يكن لهما مكان في هذا العصر حتى يقال إن مكانهما قد خلا ،
وإنما كان مكانهما في العصر الذي خلا ، والذي جاء العصر الحاضر على آثاره ، وكانا هما
متخلفين من ذلك العصر ، أو امتداداً منه ، كما يمتد لسان من الأرض في ماء البحر ؛ ونحن
الآن لنا : آلام ، وآمال ، ومثل ، غير التي كانت لعصرهما ؛ وفهم عصرنا للشعر وفانياته
ووسائله ، يختلف عما كان يفهم زمانهما في ذلك .

مستقبل الشعر

نسبت سؤالاً ثانياً هو مستقبل الشعر، وأنا على خلاف رأى الذى يقول : إن تقدم المدنية يقضى عليه ، وأعتقد أن الامر على النقيض ، فكلما اتسعت آفاق العقل والنفس ، كان مجال الشعر أوسع ، والشعر ليس جهلاً ، ولا هو وليد الجهل ، حتى ينمو فى ظلام التأخر والانحطاط ، ثم يبعث نوراً من مدينته فيسحقه ويغمى عليه ، ومع التقدم تفتتح العقول والنفس ، وتصبح أفطن وأدق إحساساً ، وأشد نظراً ، وأعمق غوصاً ، وأهدى طريقاً ؛ والشعر ليس ترفاً لأنه متصل بأصول الحياة ، ويعتمد من مادتها الخالدة .

وحسبى الآن هذا القدر ، وعسى أن يقنع الأستاذ الزميل صاحب « المعرفة » ومحررها بهذا الإيجاز .

رأى الأستاذ محمد الهرراوى

خلق نبيل ، ونفس رضية ، وإيمان بالمستقبل ، واطمئنان إلى الحق ، وشاعرية متوثبة . . . تلك هى أبرز ميزات الأستاذ « الهرراوى » ، وأظهر صفاته ، وأجلى ظاهرة فيه . وقد أعرف له من المواقف المشرفة ، فى حياة المرحومين حافظ وشوق ، ما لو عرفه الناس ، لا كبروه إكباراً فوق إكبار ، وبادلوه حباً فوق حب . ولست أعرف إن كان يوضع فى صف الآخذين بالجديد أم الآخذين بالقديم ؛ وإنما أترك هذا لك تتبينه من رأيه الذى سجلناه فى السطور التالية :

هل أهرت موت الشاعر فيه فراغاً ؟

أقول لك فى صراحة وصدق وإخلاص - وأنت من أعرق الناس دفاعاً عن العقيدة ، وصلابة فى الحق ، وتسلماً بالجواهر - : إن الشاعرين - على ما خلفه موتهما فى نفوسنا من حمرة وألم وحرقة ، نحر فى نفوسنا حزناً - لم يترك هذا الفراغ المزعوم ، فعاصرهما من الشعراء الجديين لا يسبحون بترك هذا الفراغ ، بما لهم من شعر حسن جيد ، لا يقل روعة وجلالا عن شعر المفقدين العظميين ، بل هو - على العكس - قد فتح طريقاً كانت مسدودة من قبل ، ومهد سبيلاً كانت موصدة من زمن ، وذلك راجع إلى ما أحاط بهما من الشهرة بفضل البيئة والوسط ، وبفضل علاقتهما بالخصميات البارزة فى مصر والشرق .

ولست أشك فى أنك تعرف أثر هذه العلاقة ، وأثر الأسماء الضخمة فى تعميم الشهرة

في نفوس طامة الناس ، وإذا تستطيع أن تعرف من هذا أنهما أحداثاً فراغاً في الشهرة ، وليس في الشعر كما يتصور بعض الناس . وهذه الشهرة هي فن آخر غير فن الشعر .

وقد آن الوقت الذي يجب أن تتضمن فيه - معاشر الشعراء والأدباء - على نحو هذه المؤثرات من أذهان الجماهير ، وإبعاد التأثير الخارجي عن الشعر والشعراء ، ليستطيع الشعر تأدية رسالته ، ويقدر الشعراء أنفسهم فيما يأخذونها به من تجويد وتصور ، وإني لأعتقد أن في نصا من شعراء العصر - بدون منافسة شخصية كما كانت الحال قديماً - على إنهاض الشعر وتجديد نواحيه ، ما يفتح لهم الباب على مصراعيه ، ليسلك كل منهم سبيله إليه .

وكل ما هو مطلوب من الأمة أن تقدر جهود المجيدين من شعرائها في الحال والمستقبل ؛ فالشاعرية تضعف وتقوى تبعاً لضعف الأمة أو قوتها : من جانبها إلى نفسها أولاً ، ومن جانبها إلى شعرائها ثانياً .

فالتضامن من ناحية الأمة في التقدير والاشادة ، ومن ناحية الشعراء في التجديد والاجادة ، هو موضع الأمل في المستقبل ، بإذن الله تعالى .

مستقبل الشعر

تسألني يا صديقي عن مستقبل الشعر ، وأنا أحس منك انتظار إجابتي بأن المستقبل في ضمير الغيب ؛ لكنني أرجو أن تسمع إلى ما أدلى به إليك :

إنني أعتقد اعتقاداً جازماً ، لا ريبه فيه ، أن مستقبل الشعر سيكون خيراً من حاضره ، كما أن حاضره خير من ماضيه ؛ وإن في هذه الحشود المتدفقة ، وفي هائيك الجماهير المثقلة على الشعر ، المتعطشة إلى تذوقه ، الراغبة في استماعه ، المتتبعة آثاره ، لدليلاً - وأني دليل - على أن الشعر سيحتل من النفوس منزلة أرفع ، وستتاح له فرص من الحياة الهنيئة الطيبة ، الملائمة يختلف الآمال ، مما لم يكن له من قبل .

وأقول لك أيضاً : إن الشعر قد استطاع في الوقت الحاضر أن يجذب إليه قلوباً كانت عنه نافرة ، وأن يقود إليه نفوساً كانت عنه جاحدة ، وهذه باكورة مباركة ، قد بدأت تؤتي ثمارها الناضجة المنتظرة في ضمير الغيب ، في الوقت المناسب ؛ وأعتقد أن تلك البوادر الموقفة برهان ساطع يبرر لي التفاؤل الحسن لمستقبل الشعر ، كما أعتقد أن تلك العوامل - مجتمعة إلى بعضها البعض - ستحفز فوجاً من الشعراء المغمورين ، وحشداً من الأدباء المطمورين ، وستدفع هؤلاء وهؤلاء جميعاً إلى الاتجا آناً ، والاجادة آناً آخر ، والتنويع تارة ، والتفنن تارة ؛ وبحكم سنن الكون وكائناته ، بل بحكم قانون الحياة ، سيأخذ الشعراء الجديون عدتهم إلى تحقيق رسالتهم ، وتأدية أمانتهم بالتجويد ، والتحقيق ، والتدقيق ، والافتنان ، والابداع في

نصور العواطف الانسانية تصويراً دقيقاً لنواحي حياة العصر والبيئة المختلفة ، وتلك هي في الواقع رسالة الشعر ومهمة الشعراء .

لهذا اعتقد أن شعراء مصر - ومصر هي صاحبة الزعامة الشعرية والأدبية - سيبتكرون ألواناً جديدة من الشعر هي نواحي الحياة المستقبلية ، بل أزعهم لك أن شعراء العصر الحاضر قد ابتكروا فعلاً تلك الألوان مما لم يكن له سابق عهد ؛ وفي شعر الأطفال ، وأهازيج الصناعات ، وأغاني البيوت ، وأبناشيد العامة ، مثل الألوان المبتكرة من الشعر العربي العف الصحيح ؛ وستكون هذه أساس الابتكارات المقبلة ؛ وهذا هو بنيان دولة الشعر الحديث الذي سيحيي فنوناً نافعة ، ويميت أخرى أصبحت غير صالحة ؛ وسيكون قوى الخيال ، عربي الأسلوب ، متى أبعد الله عنه فتنة المدينة الغربية بفضل غيرة أهل اللغة والجماع المستقبلية .

وأقول في النهاية : إنه على الرغم من العقبات القائمة في سبيل الشعر والشعراء ، فإن الفرصة ستتاح له للتعلم على هذه العقبات إن شاء الله تعالى .

رد الأستاذ انطون بك الجميل

الأستاذ أنطون الجميل رجل (جنتامان) بكل معاني الكلمة ؛ فهو مهذب اللفظ ، مهذب العبارة ، مهذب الأسلوب ؛ وقد حبت هذه الظاهرة ، تقدير المتقنين من مختلف الطبقات جميعاً ، تقدير آيبلغ الشأو . كما أناحت له ملكة فنية في النقد الأدبي العالي ، وحاسة شعرية يلمسها القارئ ، مجلوة في مجلته الأدبية التي كان يصدرها منذ عشرة أعوام تقريباً باسم « الزهور » .
قدمنا إليه بهذين السؤالين ، فاعتذر عن الإجابة عن السؤال الثاني ، مكتفياً بالإجابة عن السؤال الأول إجابة كتبها بقلمه ، هي هذه التي نأشرها بنصها :

هل أهرت صوت الشاعرين فراغاً ؟

من ينكر أن الأدب العربي قد منى هذه السنة بخسارة فادحة بموت « حافظ » ثم بموت « شوقي » ، خسارة شعرت مصر بها قبل سواها ، لأنهما أجلساها الصدر في دولة الأدب ؛ وشعرت بهما مع مصر سائر الأقطار العربية ، لأنهما كانا من مفاخر لسان العرب ؟
أما التنبؤ بمن سيخلف كلا منهما في المكان الذي تبوأه في مملكة القريض والبيان ، فليس السهل ولا بالمستطاع . فشاعر مصر ، بل شاعر العربية ، مكنون في ضمير الغيب ، قد تبرزه الحوادث في غدنا القريب .

ولا يعزبن عن البال أن ما ناله كل منهما من الشهرة ، وبعد الصيت ، قد يكون طمس عبرات كثيرة ستبرد إلى الميدان بعد أن خلا من فارسية المعامين ، كما أن ما أحرزه كلاهما

من المنزلة الرفيعة في حياته ، ومن التكريم والاشادة بذكره بعد مماته ، سيشهد القرائح والأذهان للمباراة في حلبة الشعر .

وليس من الحكمة والمنطق في شيء ، أن تندب الشعر والأدب بعد فقد ذينك الشاعرين ؛ فالوادي الذي أنجب البارودي ، وصبري ، وحافظاً ، وشوقي - ولا أذكر إلا الأموات الذين حاصرناهم - سينجب غيرهم من عباقرة الشعر وأعلام الأدب ؛ فشعل الشعر لا يطفأ نوره أبداً ، ولا ينضب زيته ، بل ينتقل دائماً من يد إلى يد ، تغذية القلوب النابضة ، والتفوس الحساسة .
وخير ما يقال - في هذا المقام - هذه الآيات لشوقي نفسه :

قديم الشعاع كشمس النهار ، جديد كمصباحها الملهب
أبوقراط مثل ابن سينا الرئس ، وهوميير مثل أبي الطيب
وكلهمو حجر في البناء ، وغرس من المنمر المعقب
أنظون الجميل

رأي الدكتور هيكل بك

أما أن « هيكل » في طليعة كتابنا المصريين ، فسأله مفروغ من بحثها على ما اعتقد ، وإنما أزعج أن جمهرة القراء لم يعرفوا - كما لم يعرف « هيكل » نفسه - أنه شاعر ، وشاعر مجيد ، وشاعر إلى حد بعيد ؛ لأنهم لم يقرأوا له قصيدة منقومة موزونة مقفاة ؛ ولأنه ينكر على نفسه الشعر ، وقول الشعر ؛ لكنني أرجو أن تتعرف إلى أسلوب الشاعر لتعرف إن كان « هيكل » شاعراً ، أم غير شاعر ؛ أما أنا فأزعم أن أسلوب الشاعر ، هو ذلك الأسلوب الذي يعبر عن مختلف الأحاسيس الانسانية ، وخلجات النفس البشرية ، وما يعترك في نفوسنا من آلام ، وآمال ، ورغبات ، وأحلام ، وحق وجمال ، في أصدق تصوير ، وأدق تعبير . وأنا أعتقد أن هذا كله قد أتيج « هيكل » الأديب ، أو « هيكل » الشاعر إن شئت الدقة في التعبير ، هو إذاً شاعر ناثر ، أو هو ناثر شاعر ، وله بعد ذلك أن يرضى بهذا ، أو لا يرضى به .
ذهبت إليه وليس لديه متسع من الوقت ، فاكثفت بالتحدث معه عن مستقبل الشعر ، هذا الحديث الذي تقدم إليك خلاصته فيما يلي :

مستقبل الشعر

قبل أن أجيب عن سؤالك هذا ، يجب أن نعرف أولاً ما هو الأدب في حقيقته ، وما هي رسالة الشعر وماهيته ، حتى إذا ما عرفنا المقدمات وربتناها ترتيباً صحيحاً ، استطعنا أن نستنتج استنتاجاً صحيحاً ، بل أكثر من هذا ، أرى أنه في تحديد معنى الأدب بصفة عامة ،

ومعنى الشعر نصفه خاصة ، ما ينتهي بنا إلى فهم الرسالة الفنية على وجه ، إذا لم يكن بالفاقد
لكمال . فلا أقل من أن يكون أقرب إلى ذلك الكمال المنشود .

عندئذ ين الأدب في عمومته ، والشعر بنوع خاص ، رسالة يقصد بها إلى بعث حب الجمال
والتقوى ، بل حب الحياة في مراحلها المتعددة ، من حب الوجود في وحداته المختلفة ، وحب
الحق في ثبته صورة من الصور ، والجمال في أي مظهر من المظاهر .

وما حسب تأدية هذه الرسالة على وجهها الصحيح يتأتى لأديب أو شاعر - بالغاً ما بلغ
كلامه من الشهرة والدعاية - ما لم تكن صادقة الأداء ، صحيحة التوجيه ، بل ما لم تكن الروح
نقية حتى تنحى إلى المثل الأعلى . حليصة من الأدراي ، مبرأة من الشهوات ، مبرهة عن
لأحقاد الشخصية . وهذا الشاعر الذي لا تتأتى له وسائل عرفان ما في الحياة من حق وجمال ،
فيمر به أن يترك رداء الشعر . قبل أن يرشح نفسه له . ويذهب في الدعاية لنفسه يمين فومه به ،
فيلبس مسوح الوفاظ زوراً وبهتاناً .

ولكن تسمى مثلنا الأعلى في شعر الشاعر ، نحب أن نتلمس أولاً مبلغ ما في شعره من
نصور اللائمة التي تتصل بموسنا ، وصف للآلام التي تستشعرها قلوبنا . وتحديد لرغبات
في نصيرم بها حوائجنا . من تسمى فيه الفكرة وهي من الشعر أساسه ، ولأسلوب وهو
نوبه ، موسيقى الخيل ، ومنه وهو ثمرته الصحيحة ، ولكي تكون حديقة الشعر جميلة يابغة
يكشف ل شاعر عما في الحياة . يجب أن يسهل من ورد الفلسفة ومن ورد العلم معاً .
لأنهم في حقيقته الوسيطان لفعاليتان لثان بهما ندرك كنه الحياة ، وتعرف إلى ما في
مدامها المتعددة ، ولأنها المتقدمة ، من حب ومن وجمال . لذلك كان لشاعر الأكثر نهلاً من
هدى وردس . أقرب إلى المنال الذي نطلبه ، وقدر على تأدية الرسالة التي تحملها إياه طبيعته .

الشاعر والعلم والفلسفة

وهذا فللذكور: قد يعترض على هذا معترض فيقول إنه ليس شرطاً في الشاعر أن
يكون متمكناً من العلم والفلسفة ، لأن الشعر عاطفة ووحى وإلهام ، وكل ما هو عاطفة ووحى
وهو إنما يعتمد على النفس الحساسة ، والشعرية المدركة ، والذوق سليم . والفطرة المطبوعة .
لا على علم أو الفلسفة . ولهذا يقال فلان شاعر بالطبيعة . وفلان شاعر بالصنعة . وما سمعنا أن المرء
يغنى عن ذكر شعر من شعراء الصنعة إبقاء على شعراء السليقة . أجمعين . فما قولك في هذا ؟
فتذكر تعودني إلى خلاف حدث في نفس هذا الموضوع ، وما يقرب منه تماماً ، وقد حدث ذلك
سروير صديقي « حليل مضران » في أوائل سنة ١٩٣٨ . وكان مناره التساؤل عما إذا كان الأدب العربي
لديه وحيدته يكفي لتكوين الأديب . وقد كان موقفي - كما تعرف - موقف المقتنع بأن لا بد للأديب
مرددة اللغات لأحسية ، والاحاطة بمراحل العلم والفلسفة . ليتسع تصوره للمثل الأعلى ، ويسمو خياله

ويتجسد فهمه للحياة . ويتراعى فقه . ولهذا كان العرب قديماً يقولون . إن الأدب هو الأمد من كل شيء ، يضرف . وكانوا لهذا يصيغون إلى عموم اللغة ، ولحنو . والصرف . والتألف . والمصاحبة . عموماً كثيرة من سير العرب وأحاديثهم وتاريخهم ومواقع بلادهم ، ومع اقتضائهم بهذا الذي ذكرت في اعتراضات . في قولك . إن مثل الأديب المنضوح الذي لا يتنفع بالعلم وانفسه . ولم يتعرف إلى أدب الأفرنج و اليونان مثلاً . مثل الشجرة المنمرة التي لا تنبع ثماراً طيباً ، ما لم يرعها صاحبها تهذيباً وتنشيطاً . ويتعهد لها ريةً وسقياً . ثم هي تؤول آخر الأمر إلى الذبول ثم إلى تسليم أنفاسها إلى الموت ، فلا يبقى فيها . إن قدر لها الماء إلا يذهب من حطب . لا تنفع إلا للوقود ؛ كذلك أرى أن مثل أديب الصفة . مثل الأرض الحدية . لا تنمو ثمرة أصح . لو قدر لها الإثمار . مهما أنققت في سبيلها من جهد ومال .

وعلى ما سبق لا يريد هذا النصف لأحد . سواء كان من الأديب أم الشاعر . وفي نريد النوع الأول - أعني المطبوع - على أن يكون في الوقت ذاته مستكلاً . وهو صنف من علم وصفه ودرأه بالآثار الأدبية في الشرق والغرب ، أي يكون قارئاً لشعراء الانجليز أو الألمان أو الفرنسيين أو الإيطاليين و اليونانيين مثلاً ، حتى يستطيع أن يحقق لنا المثال الذي تنشده نفوسنا جميعاً .

أقد تطورت الانسانية في جميع مراحلها تطوراً عموماً أقرب إلى الطفرة منه إلى التدرج وهذه المشكلات السياسية . وهذه الآراء الفلسفية . وهذه المكتشفات الحديثة . وهذه المذاهب المعينة المتعددة . هي كلها تكون واثبات عمير معاً . ولونته بانون شمس من لسان واحد كائن . وترجمه وتنميه إلى آخر . وللاصلاح والتحرير وأنه بكل هذه دافعة من بتصدى جن أرسائه الأدبية إلى تعرف هذا الكون في شمس من حبه بهد علمه حتى تعمير فيه الأرض غير المزينة . وساء غير السماء . لا سمح في وصفه ذكر لأفلا . ونسبته على الديار ، أو نشدان القافلة ، أو تطلب المرعى ، أو السعي وراء الهودج ، أو البحث عن عين الماء ، أو ما شابه ذلك من أساليب الحياة البدوية . التي أكل عليها الدهر وشرب

الومرة الموضوعية

ولما لا تريد نفوس صريحة تقول لك . إن أدبنا العربي في جميع مرجه كان ذات حوادث ، لا أكثر ولا أقل ؟

وناب إذ تحاول تعمس المعكزة فيه أو الوحيدة لموضوعية إنما تحاول عنه . ذلك أن نفس الشعر العربي بالغ انقصر . وهو على قصره فقير لمعركة . بينما رديت قصره هذا . وسويل الغرب والتشبيب . كثير المدح للأسماء واتحدث تفاحه ؛ أما المعركة الأساسية في ترتيبها في النهاية . فإداهي لا تستقر في نفوس استقرارها المنطق المعقول . وإنما تنصب

من نفس إثر تلاوتها أو سماعها في الفضاء الواسع، ذلك أن الأصل في تصديده لم يكن الفكرة،
وإن كان مجرد المطب والرمز في استعراض الممدوح لا أكثر ولا أقل
وإن عني إكثاره من تعزل، والتشبيب، والندح، والعجز، ولهاجاء، إلى غير ذلك
من صور شعرية، لم يكونوا يستطيعوا الوصف إضافة ولا حودة، ولست أعذر في هذا أو
أحد، بل لدى يقول: إن حياتهم كانت متشابهة، لأنها حياة بدوية فطرية لا تتعدى
محرم، أو مادية، وإن صلتهم بالمدينتين: الرومانية، والفارسية كانت في حكم النادر.
فإن من لا أحد هذا الرأي مطلقاً، ولا يخفى من يسمي من الاقتضاع، لأن هذا الرأي -
على حد ما قسم نصحته حدلاً - لم يكن ليضع في قدمه شعر، فمؤد شعراء السيرة، ويخون
أغانيهم بأغلال تمنعها الحركة.

وهذا من وراء نظر في تاريخ الدولة العباسية وشعرائها عجم، فرس - وقد امتد سلطان
سلاجقة، واستبدلت دولهم، وغلت كلمهم، ونسجت صغهم - تصوروا من الإغريقية، في
دعيتهم، ومن القومية في العالمية، من حدود يكشفون عن أثر من سيلة، وتصبح توسع،
وحدود حدون في الألفاظ، ويحيون ما اندرس منها، ويصيقون إليها بالبحث والاشتقاق،
وحدثت في عصورهم، وتحدث في عهودهم، ويسجلون ما وصى بينهم من أحبار لأمة
القديمة وسير الأمم المجاورة.

فإن وقد صمد، ففكر لعقول غربية، ولسمهدى في تفكير، تخلف حدود، من
بين ولغة وتاريخ، وذات أيضاً، فإن الأمر يبدو شاداً كل الشدود حين يوفق آدب لسياح
فؤاد شعراء الذين، بل لون يحدثون عن لبني وسعي ورب، باكين لأملاب ولديار،
كأن بعد نزار، حاش إلى عهد الحبل والهودج، والشعره والعزم، وصارح وجوه،
حين به ليمدو شاداً تمام الشدود، بل اتهم، لأدواقنا وعقباتنا، حين نقرر أن
فؤاد شعراء وطه لست أعرف - على التحديد - إن كان مستقبل شعر سيكون حيراً أم أسوء
من حاله وموصيه، فقد أكون أكثر إبتدأ بأن المستقبل لشعر دون شعر، كما يدل على ذلك
حاضرنا وماضينا القريب.

على أنه يوم يتاح لشعرائنا - وسميهم شعراء نساج - أن يحدود في فنون الشعر،
بطرقه، نودا جديدة تشبه تلك الألوان التي تحب، في (شيء) و (بيرون) مثلاً، بل يوم
سود نسمهم في الوصف والتحليل، والتعمق والاستقراء، والغوص وراء المعاني العالية،
ومعنى والملاحم، كما كان يفعل شعراء اليونان، ويوم نتمس في شعرهم الوحدة الفنية
نوعيه، وسمو الخيال واتساعه، وتصوير المثل الأعلى تصويراً دقيقاً،
يومئذ، ويومئذ فقط، ننادي بأن المستقبل للشعر.

رأى الأستاذ على الجارم

لو أردت أن تصور لك تلك الخواص الصافية التي تتميز بها شخصيه العالم لأديب، ولأديب العالم، والشاعر المحض، الأستاذ «الجارم»، لنال في القول، وحسى أن قول لك إنه علم ودق فنون اللغة والبلاغة والأدب، وبخانة بعيد الغور في تاريخ اللغة وما يتصل بها من نحو، وصرف، وبيان، وهو حين يزجي إليك رأياً من آرائه، إنما يحرص على أن يدفع إليك الرأي الرصين، والفكره السديده، ونقص الراجح، والمدقق المتزن، والقول الثماره، والكلام السهل المتقن، ثم هو يحرص - إلى ذلك - على أن يكون رأيه، مشعوراً بالحجة والبرهان، مقترناً بالمنطق والدليل، وقد يكون كل ما يؤخذ عليه منه - وهو لشعر لمجن، رائع لبعض، شمرى المعنى، بعيد الخيال - مقل في قول شعر، فلا يقوله إلا في أدق ساعته، لا عن عجز، وإنما سمحاً به عن الابتذال، وترفعاً عن المهارة.

فأحاطته في مرله بهذه لأسئله، فأدهشني منه أن يرسل الاحابه عنها ارتحالا، تأنيداً من كتاب فممه، أو يتوقضيه لم يشمها بعد، أو كأننا كما عني موعد سابق، وهذا تقدم ليث ما علق بدهي من هذا الحديث، الذي بدأه بقوله

هل أهدت صوت الشاعر صوته فراغاً؟

إنه لمن العصف كل امسك أن سكر زخمه فرغاً، مثلاً قد حدث في موت هذين شعري العظيمين، الذين أعادوا من حديد صلصان شعرين سابق عهد، وبسبب من رعاهته في لودي بسبباً، على أن هذا تفراج لا ينبغي أن يصرفنا خال من الأحوال، عن نفس الشاعر المجهول الذي سيصبح، أمير شعر، وإذا كان هذا الشاعر المتطهر اسمه الآن، مجهول ونمبره بالآخر (س) كما يعبر الرصاصيون، فإن المستقيم كليل بالكشف عنه والايضاء إليه.

وهذا الذي رأيناه من تحيد الأمة للشعر، بحكومة وشعباً، سيكون باعثاً قوياً على خلق الروح الشعرية الحساسة، وبعث الشاعر انسان الذي يؤدي رسالته في عزم وقوة، وفي تعديه وتجويد، وفي روعة رافقتين: بل يستطيع أن يقول لك إن هذه بظاهرة - ظاهرة التقدير الأدبي للشعر والشعراء - ستحفز الشعراء إلى الابداع في القول، والافتنان في الوصف، والتجويد في البناء، والعوس ورء الممانى الرائعة، وتلهم المثل العاليه، وكشف المعاطف الانسانية الدفينة، وتصور الخواص النفسية المصرية تصويراً دقيقاً.

وقد يكون من حقى أن اعتقد اعتقاداً تام البقين، أن الثفرة - التي منبها بها الآن بعد

موت شعري - قل انسا و صغر مدى من تلك التي أحدثها موت « البارودي » في عصره ؛
و ثبت نعم ذلك الأثر هائل الذي أحدثه موت « البارودي » في دولة الأدب و بنيان الشعر ، وقد
نعم أن الناس وقتئذ ، قد ذهبوا يتمسكون السبل في تعرف الشاعر المتقتر ، بل راحوا
يسور طيور و يتنبئون و يتدرون . فتأني الأقدار إلا أن تفاجئهم بـ « شوقي » ، ليكون
بجدار لارهاص « البارودي » ، كما كان « البارودي » إبحاراً لارهاص « الساعدي » .

فكيف نسم « شوقي » دروة هذا نجد ، فيعود إلى ما آتاه الله من المواهب الفطرية ،
و التحلل ارضيه . و نسطه لعيش ، و الحياه ، و اتصاف بالأمراء و المعظم ، و سعة الثروة . و الفراغ ،
و قدوة من كان ذلك كان سبباً . و ثنى سبب . في قصصه على صولجان الشعر حتى وفاته .
و قد كان « شوقي » مثقفاً بالغ الثقافة . متدقيقاً كل التدقيق لما يقرأ و يدرس من
شعر . و دواوين العرب . و لغة العرب . و ثب عرجة . و له المرحه . أصف إلى
ذلك ، أن حقيقه من يوارىخ الأمم . و حوادث تعلم في مختلف مراحلها . مما جعل شعره
نوعاً من أساليب زرخية . و الحكم . و صرب المنز . و نقص في اوصاف . و العرجة في التحلص .
و حسن المدخل ، و جميل الوقع .

و قد فاني أن أقول لك . إنك أمر مرده كات في أحلام « شوقي » ، هي مة
لاستلام في الحائس نعان . و الرضا نكحة . و الاطمئنان إلى قصائده . و قدره . و صمات و فرله
هدوء النفس ، و طمأنينة القلب ، و راحة الضمير .

و قد لمس هذا كله في محادثاتي معه . و من صداف له : فعرفت منه السر في هذا
سبوع فائس . الذي ناصه الله عليه . « لا قدر لشعر من شعرائنا المعاصرين هذا الذي
ركب . فليس من شك في أنه سيصبح أمير الشعر المتقتر .

مستقبل الشعر والشعراء

ونسألني رأيي في مستقبل الشعر ، إذا فاسمع :

لا شك أن الشعر سينهض بهوضاً بارزاً . و قد تأثر الآن بهوامل المدينة . و أصبح في
شبر من نواحيه صورة صادقة للعصر الذي نعيش فيه . و قد عا - سوبه إلى ما كان عليه من
روعة في عصر العباسي الزاهر . و أصبح - مرة أخرى - فله أصوله و مبادئه . و هو يقال
أن في مختلف الموضوعات ، و متعدد الأناني : و الشعراء يتوجهون إليه في عالم أحيائهم
كما يتوجه رجل انهن إلى قطعة من الفن . يبرزها رغبة في إظهار مواهبه ، و تفعيلاً عما يجيش في
فمه من صور . و يحتلج في ذهنه من خيال ؛ فهو يقول الشعر ، لأنه يحبه ، و لأنه حره من
فسه . و لأن العطرة تدفعه إلى أن يقوله ؛ و لا شك أن ذلك كفيل بالابداع و الاحسان .

قول تأثر الشعر العربي بالثقافة الأجنبية

وتقول: إن الشعر العربي قد تأثر - إلى حد بعيد - بالثقافة الأجنبية . وست نحدث فيما نذهب إليه كل المخالفة ، ولكني أقول :

إن الشعر العربي كان قليل التأثر بالثقافة الأجنبية . لأن شعر العربيين ترأسوا من حوضتي أسبوت الشعر القديم ومهجه . ولم يريدوا أن يدخروا عليه عاصفة من التحديد تذهب بآثاره . لأنهم رأوا - وما رآوه حق - أن كل من يحب أن يكون مغبوطاً يسارع لأمة . ملائمة دوقها العام . ومثل شعر في ذلك مثل موسى . ربيب لو دخل على العرب شرقه عصر من العصور الغربية . أكانت تضرب لها نوت . ثم نهش لها غسيت . فمكرها فيها . ولكن أمة دوقها . لذلك حافظ شعرها ما استعصموا على أو الشعر وأحيته . ولم يعمروا التحديد في معنى وموضوعات . وقد تسع صدر شعره في هذا التحديد . ولم تصب به ورانه ولا قوافيه . لأن تسع لمعوكه مجردها . وهو . تسع الطريق لسكن قتل . كيم صال نفسه . وتعد في مره

أبهم الوحدة الموضوعية الفنية

وهما فتله : إن أغلب قصائد شعره له أصغر خاصر حال من لوحده الفنية ، فما رأيكم في هذا ؟

وقد نشأ الشعر في الحامية الأولى من أن الخطرات النفس والحس في حصة حبه كانوا يرتجون الشعر . فكان الشاعر ينتقل من فكرة إلى أخرى . ومن مظهر من مظاهر لوحده إلى آخر . لأن أصول الشعر لم تكن واضحة . فكان شعر يشاء نحو خاص ورسالة لنديه . وتستطيع أن تشاء ذلك نعت . فلهذا . فقد نعت فيها . من وصف لأمثال إلى وصف ساقه . إلى وصف محبته . إلى تشاء . إلى وصف ملاهيه غير ذلك واستمر الشعر في صدر الاسلام . وفي عهد بني أمية على هذا لا ما يبرأ حيد في قصائد الشاعر من وصف لحياة الجديدة التي اشتمتها امتوح الاسلاميه كل من رشاقة الانفاظ ورقتها . مما تأثر فيه المصور أسلوب القرآن الكريم . إلى أن الأسلوب شعري لغتي تهذب كثيراً واتسع مجال القول قبله حديد . أما هيكل الشعر ومهجه ومنه . فقد بقيت حافظة كيانها العربي الصمم . وربما كان من أسباب هذا قرب ذلك الحين من عهود العرب الأولى . وشدة نعت الامويين للعرب والعربية . على أن يرى في ذلك لعمر طائفة . احتفظت بوحدة الموضوع في قصائدها . وهي طائفة الشعراء العربيين . كعمر بن أبي ربيعة . وجين بنينة وغيرهم . ممن كان يبنى قصيدته على الغزل من أولها إلى آخرها . بحيث تكون مظهراً لفكرة واحدة .

ولما جاءت الدولة العباسية - وقد قامت بمناصرة الفرس وجهادهم - كان للفرس والفارسية تأثير يذكر . فانتقلت الحياة العربية الصميعة من البداوة إلى الحضارة ، وامتزج العقل السامي بالعقل الآري ، ونهض الخلفاء في صدر الدولة العباسية بمناصرة العلم والآداب ، فترجموا كثيراً من آثار اليونان والرومان ؛ وكان لهذه الآثار مدى بعيد الأفق في تثقيف العقول العربية . وإمدادها بألوان جديدة من الأفكار والأحيلة ؛ وظهر هذا الأثر في الشعر العباسي من غير شك ، وكثرت معانيه ، وجددت أحيلته ، وورقت عبارته ، وكان مظهره أصححاً للحياة العباسية . يمثلها من حيث قوتها واتساع سلطانها ، وعظم ثروتها . ومجالات الأنس والسرور فيها . وقد اتسع نطاق متن اللغة بدخول كثير من الألفاظ الأعجمية بسد أن صقلها العرب عندهم ، فامتزجت بلغتهم غير مستوحشة ولا نائية . وصبحت ثروة جديدة للغة العربية ؛ وقد كان يكون التجهيد أعظم مما شاهدناه ، لولا ميل فطري في نفوس الشعراء للتمسك بآثار آلائهم . والمحافظة على مباني الشعر وقواعده ، ولولا أن كان هناك طائفة من النقاد على رأسهم : الأصمعي . وحماد الراوية . وغيرهما - الذين كانوا يتعصبون للشعر العربي القديم . ويعدون كل خروج عليه خروجاً عن ذوق الشعر ، وتقصيراً عن باوغ مداه - فكانوا لا يفصلون على شعر الجاهلي شعراً ، وكان هؤلاء من النفوذ بين كبار رجالات الآداب وزعماء الدولة الشيء الكثير . فكان الشعراء يعتمدون ترسم آثار السابقين لينالوا الزلفى عند هؤلاء النقاد .

وإول من أطلق فكره من هذه الأغلال - على ما أعرف - ابن قتيبة الذي وضع كتابه « شعر والشعراء » لتقد زيف الشعر وصححه . دون تأثر بالقديم أو الجديد .

وقد حاول « أبو نواس » الخروج على الشكل الذي في بعض قصائده ، فأخذ يهزأ بمن يكون على الأطلال ، ويندبون الرسوم في ملاحق قصائدهم ، وهو الذي يقول :

صفة الطول بلاغة القدم فاجعل حديثك في ابنة الكرم

وله ما يشبه هذا المطلع في النعي على التمسك بالقديم . ولكننا نراه في بقية شعره يحافظ على هذا المنع ، ويأخذ نفسه به أخذاً . على أن الشعر قد طهر فيه تجديد في الأوزان في هذا العصر : ولمسلم بن الوليد - وهو من وزن جديد - قوله :

يا أيها المصمود قد شئت الصدود

فأنت مستهام حالفك السهود

تبيت ساهراً قد ودعك الهجود

وفي القواد فار ليس لها خود

ولغيره - من شعراء العباسيين - أمثال لهذا ، منشورة في كتب الآداب .

وقد وجد شيء من التجديد في القافية أيضاً ، تراه واضحاً في ديوان ابن المعتز .

فالتجديد في هذا العصر حصل في الوزن والقافية كل على حدة ، ثم جاء ابتكار الموشع

الاندلسي تجمع بينهما ، فهو تجديد في الوزن ، وتجديد في القافية معاً ، والموسيقى هي التي دفعت إلى ابتكار الموشح .

الشعر والموسيقى

ومن ثم سأل الأستاذ أن يشرح لنا العلاقة بين الشعر والموسيقى ، وعما إذا كان في شعر العرب ما يوجب ملاحم اليونان ، فقال :

كان الشعر لا يسلس قياده لنغمات الموسيقى ، فرأى الأندلسيون أن يصنعوا المهرثولا ، ثم يقولوا الشعر على هواها ثانياً ، وبذلك خضع الشعر للموسيقى ، بعد أن حصفت الموسيقى للشعر طويلاً .

جبل ! إن الشعراء في هذا العصر لم يتجاوزوا الموضوعات المعروفة إلا قليلاً . فبحر نحو الشعر الخنثي أو القصصي ، الطويل القصائد ، الكثير الملاحم ، البعيد النفس . لأن الاهتمام - على ما يظهر لي - بترجمة العلوم كان فوق الاهتمام بترجمة الأدب . ولأن اتجاه شعره - في غلب مناحيه - كان للتكسب بالشعر ، على أن الشعراء في هذا العصر لم يتركوا حادثه دان شأن من غير أن يسجلوها في أشعارهم وشعر المتنبي فيأص يوصف وهأنع سيف الدولة وملاحمه ، ويكفى أن تقرأ قصيدته التي استهلها بقوله :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
لتعرف أن العرب لم يقصروا في وصف الملاحم وتصوير الواقع ، ثم أقبل بعد ذلك فصيحة أبي تمام في وصف فتح « عمورية » التي استهلها بقوله :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
تجد وصفاً ممتاً وتصويراً دقيقاً للملحمة ، نعم ، إن هذه القصائد ليست بالطوال . ولكنها على قصرها وافية بالغرض الذي سبقت له وقيلت فيه .
فنحن نستطيع الآن أن نقول : إن التجديد في الشعر العباسي كان جلياً ، ولكنه حافظ على أسلوب الشعر العربي القديم وسننه ومناجه .

تطور الشعر

ثم انتقل الشعر بعد الدولة العباسية انتقالاً آخر ، وكان لذلك تمهيد ابتداء من « المعري » أو بعد وفاته بقليل . وكان زعيم هذا الانتقال القاضي الفاضل ، فهو مؤسس الطريقة « هامة » في المتر ، وقد سلك الشعراء طريقها في الشعر ، فأصبحت العناية بالألفاظ ورحرها وزينتها متحة الشاعر وغايته . ولم يكن البحث عن المعاني وبضارة الأساليب العربية في هذا العصر ، الذي يستثير اهتمامهم . وهو نوع من التجديد رادوا أن يسلكوا به طريقه جديدة في صياغة الشعر . وقد بلغت هذه الصياغة حد كمالها في الصدر الأول من عهد المماليك ، وكان رعيم الشعراء فيها ابن نباتة في مصر ، والصفدي في الشام .

وتسألني رأيت في هذا الشعر فأقول لك : إننا لم نوفه حقه من الدرس والعناية، وإننا بهرنا
عنه الشعر العباسي فأنصرفنا إليه جملة ، ولم تأبه إلا قليلا لقراءة الشعر فيما يليه من العصور .
إن شعر عصر المماليك شعر مصري في روحه وزعمته وموضوعاته، فمن العناية القومية أن
تدرس وتجليه والنموذ منه إلى تاريخ هذا العصر، قبل أن نلغى بشعر بغداد وما وراء النهر .
ونستطيع أن نسمي هذا العصر عصر الزينة والجمال ، فقد كان الجمال متمسكا فيه كل
مس . وقد ظهر أثر ذلك في مساجد المماليك ومواكبهم ، وما كانوا يتحلون به ويحلون به
عندهم من صوف الجمال ؛ وقد كان الشعر صورة لهذا الجمال أيضاً فكاهة زخرف ، وكله
جنبه لفظية ، وكله جمال مبرقش ، تتحلى فيه حفة الروح المصرية ، وتظهر فيه النكتة البليدة
بعبارة رائعة شاذة ، تدفعك - عني الرغم منك - إلى المرح والابتهاج الايناس .
مثال ذلك قول « ابن دانيال » الذي كان طبيب عيون بالقرب من « باب الفتوح » :

يا سائلي عن حرفتي في الوري واضيقتي فيهم وإفلاسي
ما حال من درهم إتقاه يأخذه من أعين الناس ؟
وقول الجزار ، وقد كان قصاباً بالقاهرة :

كيف لا أمدح الجزار ما عشت طويلا وأهجر الآدابا
وها صارت الكلاب ترجيني وبالشعر كنت أرجو الكلابا ؟

ثم تفتقر لشعر بعد طائفة ابن نباته ، فأصبح خالياً من جمال الزينة ، خالياً من المعاني ،
واستمر به الضعف حتى نهض نهضته الحديثة ، وكانت أول صحوة له في شعر « الساعاتي » الذي
جهت فيه محات من الشعر القديم والأسلوب القديم ، وطهرت فيه مجانفة عن زخرف اللفظ
الذي لم يشفع له شفيص من حسن الذوق أو خفة الروح ، ثم جاء « البارودي » وغيره ، فلم يشق
« عدر » وكان في لحق بادرة الملك ؛ والسبب في نهوضه أنه عني بدراسة شعر السابقين من
الأمويين والعباسيين ، ولم يرض أن يقتصر على دراسة عصره ومن سبقهم من
شعراء بآمد قريب ، كما كان شأن غيره من الشعراء .

فلذلك شأن لشعر حتى « تاح الله للعربية » شوقي « شاعرها المرء ، وبلبلها الفرد ،
سئ الضحى عم زمانه ، فأبدع في فنون الشعر ومذاهبه ما شاء له الإبداع ، وجدد كثيراً في
معبه وأمانيه .

ومحل لقول أن الشعر العربي كان فيه باحة لتجديد قليلا أو كثيراً في عصوره المختلفة ،
والشعراء حافظوا - جهد طاقتهم - على بقاء هذا كله مصوناً من أن يعبث بأركانها ثابت ، أو
يسوء بنيانه . فظل طوداً شامخاً ، وبقي أثر خالد آ . تنسم منه أريج آبائنا السابقين وأجدادنا
الأولين : وراحم مفخرة مجدنا العربي ، وبناؤنا الاسلامي ، وروحنا الشرقي ، ومزاجنا القومي .
وسبقني لشعر - كما كان - ترخر بحوره بما كان للعرب من : أدب رائع ، وخيال ساحر .
ويلان أمر ، وتصوير ماهر .
عبد العزيز . . .

ذكریات وأسرار

شباب الشیطنة أو شیطنة الشباب

من حدیث فکاهی جرى

لسعادة شیخ العروبة أحمد زکی باشا

الشباب أحمد زکی افندی مترجم مجلس النظار فی عام ١٨٩٢ - رئیس الوفد المصری فی مؤتمر المستشرقین بلوسرف . بطب نعم ولا یسئ أن یخرج شکک بصیر أحمد زکی بک رئیس أعلام مجلس المصروف ١٨٩٤ م . صاحب حنیف رأی . لوفد مصری فی مؤتمر المستشرقین - أحمد زکی بک سکرتر ثانی مجلس النظار فی سنة ١٩٠٠ م . یسافر إلی الممرض العام فی باریس . یجد « کل الصيد فی خوف المرء » شیخ عروبة أحمد زکی . من منذ سنة ١٩٢٨ - فی بناء بیت لله اسکی یحسن الله له الختام بعد سنتین وستین انشاء الله .

لست أزعم أن شیخ العروبة ، وعلامة الشرق الأستاذ هـ أحمد زکی باشا نكرة فأعزّه ، أو مجهولاً من القراء فأقدمه ؛ كذلك لا أزعم أن بحوثه التاريخية الحیمة ، ودرسانه للعروبة الطریفة ، أو مراحل حیاته المموءة بجلال الأعمال ، مفتقرة إلی التسمیه علیها . أو لاشدة بها ، أو الارشاد إلیها .

وإنما أزعم لك أن « زکی باشا » الشیخ الوقور . وصاحب السن المتقدمة . واعلم الحلیل ذی الطود الشامخ فی العروبة ، والقدم الراسحة فی العربیة . كان فی باکورة شبابه فنی حرثاً بكل معانی الكلمة ؛ وكان یقضى حق الشباب . كل حقوق الشباب . إلی أتیجت له اقرمه ؛ ثم یسرح للصيد ، أبان ساقه الهوی أو الهواء . فیفوز بالقیمة كما یختار .

ولست أشك فی أنني أخطؤك - أیها القاریء العزيز - بهذا الذی أزعم مفاحاة . من ست شك أنك ستتهمنی بالمغالاة فی قولي ... لكننی أرجو أن تدریث ، وإن تعلم أن « زکی باشا » علی جلال شیخوخته . وسعة علمه ، وعظیم مكانته ، وعنی ما یحمل من تقدیس للعربیة والعروبة . إنما هو غیر « أحمد زکی افندی » رئیس مندوبی الحكومة المصریة فی مؤتمر المستشرقین الثامن المنعقد فی لوندرة عام ١٨٩٢ م . ثم فی حنیف سنة ١٨٩٤ م . وغیر « أحمد زکی بک » الذی أصدر لنا فی سنة ١٩٠٠ کتاب « الدنیا فی باریس » . ووصف فیہ معرضها العام أرجو أن تعترف ذلك ، وإلا فاستمع إلی هذه القصة الحریثة الی قصها عیننا الباشا فی أحد مجالسه الخافلة بالأصدقاء من العلماء والادباء .

ونداني كيف استطلعت استبحراج سرار شيخ العروبة في شبابه ، فاعلم إذن أن نشاطه . ومتدبرته على العمل ليلاً ونهاراً ، تجعله يعتقد أنه لا يزال في سن الفتوة ... فتراه يمس إداما احترأت عليه ، وقلت له : إنه شيخ . أو شيخ العروبة . وتراه يرضى كل الرضا ، وروح منه ضاحكة ، وينطلق وجهه بالبشر و فرح والابتسام ، إذا خاطبته بأنه فتى العروبة ... وقد استدرجته من هذه الساحة الضعيفة فيه ، إى والله ! استدرجته بلباقة حتى جملته يقول لى :

شباب وفتوة

أراك يا فتى العرب مشرد الدهن ، موزع الفكر ، مضطرب القلب ، تستشعر الخوف من الغد . انصرف من ذكر المستقبل ، وتلك سياسته لا أرضاها لك ، ولا لأمثالي من الشبيبة العربية ! نحن نريدك عدة للامة . وقوة للشعب . ولن يتحقق هذا الأمل . ما لم تلاقوا الحياة بشرب . وتقاها عواصفها فرحين بآسمن ، وتقاوموا . أعاصيرها بقلوب قوية ، وتقوس إية . وروح مشبعة بالصناء ، مؤمنة بالحق والقوة واحتمال . لا ر أممكم عليكم معدودات . و أمنياتكم في الدنيا محصورات . لم تسمع قول المعري فيلسوف الشعراء ، وشاعر الفلاسفة :

وما بعد من الخمس عشرة من صبا ولا بعد من الأربعين صباه ؟
بل لم تسمع قول صفي الدين الحلي :

حي أصبأ دين عليث . فوفه بالأس بين محاييل ورداح ؟
أحس إن الحياة لأضيق من أن تتسع لهذا التبرم أو دالك انتمت . ولهذا لا تراني أتعرف من لهم . أو نزع الأحزان تنلس إى نفسى سبيلا ، أو أترك الأوهام تتحسس من قلبي رجلا . وقد كنت ، وأنا في فجر العمر وضجوة الصبا - عى في الرابعة والعشرين - كما أنا الآن . منوأة صحة . وعافية ، وقوة ، وفتوة . وكنت - إى ذلك - ألبس للحياة ، واستهتر بالدنيا ، وأسخر من المتشاعين .

فلسفة الشباب ...

سألك : ما عهدك متفلسفاً ولا متصوفاً ، بل باحثاً متممقاً . من أين ، وإى أين ، وكيف تتحدث بهذه الفلسفة ؟ فقال :

كانت لى فى هذه البابة فلسفة طريفة . فقد كنت أفترض دائماً أن الدنيا مرحلة هائلة ، يباه سرحاء . وارفة الظلال . فلا أنظر إليها نظر أولئك الذين عجزوا عن إدراك كنهها ، ونغرف إلى مكشوفاتها . بل كنت غالط عقلى بعقلى ، فأنتزع البرهان من نفسى لاقناع نفسى

بأن الدنيا تساوى الآخرة ؛ أليس الله تعالى قد سوى بينهما ، فقال لنا على لسان محمد بن عبد الله نبيه العربي الكريم : « ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة » ؛ هكذا كان خيالي ، وهكذا كانت فلسفتي ، بل فلسفة الشباب ؛ فكنت أتهزأ لوفد وأهتبل الفرصة ، وأتملك الزمن قبل أن يتملكني بحادثاته وصروفه ... بل قبل أن نعملي أعاصير الحياة عصراً ، وتصهرني آلام الدنيا الدفينة في بوتقتها صهراً ... وهنا استوقفت الباشا ، وقلت له : إنك تشير في كتاب رحلتك إلى أوروبا « المغرب المؤتمر » إلى أشياء ستذكرها بالتفصيل في كتاب آخر وما رأيناه ، فهل وفيت بوعده ؟ فقال : إن ظروف الأحوال وأعمال الوظيفة قد حالت دون المرام .

فسألته أن يقضى إلينا بشيء من ذلك ، فقال :

حياً وكرامة ، وسأذكرها بالرغم من أنفك يا خبيث ، ولو أدى ذكرها إلى حضي من نفسي وأمام قراء مجلتك الدين أجلهم وأعتذر إليهم مقدماً .

بين لندن وباريس

والآن فلأرجع بك إلى عام ١٨٩٢ م . حيث كنت في الرابعة والعشرين من العمر في وظيفة « مترجم مجلس النظار » : أوفدتني الحكومة المصرية إلى لوندرة لحضور مؤتمر المستشرقين السابع ، ومعى المرحوم الشيخ محمد راشد إمام المعية السنية . والدكتور فولبرن ناظر الكتبخانة الخديوية . فتمرفت بأوروبا ، وبما في أوروبا . وعين في أوروبا ؛ وارتبعت من جديد من علماء المستشرقين في إيطاليا ، وفرنسا . وإنكلترا ، وإسبانيا ، والبرتغال .

وبعد ذلك بستين . أرسلتني الحكومة الخديوية على رأس الوفد المصري مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في عام ١٨٩٤ م بمدينة جنيف بسويسرة ، ومعى زميلاي في المدرسة المرحومان عمر بك لطفي وكيل مدرسة الحقوق . وأحمد شوقي بك أمير الشعراء .

فبعد أن فرغنا من المؤتمر ، ذهبنا إلى باجيكسا ، وفرنسا ، وإنجلترا . و تهرت أقرصه لامتاع النفس والقلب والفؤاد بكل ما في لندرا وباريس ، من متع ، ومسررات . وطلت أعمري (المانشر) بين العاصمتين الكبيرتين إحدى عشرة مرة ، دون أن يصيبني دوار البحر . أو ينالني منه سوء ؛ ولم يكن جل همي من تلك الرحلات ، إلا الاستراحة من العلم ، والتوسع في البحث ؛ على أنني فيما بين ذلك ، كنت لا أضن على نفسي بما تصبو إليه من انقطع إبداع كواكب الجمال ، وجمال الكواكب . في كوكبنا السيار في ذيك الفلك الدوار .

وقد كنت تعرفت أثناء ريارتي السابقة لوندرة بأصرة كريمة ، متوسطة الحال . لكنها شريفة السجايا ، شرقية الخصال . فأضافوني على الطريقة المألوفة عندهم ، في نظير جنيه انكليري واحد عن الأسبوع الكامل .

كانت ربة البيت تدعى (مسز براى) . تستقبل زوارها وزائراتها في مساء الثلاثاء من كل أسبوع . فقدمتنى في حفل جامع إلى سرب من الآنسات ، وحور من الأطباء فانتكات ، تاه بيال البيت المصرى . وثانى أبى خراش العربى ^(١) . وحرث في عروقه دماء عربية شرقية ؛ وكان لكلمة مصرى Egyptian فمرها الساحر . وسحرها الأسر ؛ فقد أوحى إلى نفوس المتسمعات وأتسمعين حشداً من الخيالات الرائعة عن قدماء المصريين . بل كانت كافية لأن تلهمهم عطشه (خوفو) ، وجلال (رمسيس الثانى) ، وأنف (كليوباترة) الذى فتح العالم نهجه فسطره شطرين ، وحول تياره الجارف من الشرق إلى الغرب ، ومن الغرب إلى الشرق ؛ بل كانت نُسّتى إلى مصر الخالدة - يا فتى الشباب - كافية لأن تلهم القوم مشاعر النفس المصرية ، وموصت به من تهم حرقاء ، أقفها تهمة الكهانة ، ومعرفة الضمير والمستقبل .

قلت آتسة من الآنسات - وقد أخذها سحر المصرى الوافد - : وإدآ فأتت مصرى يا « حبشيان » مثل « جيبس » Gyps . على معرفة تامة بعلم الكف .

فما هو لا أن ظنت في ددى هذه النغمة الناعمة . حتى أخذتني أخذ عزيز مقتدر . فأجبتها وهى وشعث : « أجل . . . أنا مصرى . ولكن معنى « Gyps » فقط » . فقالت : هذا نواضع مشكور .

ثم ددرى بأن بسطت يمينها لا للتقبيل - يا حيث ! - ولكن لقراءة (البحث) . فالتهمت ي كفى ، بسطاً وقبضاً . وتقليباً وغمزاً . وحساً وحساً . وصرت أثقل من البنات إلى راحة . ومن المصمم إلى الذراع ثم إلى المرفق وهكذا ظلت أقلب في هذه العروق السكسوية ، وأترسم ذلك الدم - الأزرق تقانى معاً - أستلهمه وأستوحيه . وأواجهه وأناجيه . دون أن تست تلك اليد البضة من مخاليج ورائي . وما كان لى من سبيل لتنام الاستمتاع بهذه النغمة التى صارت إلى يدي . سوى أن تظهر بمعرفة الخطوط ، ويعلم ماى الكفوف من خطوط ، إلى دعوى الاحاطة بعلوم الأولين والآخرين . وإعنا أردت بعد أن صارت في يدي تلك احتماة أن أكون على الأقل مثل « عراف النيامة » ^(٢) .

(١) من دىب شارة لي قول الشاعر القديم .

تسكارتت الأطباء على خراش : فا يدري خراش ما يصيد

(٢) اشارة الى قول الشاعر الآخر :

جملت لعراف النيامة حكمه
فما جملت منك الضلوع يدان
وعراف مكة ان ما شقياننى

مقالا : شفاك الله ، ما لنا

هكذا صار أحمد ركن عالمياً بالكف رغم أنه ... وللضرورة أحكام قاسية. لكه
في هذه المرة كانت لطيفة ومؤانية.

سبحان من قسم الحظ وظ، فلا عتاب ولا ملامة

قلت له : زدنا بياناً يا فتى العروبة ، أدام الله لك الصحة والقوة والفتوة . فقال :
لا أطيل عليك . فهذا شباب ! وللشباب حديث طويل ، كلما استمطلته طال . وعسى أن
أقول لك : إنني حين لامست هذه اليد، سرى في جسدي تيار كهربائي. ارتجفت له كل عصى،
واهترت منه مشاعري وأوصالي. وكان في هذا التيار نور إلى جانبه نار ...

كانت الساعة رهيبة ، وكانت المحنة شديدة . لماذا أفعل ؟ لجأت إلى حيلة وموسم
الشیطان الخناس : فكان فيها بعض الخلاص. ذلك أتى قلت لمجتمعين وانتممات : سأصدقكم
القول ، لكن لي شروطاً : أولها أن تكون الشمس بازغة ، حتى أتبهر الخط المتوى من حد
المستقيم على ضوء النور الرباني . وثانيها أن يكون حديثي مقصوراً على مقصورات العرف
وثالثها أن تريد معرفة ماضيها ... وحاضرها ... ومستقبلها ... تبدأ بدفع الآخرة
المقدسة . وهي من رمز الشمس أي اليأس ، بما لا يزيد على نصف شل من القصة
المسكوكة . أما الذهب فهو صفر العين ، ولا قيمة له عند معاشير العرافين ! ورابعها ربح
الحاضر والغائب أنى لا أعتقد هذا العلم. ولا صدقه . ونفى إننا قرأ ما راه في خطوط. كما
أنكم تقرأون كتب الجحيم ولا تصدقونهم .

فوافق الجميع . وكانت حيلة منى لكي يتسع لي لوقت للتفكير في الأمر. وتدير لمكر
وهنا أدرك « فتى العروبة » شبه الصباح . فسكت عن الكلام المباح : لكسي عاوده
واستدرجته باسم شبه الدائم ! حتى باح بنا في جمعيته من سرور الإلاح . قل :

كانت الساعة رهيبة . وكانت المحنة شديدة . وفي صباح الغد ، لم تتحلف واحدة من
أوانس الأمس وعقائله . بل زاد عدد من يسرب من الصويحبات الصباح .
وقد كنت مضيت ليلتي في الاستعداد بطريق الاستعداد. ذلك أني حصرت ما في الوجود
من ماني النفس ، ورغبات الفؤاد ، وملهمات الأحاسيس ، وآمال الانسانية في مراحلها
المتعددة . فوجدتها ، على اختلاف ألوانها . وتعدد فنونها . لا تخرج عن أمر من أمور الحب
والزواج ، أو طول الأجل وكثرة الأمل ، أو طيب الرفاهة والتهافت على طلب المال . إلى ماني
طبيعة الناس من السعي وراء السعادة والسكدر لاجتناب الشقاء ، أو صرف الهمة إلى الجاه

والعظمة ، إلى ما هنالك من سائر أنواع الطموح .

فكنت كلما تناولت كفاً ناعمة ، تجسست الببض هنا وهناك ، ثم أخذت أتوسم الوجه ، وتستشف الملامح . وأحقد النظر في الأسارير . وتستشرف ما وراء العين ، ثم ألقى بكلمة حيث كانت ، وكيفما اتفقت ، أى كما تخطر على البال من غير تفكير ولا روية . لكنها كانت عموماً خاطرة فكنت أترحمهما يلابس الأطفال من أحوال ، فإذا صادفت ارتياحاً ، انتقلت إلى ما قد يحصل عادة للفتاة في حدرها . ثم في مدرستها . ثم في مخالطاتها لأتربها فكان لي مجال مسيح في القول والتقول . وفي الكهن والتكهن .

قلت : وكيف أمنت يا أستاذ الوقوع في الخطر ؟ فقال :

من أعجب المحب أن كنت صادقة في كل تحركاتي ، موفقة في كل تكهناتي . ثم فتاة شيطانة كادت في صباها تحرق بيتها لشمعة ، بينما هي تقرأ الرواية الغرامية في جلسة من بويها ، إلى فتاة حبيبة في المدرسة . إلى أخرى خاتمتها صديقتها . إلى رابعة عبث بها صاحبها فحرقه بعد أن أفرغت له قلبها دون سى ، أخرى إلى كل ما هو عادى مألوف لكل إنسان وإنسانة . فهدد وصلها خطاب رفيق رفيق منذ أسبوع . وتلك سترقص الليلة مع فتى تهواه ويهواها فيحرق مذول دون إتمام الرواية . وهذه زوجة مات لها ولد فكدت تخوت فأتاح الله لها فرصة لتبني بصديق يخدم اللسانية بكل ما في وسعه ! إلى والدته أخرى ضحت حسانها من أجل ولدها فكان جزاؤها منه العقوق .

« هذه السيدة فيح عليها أن تشتري رايح ورفه يا نصيب من رايح بائع تراه أمام لييت رايح في شارع . بشرط أن يكون في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الأربعاء . وهكذا ومن باطيل الاختراعات . ومن احتراعات الأباطيل .

فتب : لا شك أن « فتى العروبة » أصاب حظاً طيباً من المال والجمال ؟

فتب . رحم الله تلك الأيام ! فقد كانت لي جلسات ممتعات في كل هو ووردة ، وكنت لا أفتح البحث إلا للنصايا . وكان نجاحي - في كثير الأحيان - منوطاً بالخادم ، فإنها بعد انتهاء كل جلسة كانت تتبعض ما يجتمع مما في من أوصاف الشلنات والشلات الكاملة . فكانت لها مشيخة في أن تكون لي حير معوان . نصر الله وجهها البسام !

ويظهر أن بعض الرجال حسدني على ما نالني من إعجاب الأوانس والعقائل ، فقامت مؤامراً في ذات صباح . جمعت الكواكب على أن تعرف الأسرار لكوكب آفل في شخص عجوز قد كنت الدهر وشربت عليه : حلقة شوهاء ، وعظام براء . وسحنة خرقاء ، درديس توهاء . وثؤنة عجفاء ، عينان جاحظتان . ومنحزان واسعان ، ليس إلى قاعدتهما من قرارة

ولا إلى احتمال بحر الأشداق من فرار ! فأحاطني الأسى بجبله ، وحط على الهم بكلكله ؛
لكن إبليس تراءى لي في شكل قطرة سوداء ، مرقت كالسهم الخارق . وإذا بوسوسة حينئذ
دارت في خلدي ... فقلت لجدة جداتي : « أرى أنك قتلت ولدك ، يا ستي ... » .

وإذا بتلك الثغور الباسمة تتضحلك في خبث ومرح ، وتتطارح في دلال وحفر ، وتتغامز بسخرية
وفرح . فكدت أذهل وأفشل ، وتحققت وقوعي في الخطأ والخطل ؛ لكن الكواكب لا تهرب
رئين لحالي ، فبادرن لا يسعاني بقولهن :

« في هذه المرة ، كذبتك علمك وحنانك قراءتك . أم كيف تحدثنا بأن هذه الآسة
قتلت وليدها وهي لا تزال بجحتم ربها ؟ » .

على أنني صمتت وأصررت . وتبلدت وتجلدت . وتشددت وتعمدت . إلى أن كانت
وكاذبت وألححت ...

هل رأيت الصخرة الصماء تتحول عن مكانها . مهما حاجتها الرياح . ولا ضمتها الأمواج ؛
أردت أن تنتهي من هذه الممثلة . بعد أن قد فترت بما أريد ، وبكل ما شئتني . ولعل
فرغت من تمثيل الدور الذي اندفعت إليه لحاجات في نفس يعقوب .

وإذا بالأمر غير المتوقع . وإذا بالداهية الدهماء . وإذا بالمحور الشمطاء . تقول في ضاعه وفي
سيل من الدموع ووايل من العبرات : سيدي . أنت صادق . وقراءتك حق . فقد أغوى
شياطين من شياطين الأمر . وما راحت السكره وحات السكره . حتى ظهرت للمرة مردطت
بيدي حشاشة كبدي ...

وكان منها بكاء . وكان منهم استغراب . وكان مني خجل واستحياء . إن الله خير لا تمار .

فقلت لفتى العروبة في ذلك العهد البعيد :

« لاشت أن منرتك قد علت عند القوم . بعد ذلك اليوم : فهل واصلت ستملا لموت

أم تخرجت فتراجعت ؟ فقال :

فانك الله يا حيي ! لكأني على نية التأمير على أنت وقراؤك ؟ لكن دلغني . لك قول
لك : إن الله لم ينعم بالسذاجة على الشرقيين وحده ، بل التججيل بالسكر والأبضيل
شائع دئع عند الأفرنج ، كما كان في بابل ومنف . وكما هو فاش في فارس وشمسان . وكما هو
دائع في النوبة والسودان ، وكما هو مستقر في اليمن والشم ، حتى مطلع الشمس .

فقلت : بالله حدثنا عما قد يكون حصل بعد ذلك .

فقال : إن الرجال الذين كانوا يحضرون هذه الاجتماعات ، قد أخذتهم الغيرة . فحان

حدثه ، (وكان ناظر مدرسة الهندسة ، أو من كبار سائذتها على ما أذكر) . فقال لي :
أنت مؤمن بهذا العلم ؟ فقلت : كلا ، ولكني أقرأ ما أراه مسطوراً على الكف بتأثير
الحج على الأعصاب ، من الحوادث التي تقع لصاحب الكف ، وقد توصل الأفنديون إلى هذه
النائج بطريقة الاستقراء . وأنت أنت تقرأ ديانة البراهمة والبوذيين والوثنيين ، وتفهّم معانيهم
ومراميمهم ، فهل أنت مصدق لهم ؟ !

وبهذه المحاولات ، وبذلك المحاولات ، ازداد الرجال حقداً فأغروا السيدات ؛ فأجمعن
أمرهن على أن أخالف القاعدة مرة واحدة ، فأتنازل لقراءة كف رجل واحد ، وقع عليه
اختيارهن بالإجماع .

فصدفت وتمتعت . لكنهن أصررن إصراراً . وهددنني بالصد والاعراض ، ثم تراجعن
إلى الرجاء . وأنت تعلم قول الفرنسيين : « إن ما تريده المرأة يريدك الله » فكيف بي وقد
حتمت كلمة النساء ؟ إذن ، لا مناص ولا خلاص . والأمر لله ... أمسكت بيد الرجل (وأنا
أريد أن أحققه) ثم نظرت في وجهه . وحدثتني نفسي بأن للأكابر مستعمرات لا تغرب
عنها الشمس . وأنهم مفطورون على اقتحام الأخطار . وعنى السفر في البحار ، والتنقل في
البراري . والتموغل في المهامه ، والتوقل في الجبال ، وإذا بلساني يندفع فيقول من حيث لا أشعر :
لقد سافرت يا سيدي ... وسافرت سفراً بعيداً ... ولم يكن ... سعيداً ...
ومما بدت عني وجوه الحاصلات علائم الارتياح لقولي . فتشجعت . وقلت له :
بنت لا قيت تمباً . ونحشمت مشقه ... كان سفراً بعيداً . حلات في البلد المائي محلا
رفيعاً ... حُرزت في آخر الأمر ثروة طائلة ... أوه يا عزري ... لقد كنت في الهدم ... !
ليس كذلك ... ؟ ثم غرقت السفينة ، فصاعت كل أموالك .
وهو راد القوم إيماناً وزدت تصليلاً . وقد كان ذلك من ضلال الشباب فتركني يا حبيبت .

وإنما أقسم بالله أنه لم يحصل شيء سوى حس النبض ، ولم أقع في محذور لا يرضاه الشرع .
بين كان شيطان الشباب كله فتنة ، وكاه إغراء وطيش ، دون أن يكون وراء ذلك خطيئة
ندعو إلى الاستغفار ، والله على ما أقول شهيد ؛ وهو حسبي ونعم الوكيل .

وإني هنا أمسك عن الكلام ، وعاد إلى الاتابة والاستغفار .
فأسرعت بالخروج من بين يديه ، وجلست إلى مكتبي لتسطير هذه الذكريات الطريفة قبل
أن يذهب شبحها ، أو تصيبع كلماتها . ولعل شيخ العروبة لا يفصب على فتي العروبة ، ولا
على صديقه .

أدب الاسكافي وأسلوبه اللاذع

من حديث شائق وآراء طريفة

للدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير المطبوعات الأسبق

وهكذا تتحدد المسألة ، ويتغير مجرى « الأحاديث » . وهي في جوهرها تنحصر نحو غاية واحدة ومثل واحد ، ذلك هو روح الثقافة ، وتحلية المعرفة ، وتسمية المدارك بالمعلومات الحديثة . وللمدونة الدكتور ولعم - وأنى ولعم - بعلم لتاريخ وأدبه وفلسفته ، ولعم المجموعة لنفسية تتيحتويها مكتبته في هذا الباب . تكاد تكون منقطعة النظير . . . رزقه في الأيام الأخيرة فألفيناه يقرأ كتاب « معجم الأدباء » ليقوت الرومي طبعة الأستاذ مرجليوث ، ويقرأ بصحة خاصة فذلك عن الحسن بن علي الاسكافي ، فأسمعنا قصة من أمهم الرشيق . ولأدب اللاذع . ذكرنا بأساليب كتب الغرب في هذا النوع ، ثم جربنا الحديث إلى ما في اللغة من دقائق جديدة بالإدعاء . وإن ما يجب عمله في سبيل إداعتها على نحو يستفيد منه النشر فائدة كبيرة . ويتميز منها إلى مناحي الأساليب الطلية ، وليتف منها لناطقون بالصاد على ما في لغة الآباء والأجداد من روعة وطلاوة وحلاوة .

ومن ثم استقر بنا الرأي على ضرورة وضع سلسلة رسائل صغيرة حبيبة عن كبار رحلات الأدب ، وأتممة اللغة والبيان ، وطلبة النقاد في العرب .

ثم اتفقنا إلى شئون شتى في مختلف العلوم والفنون ، وجمهرة من الآراء لعمبة الحديثة ، وحشد من مشاكلنا في الاقتصاد والمرأة والحياة .

وقد رأينا أن نرجى هذا الجزء الأخير على أن نشره في العدد القادم ، لما فيه من روعة وطلاوة وبعد نظر ، ودقة تصوير . قاصرين حديثنا الآن على أدب الاسكافي ، نغرد

قلت للدكتور :ريد أن تحصر فكرك معي في أدب الاسكافي وأسلوبه ، وإن ترك تحقيق نسبة الآن ، وأن نرجى الحديث عن مشاكل الأسرة وحياتنا الاقتصادية إلى فرصة أخرى . قال : « أنت يا صديقي ترغمي على التحدث عن الأدب إرغاماً . وأنت تعلم مشغولتي ومهمتي في إدارة قسم المحاضرات . ولست أعلم السر في قطع حديثنا عن مشاكلنا في الأسرة والاقتصاد ، سوى أنك أدب بالطبيعة ، وبعبارة أصرح ، أدب بارغم منك ، تفصل الأدب على كل شيء آخر ، وأعتمد في رأيي هذا على قول (المبروزو)

وأتت به جرد خبير؛ فلقد كتب عن المبقرية كتاباً يعتمر المرجع حتى الساعة - في هذا الموضوع الخطير . كما كتب كتاباً في الإجرامية هو الحجة في فلسفة الإجرام : فثم المحرم بالطبيعة ، والمحرم بالعادة ، والمحرم بالصدقة ، والمحرم بالبيئة ... الخ .
فعلى هذا النمط يجوز لنا أن نقول : هناك أديب بالطبيعة . وأديب بالعادة ، وأديب بالقراءة ... وهلم جرا .

فقدنا ليدكتور : نرجو أن تعود بنا إلى الاسكافي ، أو إلى قطعة من قطعه .
فقال : قد لا يهم قراءك أنه الحسن بن علي . وأنه ينتهي إلى عبد الملك بن ناهوج ، ولكن قد يهم قراءك أن يعلموا أنه كاتب بالوراثه ، ومن بيت كتابة وأدب وإشراف على رسائل الديوانية . وما علينا من الفضول . التحليل والشرح والنقل وما إلى ذلك ، ولتقتطف لك الآن قطعة ... ولعلك تذكر ما كان بين (جيتة) و (شر) . أو لعلك تذكر رسالة الخاخص عن التحاسد بين الكتاب والأدباء ... فافقرأ إذا رسالته الخالدة إلى القاضي الفاضل عند قدومه من مصر إلى الحجاز . يسأله فيها شيئاً من رسائله اختتمها بقوله :

« فصار مثل هذه العوارف التي أقصر في ذكرها عني الإيماء ، وقوفاً مع محمد سيدنا - طار الله بقاءه منسوط اليد في عباد الله بالقرض . مقرضاً له غناء همه فيهم أحسن القرض ، مسجراً لهم ما وعد ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - عند الخادم : ومثله كالبيت من لتريض قبل القافية . والمريض الذي مطلته الأيام بالعافية ، فلا يكمل ذلك ولا يروق ، ولا يتطرب به المشوق . ولا يترنم به الكئيب ، ولا يتسلى به الغريب ، دون تمامه ، وتكافى أجزاء لقائه . وعقبه بمك حثامه ، ولا يحس هذا بلدة على الحقيقة وإن شرفت ، حتى يجد روحه روح الشفاء ، فيدرك مزيتها بطرق الصحة . ومروءتها بحاسة سمعها ، وتساعفه الأقدار بتكليفها لك وجمعها .

وما أسفى إلا عليها فأتى بقرطاسها لا بالدنانير أكف
فجد لي بما أهواه منها فأتى سأخفى استيهاها وأكلف
وما هذه الأهواء إلا غرائز قبيح لدى تقادها المتكلف

وإن كان الخادم عن حال من شرف بهذا من أغنى الناس ، ولم يكمل بعدته الاستثناس ، فليس له أن يكون معترضاً ، ولا أن يتلقى ذلك بغير التسليم والرضى . فإن الخدمة السامية هي التي يبين لديها الأقدار ، وبأفعالها ترتب المنازل وتتفاوت الأخطار ، وكنت عند كوني بمرور ، عرض على شيخنا نغر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن قاج الاسلام أبي سعد السمعاني - نعمدها الله برحمته - جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان إلى الرشيد الوطواط ، محشوة بالسب له والثلب . تصرحاً لا تعريضاً ، ويلزمه الحجة في أنه نهب كتبه ، وسلبه نتيجة

عمره ، ويستحسب الله عليه ، وضاق نطاق الزمان من تحصيلها وكتبتها ، وقلت :
 وكم منية خلفت خلفي وبغية ومن حاج تفسر حال من دونها الترك
 إذا ذكرتها النفس منت وأرزمت وودت لفرط الوجد أدركها الفتك
 سلام على تلك الديار وقدست نفوس عشواها ثوى العلم والفسك
 وبقيت نفسى إليها متطلعة ، وإلى مكنونها ملتفتة ، فظفرت برسائل الرشيد محمد بن محمد
 ابن عبد الجليل العمري البلخي المعروف بالطواط ، متضمنة لأجوبة يدل آخرها على إصرار
 القبطان عن تهمة ، والاذعان ببراءة ساحته .
 بل اقرأ قوله :

« إن شر ما فى بنى آدم من الخصال الذميمة ، والأفعال الذميمة ، إيذاء الصغار
 الكبار ، وإيحاء العبيد الأحرار ، وهذا له - أدام الله فضله - جيلة فطر عليها ، وطبيعة
 استرسل معها ، وسجية شهر بين العامة والخاصة بها ، يشتم كل يوم فى منزله ومكانه . وعلى
 سدة داره وطرف دكانه . خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً ، من الرافقين قصصاً إليه . والعارفين
 عليهم عليه : فيرجمون وجفونهم تتصوب عبراتها ، وقلوبهم تتصعد زفراتها ، لما يلافون من
 سوء خلقه . ويقاسون من حشونة لطقه ، ويقفلون وألم ذلك التهجم والاعراض ، والوفية
 فى الأحساب والأعراض : أشد عليهم من ألم الأسقام والأمراض ؛ ولهذا جعل شخصه . وصير
 نفسه - مع أنه أفضل زمانه ، وأعلم أولاد أقرانه - ضحكة الأذى والآصا ، وسخرة للأدب
 والنواصي ، حتى صار بحيث إذا مشى فى الأسواق ، تعادى صبيان البلد حوله ، فيسحرون
 منه ، ويضحكون عليه ، وينعرون فى قفاه ؛ ولا أقول فيه - أدام الله علوه - إلا ما قل
 الخليل بن أحمد الترميذى فى ابن المقفع ، حين رأى كمال فضله ، وتقصان عقله :
 « عم وائر ، وعقل قاصر » ؛ ومن قصور عقل ابن المقفع أنه مر بيت النار - وكان من
 أولاد كسرى - فتنفس الصعداء ، وتمثل ببيت الأحوص بن محمد الأنصارى :

يا بيت حاتكة الذى أنزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل
 فاتهم بالمجوسية ، فألقى فى تنور مسجور فأحرق . وما أصدق من قال : « قيراط عقل ،
 حير من قنطار فضل ، ومثقال حلم ، أشيع من مكيال علم » . أنكر - أدام الله علوه - رشاد مذهبه ،
 وإنكاره ضلال ، وجحد سداد سيرته ، وجحوده باطل محال . فبما طير الله حججة فرحت فيها
 الأضاليل وباضت . وبأسكت الله شقشقة دفقت منها الأباطيل وفاضت ؛ ولا أعنى بهذه
 الحججة إلا حججته التى لا عقل فيها ، ولا أريد بهذه الشقشقة إلا شقشقته التى يبذلها لصدق
 وينافبها ؛ حتى متى يتهمنى بظنه ؟ وإلى كم يجرعنى دردى دونه ؟ يحسب - أدام الله علوه -

أن ضله الباطل وخياله الفاسد ووجهه الكادب، وحى من السماء إلهي، أو إلهام في الحقيقة رباني، أو أنه تفت بها روح القدس في روعه، لا بل هو واحد من أبناء زماننا - وهذا شر الأزمته - عجم الشيطان عوده فاستلانه، فصير حزانة خياله مكانه. بهذه الخطرات التي تختلج في حنانه، وتدور حول حسابه، من تلك الخيالات الشيطانية، لا من الإلهامات الربانية.

ولقد بلغنى من أفواه الرواة، وألسنة الثقات - أنه - أدام الله علوه - أخذ بعين هذه التهمة الكاذبة - قبل هذا - واحداً من أعيان جلده، وسكان بلدته، وهو مسعود بن المنتخب - رحمه الله - فأغار على أهله وبيته، وتعرض لحيه وميته، وخرب دوره ورباعه - وغضب أئاثه وباعه - من غير حجة صححها، ولا بينة أوضحها، اللهم اصرع الظالم على الهامة، وحذ منه لعظوم حتى يرضى عنه يوم القيامة.

ومما أفضى منه المجدب، أن عهدى به - أدام الله عزه - قد كان يخرب الأبدان، فها هو الآن يحرب الأوطان، وما أسرع الدهر إلى تغيير البشر. وما أفدره على تبديل الصور والسير؛ فرأت في بعض الكتب: أن حليفة من الخلفاء رأى في منامه أن واحداً من ندمائه وثب عليه ليقتله. فلما أصبح استدعى النديم وأمر بقتله. فقال له النديم: ماذا فعلت حتى ستوحى هذه العقوبة؟ قال الحليفة: ما فعلت شيئاً، ولكنى رأيت في المنام أنك تقتل - فقال له النديم: إن يوسف بن يعقوب - صلوات الله عليهما - مع كونه صديقاً نبياً احتاجت رؤيته إلى تعبير. وافترقت أحاديثه إلى تأويل وتصير. ففتستغنى رؤياك عن مثل ذلك؟ فصحت الحليفة وخلاه؛ وأما أتول: هكذا ظنون جميع ذوي الألباب، معرضة للخطأ والصواب، كأنه - أدام الله علوه - تفرد من بينهم بذاته. وتوحد لعظمة صفاته، ففترهت ظنونه عن سهو. وتنفست أحاديثه عن اللغو، عصمنا الله من الكبر البائن، والمعجب الشائن؛ أما حين يفتبه - أدام الله علوه - من غفلته، ويستيقظ من رقدته. وقد بلغ غاية شيبه، وحذ من بلحيته وجيبه، يقرع كل ساعة منادى الفاء، في أدنه الصماء، أن أترك أوطانك، وأجرح هتك وجيرانك، وأرحل إلى جهنم بخيلك ورجلك. فها قد أوقدت نيرانها لأحلك؛ وما حرص جهنم على شيء كحرصها على إحراق شيخ غوى، وحمى عى، سىء الخليفة، مذموم غريفة. يتظاهر بالاثم والمدوان، ويتبع خطوات الشيطان؛ هو - أدام الله علوه - بلغ سحر الحياة، ووقف على ثنية الوداع. وهم بحر عمره بالصوب، ومال نجم بقائه للغروب، فأسسه. عن في الحياة طمع، وقد بليت جدته، وفيت مدته، وتراجع أمره، واتى على الثمانين صمره؟

يرجو القى عوداً إلى طبيعته وقد جاورت رأس الثمانين سنه؟

كنت هذه الأحرف على سبيل الأمودج، والجواب بعد في الجراب. والسيف لم يسلم

من القرباب . فان ازجر - دام الله علوه - واتعظ ، وترك الفظاظه والغلفظ ، وعاد إلى كرم
المهذب وصفاء الود ، فأنا خادم مخلص وعبد مطيع وتلميذ معتمد
وإلا فعندى للعدو وقائع تزيه المنايا لا ينادى وليدها»

والآن يحولى أن أنتقل بك ، بعد أن سمعت - في أنارة واطمئنان ، وفي استعمار بروعة
الأسلوب ، وجمال السبك ، وفي بحانة - ما تصنفته تلك الملح والفرر والدرر من تهكم لادع .
ونكتة بريئة ، وتقدير ، ولكنه محبب إلى النفس - خفيف الوقع على القلب - ومن منة
في رصانة ، مع دقة وصف - وجمال وقع ، وحسن مدح - ومائية أسلوب ، وملاوة عبارة ،
وفرادة معنى ، وصفاء غلالة .

الآن يحولى أن أنتقل بعقلك الرشيد - ودهيتك الفذة ، وثقافتك العالية ، لأطلب إلى
خيالك المحلق - وإلى ثروتك الأدبية الرائعة - وإلى مكتبتك التحليلية العلمية : أن تقارن تهكم
صاحبنا وخفة روحه ، بالأساليب المستحدثة : كأسلوب (جيروم جيروم) : بل لتقربها
بالأسلوب الرائع الفتان الذى استحدثته نابغة الأدب المصرى وزعيم المجددين الدكتور
حسين... وكذلك يحولى أن تقرأ الجاحظ في نواح متعددة من رسائله - لا في رسالة « المدبر
والتربيع » التى عمت أنت بها حسب - بل في كتاب « الحيوان » وشتى رسائله ، ولك - بعد
ذلك - أن تقول ليس بعد الارهاص إلا الاعجاز ، ولك بعدئذ أن تطلب إلى وزارة المعارف
ألا تحرم الأدب العربى والثروة العربية - التى تدرس في المدارس الآن - من أمثال : لصيرافى ،
والاسكافى ، والطبرى ، والمسمودى ، والجاحظ ، وابن المقفع ، والهاد الأصفهاني . وغيره
من حملة البيان ، في لغة البيان ، ولغة القرآن .

ولى أمنية في مكتبتك أن تصطلع بها ، لما عهدناه منك من عزم وجلد ، وما جبرده عليك من
دأب في القراءة ، ودراية في فائين العلم والأدب ، ولما أضحت لمجملتك من قيمة علمية في متعدد
الآوساط العلمية ، ورقى الهيئات الاجتماعية ، حيث أضحت في الطليعة ، وأصبح فرائدك
كثيرين في مختلف البلدان الشرقية ... أطلب إليك - في قوة وحزم - أن تدافع عن حتم هذا
الحديث ، وتعمل قدماً في سبيل نشر القراءة النافعة ، وبعث الثقافة الصحيحة . والله وحده
يتولى جزاءه ، إذا لم يكن في مصر من يقدر مثل هذه الأعمال الجليلة ، وهذا النوع من
الصحافة العلمية الراقية ، والبحوث العالية الرفيعة ...

« المعرفة » ليس للمعرفة أن تتعلق على حديث العالم الفاضل الاستاذ الدكتور محمد ربيعى ، كما
من أنها ترجحوا لونيح لها اقدر ، لتحقيق هذه الامنيات الرقيقة ، والرغبات السامية ، التى جسدتها
الاستاذ الدكتور .

التربية في الأسرة

بقلم الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك

عناية الأمم الرافقة بالتربية

تعنى الأمم الرافقة بتربية أبنائها وحفظها إياهم بأفضل أساليب التربية والتعليم حتى يشبوا ويترعرعوا . ذلك أنهم يؤمنون أصدق الإيمان بحسنات التربية والتعليم ، وأثرهما البالغ في نفوس ، ويعلقون عليهما أكبر الآمال في تحقيق سعادة الوطن وبنيه .

وليس أدل على ذلك الإيمان من أن قادة الفكر في تلك الأمم مجمعون على أنه يستحيل على ما نرى من عملا حليلا ، أو تنفذ فكرة خطيرة ، إلا إذا اعتمدت في المضي فيها تصبو إليه على تربية والتعليم . وذلك بالرغم من تعدد المذاهب وتباين الآراء في هذا العصر ، الذي أصبح مجالاً لتماوج الأفكار ، ومتنازع الآراء .

(١) رجال الدين يقولون : إن مستقبل الدين يتوقف على تربية والتعليم ، (ب) رجال السياسة يمشدون عليهما في تغليب آرائهم وانتصار أفكارهم ، (ج) والمستنيرون من سواد الناس يرون في نشرها بين طبقات الشعب فوراً لقضية الأخلاق . وإعلاء لشأن بلادهم ، ورفعاً لمكانتها بين الأمم .

دولة الطفل

لذلك توجهت أفكارهم جميعاً إلى الطفل ، خاطوه بسياج من العناية والرعاية ، وغذوه بالمعلومات النافعة المهذبة ، التي تفي بحاجات الفرد والمجتمع معاً ، حتى أصبحت كل أسرة - في سهر على بنائها وتعمد شئونهم - كالزارع اليقظ النشيط الذي يتعمد غرسه بالحرث والسقي ، كي يأتي في القد بأوفر نتاج .

وقد صدر الكاتب الفرنسي (فيليكس توما) كتابه « التربية في الأسرة وذنوب الوالدين » بديباجة مختمة استهلها بقوله :

« بين ممالك كثيرة وهي وتداول . إذا بالقرن التاسع عشر يرى دولة جديدة نشأت بين حصانه . وأخذت قدمها ترسخ فيه يوماً فيوماً ... تلك هي دولة الطفل » .

من هذا نرى أن القرن التاسع عشر امتاز على ما تقدمه من القرون بأنه عصر الطفل . فالشراء في فرنسا - من عهد (فيكتور هيغو) إلى اليوم - اهتموا جد الاهتمام ، وعنوا بتدعيم عناية بدراسة تسمية الطفل الغامضة ، وميوله المتغيرة ، وأفكاره المتقلبة وراقبوا صعوده تدريجياً من عالم الخفاء والظلمة إلى عالم الوجود والنور ، وقد حذا حذوهم في ذلك : الكتاب ، والملازمة ، والعلماء ، والأطباء فالتفروا جميعاً حول مهد الطفل ، يرقبون حركاته وإشاراته وابتساماته ،

ويدونون تجاربهم حتى 'خرجوا للناس صورة حقيقية لبعض ، تختلف تمام الاختلاف عن الصورة التي صورها له علماء القرون السابقة . ولتي كان لتحيال والمبالغة فيها أكبر الأثر .
 نحن ! وجد في كل حيل من الأحيال السالفة كتاب وشعراء أبحوا ألباء حقا عظيم ،
 وحوا عليهم حنوا كبيرا ، فدرسوا طباعهم ، وترجوا عن عواطفهم - مثل (بونارتي
 الكاتب اليوناني القديم ، الذي عاش في منتصف القرن الأول لميلاد ، هاه بعث إلى صديق
 له بكتاب - معروف في عالم الأدب عقب موت بنته الوحيدة - يصف فيه رقة شعوره وصف
 مؤثرا . إذ يقول : إنها كانت تقوسل إلى مرضعتها أن تمنح ثديها . لا للأضغال بعمار الثبر
 كانوا يلعبون ويرتعون معها خشب ، بل للدمى (انغرايس) التي كانت تدهو بها وتفرح رؤيتها .
 والتي كانت تجلسها معها على مائدتها . وتغلق عليها رق وأعذب ما عندها من عبارات المديونة
 والملاطفة . كأن فطرتها السليمة تحس وجوب مقابلة الاحسان بالاحسان . وهذه المناسبة ذكر
 أبياء : « لخطان بن المعنى الجاهلي » . يصف عطفه على بياته :

لولا بفيات كزغب القطا رددت من بعض إلى بعض
 لكنت لي مضطرب واسع في الأرض ذات غول والعرض
 وإنما أولادنا يفتننا أكبادنا تمشي على الأرض
 لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغرض

ولما مات « درة بن عمر بن درة » وقف على قبره . فقال : « يا درة ! إنه قد شهدا الحزن
 لك عن الحزن عليك . لانا لا ندري ما قلت ولا ما قيل لك » . ثم رفع يديه إلى السماء . وقال
 « اللهم إني قد وهبت لك ما قصر فيه مما افترضت عليه من حق . فهب له ما قصر فيه من
 حقت . واجعل ثوابي عليه له . وزدني من فضلك . إني إليك من الراغبين » .
 ولا بد أن يكون عدد هؤلاء الأفراد قد أخذ يزداد شيئا فشيئا بتوالي العصور حتى بلغ
 حدا لا يستهان به في القرن لنا من عشر تحت تأثير تعاليم (روسو) . وفلسفته في تربية الطفل .
 ولكننا نعد أنه بالرغم من انتشار تعاليم ذلك الفيلسوف في أغلب الأسر والمدارس . فقد كانت
 الملاحظة والمداعبة يستران وراءهما صرورا من الشدة والحاشنة ، وكان الولد عبدا موكفا .
 والولد سيذا مالكا .

أما اليوم ، فقد تبدلت الحال غير الحال . وأصبحت للولد حقوق . بعد أن لم يكن عبدا
 إلا واجبات . فصار ذا شخصية حقيقية . له أن يتمتع بالحرية والاحترام . وجميع الحقوق
 التي تساعد على نمو قواه الجسمانية والعقلية . كما أصبح شخصا اجتماعيا . ينتظر له في هذا أن يكون
 عضوا عاملا في المجتمع ، له ما لنا ، وعليه ما علينا .

هذا لم يكن بد للحكومة - التي هي مرآة الرأي العام في كل بلد - من أن تغير نظمها وفقاً
 هذه الأفكار الجديدة، وتعنى عناية خاصة بكل ما له علاقة بتعليم الأطفال وتهذيبهم، جعلته
 في متناول الجميع، لأن الجميع لهم الحق فيه، وجعلته نجاة وإيجابياً، وصيرته شائعاً لذيذاً،
 حيث أصبحت المباني القديمة - وأنشأت مدارس جديدة على طراز جديد جميل، كما تفتحت
 للمناهج تفتيحاً احترفاً إلى النصف، وحلصها من الشوائب والزوائد، وجعلت الفناعة في العلم
 أساساً للتعليم في المدارس الابتدائية.

والتي تجنى ثمار هذا كله ناضجة شبيهة، عمدت إلى إعداد المعلمين المهيئين الأكفاء،
 وبدأت - عن سحاء وطيب خاطر - المبالغ الطائلة في هذا السبيل، عاماً منها أن الاتفاق عن
 معة في هذا الباب هو الغنى بعينه.

وما أعد المعلم الكفاء منحتة ثقفاً وأعطته الحرية التامة في تدريس المناهج، فإذا
 شاء قدم موضوعات حتى أخرى، وإذا شاء حذف منها، أو أضاف عليها، ثم هو بعد ذلك
 وجه من تلقاء نفسه التعليم الوجهة الصالحة المنتجة بما يناسب البيئة التي يعيش فيها الأطفال.
 وكانت رعاية علمهم أصول الزراعة وأحوالها بصفة خاصة، وإن كانت صناعية أو تجارية
 وجههم إلى الصناعة أو التجارة لتهيئتهم لكسب العيش فيما بعد بمزاولة العمل الحر، لأن
 التعليم يجب أن يكون تفعيلاً ومهذباً في آن واحد.

هكذا سارت فرنسا متعاونة شعباً وحكومة على النهوض بالتربية والتعليم، فقطعت
 شوطاً مبدأ في هذه السبيل. كأنهم فهموا - جميعاً - تلك النصائح الغالية التي جادت بها فريجة
 مونتسكيو (كوندروسيه) الفيلسوف والكاتب الفرنسي الشهير، إذ يقول:

«حتى قدر المصيب الذي تماله الأمة من التربية والتعليم تكون مقدرتها على حكم نفسها
 نفسها. مما يقوم دليلاً على أنها جديرة بأن تعيش أمة حرة».

وكرر بالرغم من هذا التعاون القوى - والتضامن الشديد بين الحكومة والشعب - فإن
 الخبيرين بشؤون التربية يذهبون إلى أن النتيجة التي وصلوا إليها، لم تأت متناسبة مع الجهود
 مبذولة في بذلت. وأنهم لا يراون بعيدين عن النتيجة المرجوة والغاية المنشودة. فلم تزل
 الأصوات ترتفع بالشكوى من نقص التربية في جميع مناحيها البدنية والعقلية والخلقية.

فمن من تقع التبعة يا ترى؟ يقول الميسو (فيلسوف توما) رداً على هذا السؤال: إن
 لهم الأول هو الحكومة دائماً، لأنها لم تبرا من القدر واللوم مهما تجدد، ولأنها ممثلة
 في شحاس. والأشخاص يستحيل عليهم الكمال؛ ويرى أنه يجب علينا أن نذهب في بحث
 سبب رئيسي إلى أبعد من هذا، فنجد في الأسرة وفي الأخطاء الكبيرة والدروب العديدة
 في تربية أبنائهما قبل المدرسة، إما بسبب الجهل وهو الأغلب، وإما
 سبب لاهمال والآثرة وحب الذات. ومن ثم ينشأ معظم الشر الذي يث من المجتمع.

الصحة والزواج

يقول بذلك مسيو (فيليكس توما) ويرى - في هذا الصدد - أن أكبر الذنوب التي يترتب
 الوالدان وأخطرها - لأنه غير قابل للإصلاح - إهمالها مراعاة الصحة قبل الزواج . فهو من
 الانسانية والمروءة والتبصر في عواقب الأمور أن يسرف اشخص في الملامى والملاذ حتى تفت
 بنيتها ، وتعمل صحتها . ويفسد عقله . ثم يقدم على الزواج لينسل درية صميقة ضئيلة . تشكو -
 صرل العمر - الآلام والأمراض التي ورثوها عن والديهم . دون أن يكون له في ذلك شيء
 دخل ؟ « غيرى جنى وأنا المعذب » ؟

لذلك اهتمت بعض الأمم الراقية بالامر اهتماماً عظيماً . وحرمت عقد قران رجل حتى امره
 لا إذا ثبت كلاماً طبيياً أنه خلو من الأمراض المتكاكة المشهورة . حرصاً منها على سلامة
 انفس . وحفظه من الأمراض العقلية والعاهات الخلقية
 ما إذا ترك الامر - كما هي الحال في معظم البلدان - إلى حكم اشهوة والمصادف . وحدث
 الناس بواميس لطيفة وخرقوا قوانينها ، فانها لا بد تنار لمصها . ولا يوه في ذلك إلا
 أنفسنا إذا حل انتقامها بالمساكين الأرياء .
 فادرجع الناس إلى صوابهم وثابوا إلى رشدهم في مسألة الزواج - وقد رأوا نتائج
 خطيرة وتبعاته الثقيلة - لعوا - قبل أي اعتبار آخر - بأمر الصحة . ولكن ذلك ليس عده
 بالامر الهام .

يقول أفلاطون : إنك إذا أسديت للناس النصيح في هذا الصدد . فكأنك تخلص صفاً
 لا يسمعون . لأنهم ينقادون إلى الشهوة العمياء دون الاعتناء إلى بدء عقل وهدي تفكير
 نعم ، إن الغنى واخشب والجاه والجمال أمور جلبت النعوس على ضلها في الزوج . ونحن
 لا نومهم على الجرى ورائها ، ولكننا نومهم على اكتفائهم بها وإغفلهم أمر الصحة التي
 يجب أن تكون الدعامة التي يقوم عليها صرح الزواج .

ولنفرض الآن أن شرط الصحة قد تحقق في زوجين وتم الزواج . فهل يكون ذلك
 قد وصلنا إلى كل ما نريد ؟ كلا ، فإن هناك وجبات تمد يده الحمل تقتضيها حياة عتري
 أثناء الحمل ، ومعظمها منصب على الأم وحدها . فيجب عليها أن تتجنب كل ما من شأنه يضر
 بصحة طفلها حساً ومعنى . بل يجب عليها أن تبحث عن كل ما يميمها ويقويها . ثم من عن
 نأتيه أثناء الحمل . وفكر يمر بخاطرنا إلا له أثره في طفلها ، حتى إنه ليحدث أحياناً أن
 الطفل يمكث طول حياته يعاني أمراضاً وآلاماً نشأت من أن أمه - وقت الحما - رولت عملاً
 أنتجت فيه ما أنتجت ، وإن لم يكن لها في نفسها إلا أثر وقفي .

وإني أسوق إلى القراء مثالين تاريخيين على أن أعقبهما بأمثلة أخرى يستدل منها على أن

لاستعدادات مختلفة التي تولد مع الطفل : كالخوف، والشجاعة، والكسل، والغيرة، والحسد، أو
اللين، أو عن من الأعمال دون عمل. إن هي إلا نتيجة اتصالات نفسية قامت بنفس الأم. أو
أثر لأعمال كانت تأتيها أثناء الحمل.

الميل الأول : عن أحد زعماء الحركة الفكرية في إنجلترا في القرن السابع عشر. وهو
(توماس هوبز). فإنه عاش طول حياته يشكو ألم الانكماش والخوف، ويعزوها إلى إرجاع أمه
عند ما قرب الأسطول الإسباني (رمد) من شواطئ إنجلترا، وكان إذ ذاك حينئذ في
لبس أمه. فلبس عجيباً إذاً أن تتأثر فلسفته بهذا. فالت إذا قرأت مؤلفاته. تجد أن
سياسته. النفسية تدور حول فكره أساسيه واحدة هي : الاضطراب والخوف، فنقول مثلاً:
إن الناس في سبيل التخلص من المعيشة وفق الحال الوحشية الأولى التي كانت كلها فوضى واضطراباً.
فقد تدبروا عن حريتهم. وقبوا أن يعيشوا تحت سلطة الفرد المطلقة. ورضوا بالاستبداد، لأنه
ولم يدر في ذلك. فقد خضعهم من شرور الحال الأولى. وهي أبكى وأمر؛ ولذا عد
من الفلاسفة المتشائمين.

الميل الثاني : عن (ماري ستيوارت) بنت (جيمس) الخامس ملك (اسكتلند) - فيما
بعد (الأول ملك إنجلترا) - من أميرة فرنسية (ماري دي لورين).

وحدث (ماري ستيوارت) بد (فرنسا) الأول ملك فرنسا، وترملت بعد ذلك لسنة.
وعاد في سنة ١٥٦٠ إلى وطنها الأول. وافترقت بآس عنها (هنري دارني). وكان أصغر منها
سنة. لكن لم يرض على عقد الزواج قليل وقت. حتى أسفت على حدوثه لما تبينته من ضعف بثية
روحها شباب. وفساد أخلاقه بما كما تألم هو أيضاً منها. لأنها تأخرت عليه في منحه امتيازات
كبيرة وحقوقها. وانهم في ذلك أحد احصائها. ررت. ففتت به ذات يوم على مرأى منها،
ومع شدة تألمها لهذا الحدث العظيم. فقد تظاهرت لزوجها بالصمغ عما فعل. ولكنها لم تلبث أن
تدركه مكيدة لتي حثفه فيها. ثم تزوجت من القاتل له. فقضت المكيدة عليها بدورها وزج بها
ميتة في عملاق لسجون، وصادف أن مرت كل هذه الأحوال، وهي حامل في (جاك) الذي
صار بعد (جاك الثاني ملك إنجلترا). فكان لذلك جباناً تضرب بجبينه الأمثال، حتى
إنه حين رآه إذا رأى سيفاً يسلم من غمده أمامه. والتحارب، الحدينة لتي أحرأها العلماء وبجرونها
كل. عن النفس. تؤيد هذه النظرية كل التأييد، فهل هناك حقيقة أمهات يقدرن هذا
لوقوف قدره، فيكثرن أثناء الحمل من مراقبة عواطفهن وأفكارهن، والعمل على ضبطها
واستجوعها بالأم الهدوء والسكينة. حتى لا يكدرن صفو الطفل في مبعته ومستقره ؟
وهو تعرف الأم ما يجب عليها في هذا الظرف الخطير؛ ذلك ما سنتكلم عنه في العدد القادم.

أحمد فهمي العمروسي

التصوف في الشرق والغرب

للسير محمد الغنيمي التفتازاني

هذا عنوان محاضرة ألقاها السيد التفتازاني في الاسكندرية في منتصف أغسطس سنة ١٩٣٢ وقد نالت التقدير اللائق بها . وكنا أعلننا في العدد الماضي أنها بقدم المستر زوي . وقد كان ذلك سهواً منا . فنتقدم إلى السيد التفتازاني معذرين ، راجين أن يكون مصححاً إلى ما علقنا به على بعض نقاط البحث . المحرر

يرى علماء الإسلام أن التصوف هو الفلسفة الإسلامية التي سارت الإسلام به برغ بوره . وقد تأثر بأدواره جميعاً ، فهو تارة كبر مهمل ، لا يعرفه إلا حزنة أمراره . ثم هو تارة مدرسة لتربية العملية حمل خريجوها أعباء المهضات الإسلامية في عصور الأندلس . وقد ظل علماء الغرب يخطون في حقيقة التصوف الإسلامي رمزاً طويلاً . فقد رموه حيناً أنه من تراث الاغريق . وضموا حيناً أنه من نتاج الأفكار الهندية . ومن أعينهم معتقداً أن الفرس هم واضعو أسسه قبل الإسلام . وأن الأثر الكه مطبقو طرئته بعد ذلك ، وبقيت الحقيقة بعيدة عن متناولهم ، لأنهم لم يقصدوا إلى بابها . ولم يقدروا عليها النصف للشرق وأهله اعتراضاً بما أصبحوا فيه من قوة وسلطان . وما لبث فيه الشرق من بعدهم . وهوناً وضنوا أن القوة هي كل ما يستوجب الاكبار والاجلال . وأن الضعف هو المر الذي يجب أن تدفن تحت جناحه كل مفخرة يعثر الضعيف بسبب من أسباب الانحدار . ولو من طريق الميراث . وصادفت هذه الروح الجبارة العاتية جمود الشرق واشرفير . وجور علماء المشاركة . وانصراف أكثرهم إلى ما لا يدفع غائلة ولا يكسب مناعة . وتشتت في عهد الغربي فكرة تجرد الشرق من أسباب الضعاف . وأن ذلك القديم الذي يعثر به المشارقة قد تهدمت أركانه وضاع أصله . وحق لهم أن يصوروا الشرق بهذه الصورة البشعة . لأنهم لم اتصلوا بما بعد قوتهم وضعفنا ، لم يحدوا فينا إلا مرضى القيوب والعقول من تقودهم شهوات وتشجعهم الغايات ، فلا يستطيعون صد معتد ولا رد تهمة من بابها براء . وخيراً . غلبت روح العلم الشفافة التي هي ربح بين أهله جميعاً . وصفت نفوس بعض علماء الغرب . فأخذوا يصارحون الجيل بوجوب الاقرار بالفضل لأهله . والسعي في إعادة الحق إلى أصحابه ولو إلى حد ما .

فربنا في كتب تولد كده . وجوتى . ووليرى ، وحولديزير ، وفون هامر . وآسبر

بلاسيوس . ثم في كتبه ماكدونالد . وراون ، ومارجليوث ؛ وأخيراً في تلك النعائس التي يجرده لباس الآن الأستاذ (نيكاسون) عميد جامعة (كمبردج) ، وشيخ اللغات العربية . والفارسية . والتركية ، والافريقية بشعبتها الشرقية ... من دلائل الانصاف وخدمة الحقيقة اعزدة ما يجعلنا نذكره بالشاء والحمد ، كما نشئ عني من تابعهم في مسلكهم التريه من علماء أوروبا في العصر الحاضر .

وحق علينا أن نخجل مرة ثانية . لقصورنا عن اللحاق بهم حتى في الكشف عن مفاخر آباء وأجدادنا ؛ ولعل هذا الحجل يوقط موات قلوبنا ، فيكشف عنها ما ران عليها . فتبذل جهودنا في العماية بتلك السلسلة التي علا اصداً حلقاتها . وهي ليست في حاجة إلا إلى من يجر عنها هذا الصداً ، فتعود لامعة برافة تحيي بها كأكرم الأوسمة وأبهى النياشين . بل كغمد الماس انتظمت حياته مصقولة مصيئة . تأخذ بالأبصار .

ما هو التصوف؟

يقول كركحي : « التصوف هو الأخذ بالحقائق ، والفني عما في أيدي الخسلائق » . ويقول الجليل : « التصوف هو أن تكون مع الله . وتحب في الله . وتبغض في الله » ؛ ويقول تينور : « التصوف هو لا تملك شيئاً لا يملكك شيء » . ويقول إمام الجماعة بهذه المدينة وعباس المرسى : « التصوف هو أن تقدم حدود الله ، وأن تكون معه في كل زمان ومكان » . ويقول أبو الحسن الشاذلي : « التصوف هو تدريب القلب على معرفة الرب . وتحسين من الكدرة إلى الصيرة . وطرده الخفاء إلى الصفاء » .

من هو الصوفي؟

يقول فريق من علماء الإسلام : إن هذا الاسم مشتق من الصفاء . وفي ذلك يقول الشاعر :
تعارض الناس في الصوفي واحتملوا فضله أبعص مشتقاً من الصوف
ولست أرى هذا الاسم غير في صافي فصوصي حتى لقب لصوفي^(١)
ودعيت بعضهم إلى أن هذا الاسم منسوب إلى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين آوى إليه بعض الصحابة يرتقون من صدقاته . وأخذ عليهم أبعص هذا الأسلوب من مبش . فلم يصفهم إلا برول قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم . تربد ربنة الحياة الدنيا . ولا قطع من أغفلنا قلله عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » .

(١) في ذلك هو أبو العنبر البسي ، والبرنيس ، وإيتان ، وأحياناً . ذكرهم وشمهم وحققهم بحرر
في مجلة في المحدثين الثالث والرابع من السنة الأولى (يوليو وأغسطس سنة ١٩٣١) .

ولا أظن صحة هذه النسبة إذ لو صحت لكانوا صوفية . لا صوفية .
ويقول الطوسي . وهو أحد أئمتهم : « الأظهر فيه أنه كالألقاب . فأما قول من أن
من الصوف . فذلك وجهه ؛ ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف (١) » . ويرى لقشيري أنه
لقب ، لأنه غير مشتق في لغة العرب ، كما أنه غير مقيس .

ويرى المستشرقون مثال : بلذكه . ونيكاسون . رأى ابن حلدون عند قوله في مقدمه
« والأظهر أنه قيل بالاشتقاق إنه من الصوف » . وهم يختصون بلبسه في الغالب كما هو
عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف .
وإذا أصبح من المرحح لدى علماء العصر أن الاسم مشتق من الصوف . وأنهم
اتخذوا لباسه شعاراً تميزاً لأنفسهم عن المترفين .

واتفرد (فون هامر) برأى لا يزال موضع البحث . فهو يرى أن الكلمة مشتقة من
أصل إغريقي . وأن (سوك) باليونانية مماها الحكمة . ومنها (فيثوسوف) ، أي علم
الحكمة ، والصوفي هو محب الحكمة . والباحث عنها في مصانها (٢) .

ولكن (نلذكه) رد عليه هذا الزعم . ووقفت المسألة عند هذا الحد بين علماء ورهبي
الآن . ورجح عنده رأي (ابن حلدون) من أن النسبة إلى الصوف أصح وألبس .
وأول من استعمل كلمة الصوفية من كتاب العرب . هو (الجاحظ) في كتاب « ميسر
والتبيين » عند قوله : « الصوفية من النساك » .

ويرى أبو نصر السراج أن الكلمة مستعملة منذ الصدر الأول من الإسلام . إذ يقول
الحسن البصري : إنه رأى (صوفياً) يظوف بالكعبة . والحسن البصري من تابعين لأئمة .
وقد أدرك صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذ عنهم .

واتفقوا على أن أول من أطلق عليه لفظ « الصوفي » هو أبو هاشم الكوفي دفين زعمه
بفلسطين ، المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية (٣) .

علم الصوف

يقول ابن حلدون في المقدمة : « الصوفية من المصوم الشرعية الحادثة في مله . وصفاً

(٢) هذا رأي القشيري لا الطوسي . انظر

(٢) خالف حصره الكاتب في هذا الرأي من فون هامر . لأنه في لبس هو الذي ورد بها الرأي
واحد تقدمه من اسماء الفيلسوف « أبو الرحمان جبروني » المتوفى سنة (٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م) .

هذا الرأي واحد في كتاب « تحقيق » لأبي عبد الله من مقالة مقولة في أمم . وورد له « طبع بيد » ١٩٨٧ م .
(٣) ورد هذا لأبي عبد الله جميعاً مؤلف كتاب « التصوف الإسلامي » في « المطبوع » في ١٩٢٨ م .

أرجح . « صوف » وهو « عبد العظيمة عساوي » عن الأستاذ ن . نيكاسون ورون . وقد صرح كنهه
بعد ترجمته . لا سيما عن ذلك موضوع في حرمه « العلم » . وكما يجب من الاستدلال في الأمر لا سيما في
هذا المؤلف المسكين كما أهل الإشارة إلى ما كتبه صاحب هذه المجلة من قبل .

انكوف على العبادة ، والاقطاع إلى الله تعالى . ولا عراض عن زحرف الدنيا ، والرهد فيما ينس عليه اشتهور : من لذة . ومال ، وجاه ، والاتفراد عن الخلق بالخلوة إلى العبادة ، وقد كان ذلك فاشياً في الصحابة والسلف ؛ ولما عم الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده . وحينئذ ساس إلى محالطة الدنيا ، احتص المقبور على العبادة باسم « الصوفية أو المتصوفة » . وهذا يجب أن تعرف عبارة « ابن خلدون » على وجهها الصحيح ، فأقول : إن ما أرادته زجج في شتمه لشخصيه . والتلذذ في داته ، وهذا لا يتعارض مطلقاً مع أمر القرآن في قوله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » . وإن أولئك السلف الذين ينس عنهم ابن خلدون . إن الرهد كان فاشياً فيهم . في بعينهم الدين فتح الله لهم في عشرات الأعوام ما لم يتسع على غيره طروقه في مثاتها . بل في الذين وضعوا أسس المدينة الإسلامية . والتصوف كان معناه عندهم رغبة لا رادة . ولا اعتداد على النفس . وعرفان الواجب : بل كانت الروح الصوفية ، هي التي تقودهم إلى إعلاء كلمة الله وهداية البشر .

ولا ينس أحد من التصوف كان معناه عندهم المحول والكسل . والنرام الخلوة للعبادة دون قيام به اجب المعبود وحقوق عبادته . بل كان التصوف عندهم مدرسة الرجولة ومعهد لحياة عملية . ولم يدون التاريخ لوحد من أولئك الأسلاف أنه انقطع عن الدنيا ، فلم يشأ في مهام أمته ووطنه ، كما أن تكوير الأسرة كان غالباً عليهم جميعاً : ولم يعيش واحد منهم على أحد . لأنهم يعملون عن يقين قوله تعالى : « وفل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله » . كما يعرفون قوله - صواب الله وسلامه عليه - : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وحيث تركت رباءك غيباء من أن تركهم عالة يتكففون اساس » ، وقد غلبت عليهم خشية الله وحسن حبه في أعماق قلوبهم . ثم جنحوا إلى الرهد . لأنهم وحدوا فيه مصدر القوة وسعادة . وقد قال سيد الوجود صوات الله وسلامه عليه : « حسب ابن آدم لقيات يقمن صبه » . ثم تستهوى الدنيا برحرفها . ولا تحلث عليهم بطونهم باستعمار الشبوات . أولئك الذين عرفوا الله فعرفهم وعرفهم .

ومن قصة هنا على سبيل الذكرى والتفكير : أن الامام الليث بن سعد . وقد كان أغنى أهل عصره . كما كان أعظمهم . وكان يملك إقليم الجيرة من أوله إلى آخره حبساً وإقطاعاً ، وكان يجمع لأصياؤه في كل يوم عشرات المواشي والأغنام ، وكان إلى جوار داره رحى احتص بسبع (العول المدمس) في حانوته . وفي كل صباح يفد إليه الخادم الخاص للامام الليث ليشبع منه فولاً مدمساً وزيتاً بدرهم . فأدعش الرجل عدم اقطاع هذا الخادم عن مشترى ثوب في كل يوم ، فقال له يوماً ما : (يا أحمى سيدك دا إيه ما بوكلكشى ليه من الهى سيدك كل يوم للناس ومن أصناف الخبوى والقطاير الهى تسند القلب ، ومستهلك يا مسكين

بالقول المدمس كل يوم ؟) ، حابه الخادم : (أمال القول دالمين يا عبيط ما هو لسيدى . هو
بيدوق غيره إلا يوم الجمعة ١٩) .

ولو أننا استوعبنا ما فى بطون كتب التاريخ والسير من حكايات الصوفية ، كاس دس ،
والخورانى ، والخواص ، والشعرانى وغيره ، وسردنا نوادرهم وأخبارهم لصاق بها . . .
وكلها تدل على مبلغ عرفانهم بالله أولا ، ثم عرفانهم بنبيه - صلى الله عليه وسلم - . ثم عرفانهم
بواجبهم نحو دينهم وأمتهم .

إذا عرفنا المتصوف الإسلامى على حقيقته - وهو العرفان بالله والترام حدوده - استمع
أن نسائر تطوراتهم منذ الصدر الأول من الإسلام إلى الآن ، فقد كان عند الصحابة وتلاميذهم
رهذاً وحوقاً من الله . ثم كان عند تابعيهم مدرسة ربية عملية ، حتى إذا بدأ القرن الثالث للهجرة ،
دخلت العناصر الغربية على المتصوف ، فعرفت فكرة الشمول والاتحاد والحوال بين مذهب .
والسمع لطاف نظرية وحدة الوجود على ترجمة الكتب اليونانية . واحتلاط الأفكار الهندية
والفارسية بالفكرة العربية ، ثم أخذ المتصوف شكله كفنسفة إسلامية ، إذ استعير
يهضم هذا الغريب كله ، وأن يطبعه بالذائع العربى الإسلامى . وجعل أساس هذه الفسفة
المعرفة بالله أولا وآخرأ .

ومن ثم كانت هذه الرعات جميعها متلاصقة بحيث لا يستطيع باحث أن يفرق بين حدهم
وأخرى . ومن هنا بدأت العداوة بين الفقهاء أهل الأثر . وبين المتصوفة أهل الأفكار . وتبدت
الخلافا بينهم نقاشاً بالرسائل والكتب . ومجلس التدريس والوعظ . ثم انتهى الأمر إلى
فرق بين الطائفتين إلى أن ظهر الامام غزلى فى المشرق . والامام ابن رشد فى المغرب .
وصنف الأول كتابه « إحياء علوم الدين » . وهو أجس ما صنفه الفقهاء الجامعورين فى بينهم
بين النفس والمطر . والفكر والأثر . وقد يطول بما المقام لو أردنا إيضاء الامام غزلى حقه
وشرحنا ظروف هجرانه الدرس إلى الحس والطوق إلى الدوق . وكيف اراح حدهم عن
نفسه . فأشرب مشرب القوم بعد الترام مجاهدة النفس حتى تسلم الدروه . وأصبح اسمه
مرجع النظارة فى حقائق الاسلام .

أما ابن رشد ، فمع أنه كان من حصوم المتصوفة . ومن أكبر أعداء لطريق هجرانى
وكتبه ، إلا أنه كان بعد تعرف الحقيقة ، المراج الوهاج الذى تدين أوربا لموره إلى يوم .
وما أبناء مدرسة قرطبة وغيرها من مدارس المغرب والأندلس وخريجيها من الفلاسفة والمفكرين
بخافية على أحد .

وحسبنا من ابن رشد ، أنه معدود بين الفلاسفة المتكلمين ، ثم هو في مقدمة الفقهاء
واعادئين والأئمة المجتهدين ، ثم هو عنوان جد أهل الثراء والجاه بين رحالات المسلمين ،
ثم هو إمام من أئمة النساك والمتعبدين . فهو من نواحيه جميعاً يمثل العالم المسلم الذي تعرف
حقيقته الدين ، واتهج سبيل السابقين الأولين ، أو هو كما يقول حصومه : « اعموعة
الزاهرة النادرة » .

وفي غصون هذه المدة طهر بين المتصوفة فريق ، جهد للوصول إلى مرتبة الفناء ، وغبت
على عبادتهم صبغة الاشكال والالهام والتعقيد ، كما خوان الصفاء وابن العربي ، وابن القارص
من المشارقة ، وابن جبول ، وابن حراز ، وأبى مدين من المغاربة ؛ ولم يكن من السهل أن
يتدفق مشربهم إلا من خالطهم وعاشروهم وتابع منهاجهم ، ولكنهم - جميعاً ومن إليهم من
رحالات الصوفية - نشروا أعلام الصفاء في جو الحب ، والحب هو مدد الحياة في الدنيا . وطريق
سعادة إلى الآخرة ، ومن هنا نظروا جميعاً إلى البشرية نظرة صافية ، بعيدة عن كدرة
تفرقة وحسد لغرض ، ومقياس هذه النظرة قول الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي ^(١) .

أدين بدين الحب في توجهت ركائبه فالحب ديس وإيمان

وإذا أردت الانصاف فلنقل في صراحة - لا ليس فيها ولا إبهام - : إن الانسانية مدينة
للمتصوفة بتقديرها والمو بها إلى رقي مراتب الوجود ، وإنه إذا صفت النظرة وزالت الكبرياء
صبح الجميع أحباً في الله ؛ دينهم الرحمة ، وشعارهم الحب ، وسيلج ذلك كله الحب .

ومن العدل أن نعرض على ذكر المالمات الأولين الذين خلد لهم التاريخ الاسلامي آيات
مسجلة . لأهم صدوا عنه تيار الصليبيين والتمتر . فأتدوه من محن كادت تؤدي به جميعاً .
وفد آروا الحركة الصوفية واتخذوا منها محاذياً في الاسلام خطر المهاجمة ؛ ففي التصوف قوة
بفاع عم وعملا ونظاماً ، وفد بدأوا هذه المهمة بمدن دمر السلطان المظلم جيوش
برابرة في عين (جالوت) بين نابلس وبيسان عام ٦٥٧ للهجرة ، فعنى المسلمون بالتمسك
الاسلامي وثقافة العربية في جميع الأنحاء ، وواصلت مصر جهودها الحبارة في استعادة
مصر ، إلى بعد روال الدولة الفاطمية التي لا ينكر المنصف أيديها على مصر وهبتها من
كل ناحية . وشركت الدولة - كما قدمنا - في مؤامرة هذه الحركة الصوفية الماهضة . فاردت
وتزعزعت . وكان هذا العصر المبارك مبدأ تنظيم الصوفية إلى جماعات ، بعضها في الخشاعات
والتكيا ، والبعض الآخر في المدارس المنتشرة . ولا يزال بعض هذه النظم باقياً إلى الآن .

^١ لقد تمسك الاسعد بن زرقاني في حجة شيخ الاكابر ابن العربي لا ابن عربي ، وراه حقه له .
أحمد بن بشا في الجزء الثاني من « المرأة » لسنة الاولى من ١٦٨٨ . المحرر

يرجع بعضه إلى نظم الفاطميين في حكمهم وعلاقه حلقائهم بقيائهم وعشارهم ، ويرجع لبعض الآخر إلى ابتكار شيوخ الصوفية إبان حكم المماليك إلا كراد . مثل ذلك : كيفية تقديمه لمرشد الجماعة واندماجه بينهم . ثم حساباته منهم . ثم تدرجه في مسالك الصُريق بقهر لنفسه . ثم إلزامه بأن ينتج . وأن يعيش من كسب يده حتى لا يكون عالة على أحد . ثم وصوله إلى درجة النقابة بالخلافة . ثم تحدّثه عن تباعه ومريديه واتصاله بهم . ثم اتصال الشيخ بجميع . حتى يسهل عليه بث ما يريد من تعاليم وتلقين ما يراه من أوامر ، وأحيط ذلك كله بسياج فضاء انشراح طاعة مطلقة . ولكن بالطبع لن تكون هذه الطاعة في معصية تمكرها الشريعة السمحة . أما القطب . واما الأوتاد . واما الأبدال : فأثناء ومراتب اصطلاح عليها اصولية منه العصر الفاطمي . وما بعد ذلك من المراتب فنظامه نظام الحمد . واصفلاحه يفتق صلاح العسكرية تماماً . ولكن الجميع - من أوهم إلى آخره - على اختلاف رتبهم ومراتبهم - يدور بأن لاسلام هو مصدر السلطة . وأن كل ما خالف أصوله وأحكامه فهو باطل . وهذا لا يجب أن يفعل مجاهد الأستاذ الشعرائي - رضي الله عنه - فكتمه مراجع ذلك حمية

و بعد إلى الامام الغزالي . لأنه أحسن شخصية بين علماء الصوفية . ينبغي أن يعرفها ناس جميعاً . فنقول إن كتمه في الدرع الواقعي لعقيدة . وإن كل حكومة يهبطها أن تحتفظ روح الدين وفصائه في شعبها . وحب عليها وجوباً كلياً لا قصور فيه . ولا هوادة . أن تعمل في بدعها وتيسر تماؤها لكافة طبقات الشعب بالتدريس في دور العلم وبالارشاد والوعظ في دور معونة وقد يتأخرت أوروبا فصل الامام الغزالي ، فترجم بعض كتبه إلى اللاتينية في قرون الوسطى . وكان أكثر الناس انتماء بها اليهود . لأنهم صدقوا بقوتها تيار لمكارم شبيه من الفلسفة والملاحدة . بترجمه كتابيه المقاصد والتهافت . مستعيرين ألفاظه وعباراته في كتبه « تهافت الفلاسفة » . وبالطبع لم يحترم اليهود الامام الغزالي . إلا لأنهم وحدوا في كتب سهام الدفاع . يردون بها هجوم الزنادقة والملحدون على ديانتهم .

أما الاحياء . فليس في الوقت متسع للامام باليسير من محتوياته . وبالاختصار نرد ما يقوله (المستر ماكدونالد) المستشرق المعروف : « إن هذا الكتاب يصح أن يستعمله عن ألوف الكتب . بل يجب أن يكون المصدر الموثوق به في : الدين وأخلاقه وأصوله والتصوف » .

وهذا المستشرق الفاضل ، هو اصدق من كتب في تاريخ حياة الامام الغزالي . وفلسفته بين علماء أوروبا ، ويرجع إليه الفصل في الاشارة بذكر . لامام الغزالي بين دارسي التصوف الاسلامي اليوم في جامعات أوروبا .

مصر في نظر عالم ألماني

آراء جلييلة من حديث

لبرستاد هيرمان جرابو

أستاذ الحضارة المصرية القديمة ولغاتها بجامعة برلين

يعتقد أنه من خير « المعرفة » كل الخير ، أن تقدم إلى قرائها الإعراف . هذه الآراء
أخيرة . لن تبعت شعاعاً من لضوء على تاريخنا القديم . الحديث . الذي تفخر به ونعتز .
وعالم الجليل الأستاذ (هرمان جرابو) . يعد في طليعة علماء الألمان ، بل علماء العالم . في
دراسة الحضارة المصرية القديمة ولغاتها ؛ ولهذا يشغل كرسي الحضارة المصرية القديمة ولغاتها
جامعة برلين . وهو من التلاميذ المعدودين في العالم ، الذين تلقوا دراساتهم على الأستاذ
أدولف إرمان (عالم الألمانى العالمى الشهير ، والملقب في الوقت الحاضر « بأبى مدرسة الحضارة
المصرية القديمة ولغاتها » .

ويسرنا في سبيل التدليل على مكانة الأستاذ (جرابو) العلمية . أن نذكر أنه هو المختص
بالبحوث العلمية في مجمع (بروسيا) العلم ، وأن نذكر - إلى ذلك - أنه قضى خمسة وعشرين
عاماً من عمره في عمل قاموس كبير للغة المصرية القديمة . بعد الأول من نوعه في العالم ، وقد
ساهم فيه مع الأستاذ (أدولف إرمان) الذي قضى في ذلك العمل الجليل خمساً وثلاثين سنة .
وقد وفقاً - والله الحمد - إلى إخراج هذا القاموس الكبير في خمسة مجلدات ضخمة . بلغ
مجموع صفحاتها ٢٨٠٠ صفحة من الحجم الكبير . وقد تشرف الأستاذ جرابو بتقديم نسخة
منه في شهر المنصرم إلى جلالة الملك فؤاد الأول ، وقد لقي من جلالة كل رعاية وتقدير .
وقد تيسر لحرر هذه المجلة أن يتحدث إلى الأستاذ (جرابو) في جمعية الشبان المسلمين ،
بواسطة صديقنا الفاضل الدكتور على مظهر ، الذي تفصل فقدمنا إليه ، وتولى ترجمة هذا
الحديث الذي تقدمه إلى القراء فيما يلي :

زيارت مصر وأثرها في نفسه

كان أول ما توجهنا به إلى الأستاذ أن سألناه عن الأثر الذي أحدثته في نفسه زيارته
مصر ، فقال :

« إن إنساناً يكره حياته لدراسة اللغات المصرية القديمة. لطبيعي فيه - من غير شك - أن تتوجه نفسه إلى قراءة ما يتصل بحضارتها من جميع الوجوه ، ولذلك كنت قد فرغت وبحثت في شغف واهتمام زائدين . وقد كنت أسمع كثيراً عن مصر ومبلغ رقيها ، وعن آثارها ومعظمها . فكانت ذلك كله يبعث في نفسي الرغبة نحو الرغبة لزيارتها ورؤيتها بعيني رأسي : أما الآن ، وقد أتيت إلى هذه الأمية ، فرأيت بعيني ما لم أره من قبل : فأني أصارحك لقول إن ما رأيته أحسن وأعظم وأجل بكثير مما سمعته : لأنني ألمس بنفسى صوراً حية . لم يكن حين ما سمعته أو قرأته بكاف لينقل لي صورة صحيحة عنه » .

رسالة الجامعات

وهنا انتهينا الفرصة . فسألنا الأستاذ - باعتباره أستاذاً في جامعته كبيرة - عن ماهية رسالة الجامعات والغرض من الدراسة فيها ، فقال :

« إن الغرض الأساسي من إنشاء الجامعات على اختلاف أنواعها . بل إن الرسالة التي تقوم بها الجامعات على تعدد جنسياتها تنحصر في إرشاد الطلاب إلى سبيل البحث الحر . وتفكير صحيح : أعني أنها تبث فيهم روح التحقيق العلمي لما يعرض لهم في مختلف المسائل العمة من شئون : وبعبارة أخرى : إرشادهم إلى طريقة استعمال المفتاح » .

« وليس الغرض من الجامعات حشو أذهان الطلاب بالمعلومات . أو الحقائق الثابتة على أنها معومات أو حقائق لا مفر من تصديقها . وإنما مهمتها وفق أذهانهم وإثارة السيل أمامهم . ذلك أن العلم بحر متراعى الأطراف لا ساحل له . ومثل الطالب منه مثل ريان السفينة الذي يحب أن يتعلم كيف يكون رباناً ماهراً . حتى يقود سفينته في مأمن من الزطاع ولأواء » .
« والخلاصة هي أن الجامعات ليست مدارس تعلم تفصلاً بذاتها . وإنما هي معاهد حرة مهمتها البحث في أصل العلم وكنهه » .

استقلال الجامعات

ثم سألناه عن مبلغ استقلال الجامعات في ألمانيا ، فقال :
« بالرغم من أن الحكومة هي التي تدفع مرتبات الأساتذة . فإن الجامعة مستقلة تمام الاستقلال . والأساتذة لهم تمام الحرية المطلقة في جميع دراساتهم وأعمالهم ، سواء أكانت علمية أم أخلاقية أو اجتماعية ، حتى المسألة الدينية ، فانهم غير مقيدون فيها برأي من الآراء » .

مبلغ عناية جامعات ألمانيا بالحضارة المصرية القديمة

نمنا إلى الأستاذ عن مبلغ عناية الجامعات في ألمانيا بحضارة مصر القديمة ولغاتها، فقال:
« إن عناية جامعاتنا بهذه الحضارة عناية كافية، وحسبك لتعلم مقدارها أن تعرف أنه
في أكثر من سبع جامعات ألمانية توجد كراسي لدراساتها؛ مثل جامعات: برلين، ولايبزج،
ويون... إلخ. وفي جامعة برلين وحدها يوجد الآن عشرة طلاب يتخصصون في دراستها». و
واتهرونا فرصة هذا للسؤال عما إذا كانت هذه العناية قد كثرت أم قلت عما كانت عليه،
بعد الحرب العالمية فأجاب: بأنها لم تتغير مطلقاً.

هل يرجع قدماء المصريين إلى أصل عربي؟

وسألنا الأستاذ - أيضاً - عن فكرة قرأناها لبعض الكتاب، يدور محورها حول إرجاع
سبب قدماء المصريين إلى أصل عربي، لوجود بعض العلاقات بين اللغة الهيروغليفية وبين
اللغة العربية، فقال:

« ليس هذا بالسؤال السهل أو الهين، أو الذي يجاب عنه في كلمات معدودات، أو في
من هذا الوقت القصير. وكل ما أستطيع أن أقوله لك الآن هو أن رأيي في قدماء المصريين
من أصول إفريقية امتزجت ببعض العناصر الآسيوية، فأثرت في لغتهم بعض التأثير
الظاهر في المفردات وغيرها ».

« عني أنه وإن كانت ثمة علاقة بين اللغتين: الهيروغليفية والعربية، فإنها لا تكفي للقول
بأن قدماء المصريين من أصل عربي ».

« ثم نلاحظ أن النصوص الهيروغليفية المكتوبة قديمة، بل أقدم بكثير من النصوص
عربية المكتوبة، التي لم توجد إلا في أوائل الإسلام ».

تحقيق الكلمات المصرية القديمة

ثم سألناه كيف تسمى لها تحقيق معاني الكلمات المختلفة وهي قد تأتي في مواطن مختلفة
بمعان مختلفة، فقال:

« لكي أشرح ذلك أضرب لك مثلاً:

« فلننظرنا على كلمة مجهولة المعنى في موضع ما كما هي الحال في الجملة الآتية:
« دخل الملك... (كلمة مجهولة)... إلى المعبد. وفي موضع آخر جاء فيها.. فتح الكاهن...
(كلمة مجهولة) . وفي موضع ثالث كان مصراع... (كلمة مجهولة) مصنوعاً من حشب الآرر.

وفي موضع ربع ... حُف دائر ... (كلمة مجهولة) بحجر الخير : وفي موضع حامر ... كان (كلمة مجهولة) ... بين هو القرائين بدندرة . وهو كل الآلهة المقدسة . طوله حمة أذرع في عرض ثلاثة أذرع : وعلى هذا يكون معنى (لكلمة المجهولة) في هذه الموضع الخمسة إما باباً أو بوابة . ولتحقيق هذا الغرض كتبت كل الكتابات الموجودة على الحجارة ، وعلى ورق البردى - الموجود في كل المتاحف على وجه الأرض وفي مصر - . وصورته آلة مصورة أو بأية طريقة أخرى وجمع كل ذلك . وقد كتبت تلك المصوص التي خست على حذون من ورق بحجم معين بحبر الطبع على الحجر . وقسمت أقساماً : كل قسم منها مكون من ثلاثين كلمة ، وفي جانب كل ورقة كتبت صورة ترجمة مؤقته . وطبعت كل حذادة ثلاثين مرة . وبهذه الوسيلة أصبح لدينا من كل حذادة ثلاثون صورة متشابهة تماماً ، وبممكننا إذن أن نستعمل كل حذادة من هذه الحذاذات لكل كلمة من الثلاثين كلمة المكتوبة على الحذادة الواحدة ، وبهذه الطريقة أيضاً أمكننا أن يكون لدينا كل ما كن الدلالات ولاشعار لكل كلمة واحدة . وبهذا أصبح لدينا لكل كلمة مكانها وعلاقتها بكل نص .

أى الخصائص نبع أنفع مصر : الشرقية أم الغربية :

وسألناه عن أى الحصارين أتقع لنا معشر المصريين ، باعتباره عالماً بتاريخهم ، أقدمه والحديث ، فقال :

« للمصريين الحق كل الحق في أن يتجهوا نحو المثل الأعلى بالفريق التي يرونها أصح لأنفسهم ، فهم أعرف بحاجاتهم وبما يصلح لهم أكثر من غيرهم . »

« وقد عرفت كثيراً من الطلبة المصريين في ألمانيا ، فتبينت فيهم قدرة على الاصطفاء بأعباء البحث والعلم قدرة فائقة ، كما عرفت فيهم الجد والفضاضة . »

« وإنه لم يخب الشباب في مصر أن يترك حراً يختار طريقه في حياته المستقبلية . من للشباب كما للرجل فكراً يختلف لا باختلاف السن ولكن باختلاف التفكير : فقد يصيب الشاب وقد يخطئ الرجل ، وأنا شخصياً لم تلق إلى نصيحة ما وقت أن كنت في سن الشباب . بل ركن للزمن والتجارب ، لأن المستقبل للشباب دون الكهول ، والزمن كفيل بإرشادهم إلى ما يحسن بهم عمله . »

ولما وصل بنا الحديث إلى هذه النقطة ، آذن صوت الناقوس ببدء محاضرة الأستاذ ، لى ألقاها بلفظه الألمانية ، وترجمها صديقنا الدكتور مظهر إلى العربية بعنوان « قاموس اللغة المصرية القديمة » فاكثفينا بهذا القدر

مملكة الحيرة في أيامها الأخيرة*

بقلم الأستاذ يوسف بك غنيم

وزير المالية العراق الأسبق

٤ : الزائدة

٦١٧ — ٦٢٨ م

غلب إيس على ولاية الحيرة رجل فارسي سماه حمزة الأصمفاني^(١) زاده بن ماهبيان بن مهر بداد الهمداني، وجعل مدة ولايته ١٧ سنة. وقد ابن الأثير: اسمه زائدة بن مانيان همداني^(٢)، وسماه بعض الكتبة روزني بن مرزوق^(٣). ولم تقف على أعماله والأحداث التي تمت في أيامه. والظاهر أن كسرى أبرور حنح - بعد قتل النعمان بن قانوس وانكسار حش في واقعة دي قار - إلى سياسته فارسيه تحت في الحيرة». وذلك بتعيين عمال من الفرس عليها، وهكذا قضى على سلطان المناذرة.

وفي أيام هذا المرزبان خلع كسرى أبرور وقتله مهر هرمز بن مردنشاہ فادوسبان بنمروذ، عن ميراد الطبري^(٤)، وحلّس على عرش الآكسرة شيرويه بن أبرور، وجاء في بعض الروايات عن سبب خلع كسرى أبرور وقتله ما يأتي:

مسند هذا الملك النصاري وقتل في إبان الاضطهاد لسطاس الشهيد يزيد بن صرافه، في صراف الملك، وكان نصرانياً واستولى على أمواله. فاتفق ابنان يريدين وهما شططا ومهر هرمز (ويسمى هذا الأخير قرطاق أيضاً) مع فريق من أشرف الدولة ورفعوا لواء ملبس على كسرى أبرور وبدوا بحمله وتنصيب ابنه شيرويه، واستأذن ابنان يريدين شيرويه في قتل أبيه فأذن لهما وقتله مهر هرمز^(٥). ثم عاديا في عملهما وقتلا ولاد كسرى كلهم

* راجع «المعرفة» عدد ديسمبر ١٩٣٢.

(١) كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والانبيا من ٧٤ (٢) الكامل ١: ٢٠٠ (٣) شير: كلدو (٤) الطبري ٢: ١٥٩ — ١٦٦ (٥) صيف بعصم اسمه نيهورمز، ويظهر من رواية الطبري ٢: ١٦٦ أن مهر هرمز هو ابن مردنشاہ فادوسبان بنمروذ. ويؤيد هذا قول ما جاء في تاريخ كلدو وثور لادي شير ٢: ١٤٢ أن نيهورمز اتفق وشتمنا لأن كسرى أبرور كان قد قتل أباه أيضاً. أما (لابور) في كتابه الفرسي «تاريخ المصراية في فارس» ص ٢٣٥، فإنه يوحد قرطاق أو قرطاق ونيهورمز.

يعاونهما في أمرهما عظماء الدولة ، ويقال إنهما ، معنأ في غاوأتهما وحاولا الاستيلاء على الملك وإقامة سلالة مالكة من أسرتهما ، وثبتت الأحوال موالية لهذه الخطط . إذ كان جيش لروه في تلك الأرجاء ، وكان الامبراطور هرقل يسر أن يرى على عرش الآ كاسرة ملكاً نصرانياً يخضع له ويطلب حمايته ^(١) .

حذر شيرويه الموقف فقبض على شمطا ، إلا أن شمطا تمكن من الفرار والتحق إلى الحيرة فلم يجده هذا الالتجاء نقماً ، لأن الحيرة العربية كانت قد فقدت شبه استقلالها . ثم تكرر بعد ملحقاً لأعداء ملك الملوك . فقبض شيرويه على حصصه وقطع يديه وسجنه ^(٢) . وذكر الدينوري ^(٣) رواية غير هذه الرواية في سبب خلع كسرى أبرويز لا محل لذكره . وفي كتاب أرسله إليه ابنه شيرويه بين له فيه سوء إدارته وعمله التي أدت إلى خلع . وثنا قال فيه لأنما أباه ومنها قتل العمان بن المنذر وصرفت ملك أرضه عن ولده ومن بنته إلى غيره ، يعني إلياس بن قبيصة الطائي . فم تمم فيهم ما كان يحفظه أبوك من حصته بهرام جور جدك ومعونته بعد أن خرج الملك عنه حتى رده عليه . فكل هذه دنوب ارتكبتها وآثام اقترفتها . لم يكن الله ليرضى منك . فأحذرك بها ^(٤) .

٥ : المنذر الخامس ابن العمان أبي قابوس

وهو المنذر المغرور

٦٢٨ — ٦٣٢

ذكر بعض المؤرخين ملك المنذر المغرور ابن العمان أبي قابوس على الحيرة بعد أن تبع الملك عن بيته . وتولاه غير واحد من الدخلاء من عرب وفرس . ولكننا نجعل الوسائل التي مهدت له السبل لإعادة سلطان آبائه وأجداده . وإن قلنا شيئاً فاذ ذلك إلا من طريق الخدس والاستتاج . فنظن أن دولة الآ كاسرة صغفت في هذه لمطابري بعد قتل كسرى أبرويز (٦٢٨) واستفشار الروم على الفرس في عهد القيصر هرقل ، وحاض الفتن الداخلية والثورات القومية ضغناً على إبالة . ففتت في عهد الفرس . وهدمت أركان سيطرتهم ، حتى قام على عرش الآ كاسرة في غضون أربع سنوات عدد من ملوك وملكات منهم : شيرويه بن أبرويز ، وشهرذاد ابن شيرويه ، وشهرياز ، وجوان شير ، وبوران ^(٥) . ولم يستقم الأمر لأحد منهم .

(١) لا بور : المصرية في بلاد فارس ص ٢٣٦ (٢) الطبري ٢ : ١٥٩ — ١٦٦ ، ولا بور : ٢٣٢

٢٣٦ . وادي شير ٢ : ٢٤١ — ٢٤٣ (٣) أخبار الطوال : ١٠٦ — ١١١ (٤) كذلك ص ٥١١٠٧ الأحرار

الطوال : ١٠٦ — ١١٠ .

حللوا أو قتلوا، فهذا الاضطراب في دولة الآكسرة ربما هو الذي سهل السبل للمنذر المغرور أن يستعيد ملك الحيرة، ولكن لم يطل الأمد عليه حتى جاءت جحافل الفاتحين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق في سنة (١٢ هـ ٦٣٢ م) وفتحوا الحيرة. أما المنذر فذهب إلى البحرين وأسلم، وكان يقال له قبل إسلامه المغرور، وسمى نفسه بعد إسلامه المغرور^(١). وفي رواية^(٢) أن ربيعة ملكوه عليهم في البحرين لما ارتدوا وقتل في واقعة حوالة^(٣)، وذكر الطبري أن الحطيم بن ضبيعة أخا بني قيس بن ثعلبة ارتد في البحرين، ورسل إلى غير واحد واسمه المغرور ابن سويد أخى النعمان بن المنذر، فبعثه إلى جوائا، وقد أثبت فاني إن ظفرت ملكك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة^(٤).

٦: فتح الحيرة

اشتهرت الحيرة بين العرب بجبالها الفتان، وزخرفها الجذاب، وموقعها الره، وقصورها ماهرة، وسارت الركبان بذكرها لوجودها في آخر ريف العراق قريبة من البادية على طريق أنواف ومسير القبائل. وللصلات القومية بين سكانها وسكان جزيرة العرب، ولهذا نرى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكرها غير مرة في حديثه على ما رواه المؤرخون، ومن ذلك ابتهاجه بنصرة العرب على المعجم في واقعة ذي قار، كما مر بنا، وفي كلامه مع عدى بن حاتم. قال عدى: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال لي: يا عدى بن حاتم، أسلم نسمة؟ ثلاثاً - فقلت: إني على دين. قال: إني أعلم بدينك منك، فقلت: أنت عمي بديني مني. قال نعم، ألت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك، قلت بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك. وقال حاتم: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها. فقال: أما إني أدعوك ما الذي يمنعك من الإسلام. تقول إنما أتباعه ضعفة الناس ومن لا قوة له، وقد رمتهم لعرب: تعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد سمعت بها، قال: فوالذي تقسى بيده ليؤمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظمينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد وليفتحن كسور كسرى بن هرمز (قال) قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن ما حتى لا يقبله أحد. قال عدى بن حاتم: فهذه الظمينة تخرج من الحيرة وتطوف بالبيت من حوار. ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي تقسى بيده لتكونن نائمة. لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قالها^(٥).

(١) ابن الأثير ٢: ١٥٤ (٢) الطبري ٣: ٢٥٥ (٣) كذلك ٢: ١٥٧ (٤) الطبري ٤: ١٥

١٥٠، مسند عدى بن حاتم من كتاب سند الامام أحمد بن حنبل، ومجلة المشرق ١٩٠٥، ص ٥٠٧.

ودكرت الحيرة أمام النبي . صلى الله عليه وسلم - غير هذه المرة . حكى ابن الأثير
 النبي - صلى الله عليه وسلم - لما افتتح مكة قدمت عليه وفود لعرب . فكان فيمن قدم عليه
 قيس بن عاصم وعمر بن الأعمى بن عمه . فلما صاروا عند النبي تسابوا ونهارا . فقتل قيس بن
 الأعمى . والله يا رسول الله ما هم مما وإسهم لمن أهل الحيرة . فقال عمرو بن الأعمى . بن هو
 والله يا رسول الله من الروم . وليس منا . ثم تشدد شعره وحابه عمرو بن الأعمى بشعر عمر بن
 به وبالحيريين ومن ذلك قوله :

ما في بني الأعمى من طائل يرجى ولا خير له يصلحون
 قل لبني الحيرى مخصوصة تظهر منهم بعض ما يكتنون
 لولا دفاعكم عنكم أعداء مكعب الحيرة ما يسلحون
 جاءت بكم عفرة من أرضها حيرية ليست كما ترعمون
 في طاهر الكف وفي عطشها ومن الله الذي تكتنون^(١)

ودكر أيضا عدي بن حاتم قائلا : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر ما رفع
 له من البلدان . وذكر الحيرة فيما رفع له . وكان شرف قصورها . فمراس السكاب عرف ر
 قد أربها وأنها ستفتح^(٢) .

وقال شويل محدثا خالد بن الوليد : إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر
 فتح الحيرة . فسألته كرامة بنت عبد المسيح . فقال : هي لك إذا فتحت الحيرة عبوه وشهد
 له بذلك^(٣) .

هذا ما جاء عن النبي محمد بن عبد الله في ذكر الحيرة وفي مجموع في فتحها . وذكره
 يتم من أمر ذلك شيء . لا بعد أن تولى الخلافة أبو بكر الصديق . وكان أول من غزا أرض
 العراق من المسلمين : المنذر بن حارثة الشيباني . وآخر سويد بن دهمس^(٤) . أمضى . فقتل
 حتى رلا فيمن جمعا بتخوم أرض الحيرة . فكان يغير رعي لدنفاقين في حداث . فدرسه
 قائد طلبا أمعا في البر فلا يتبعهما أحد . وكان المنذر يغير من ناحية الحيرة . وسويد من ناحية
 الآبية . وذلك في خلافة أبي بكر . فكتب المنذر بن حارثة إلى أبي بكر - رضي الله عنه -
 يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ويسأله أن يبعده ببجيش . فما انتهى كتابه إلى أبي بكر -
 رضي الله عنه - كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد . وقد كان فرغ من أهل الردة . أن يسير
 إلى الحيرة فيحارب فارس ويصم إليه المنذر ومن معه . وكره المنذر ورود خالد عليه . وكان

(١) الأغاني ١٢ : ١٥٠ (٢) الطبري ٤ : ١٥ (٣) كذلك (٤) وجاء في معجم البلدان في
 المادة « نهمان » أن أول من قدم أرض العراق لقتل أهل فارس حرمة بن مريظة وسيد بن
 التين فزلا بعد ولعن والحمرانة . وكانا من المهجرين ومن صالحى الصحابة

من أن نأبكر سيوليه لأمره : فسار خالد في سنة (١٢ هـ ٦٣٢ م) إلى العراق حتى نزل
بغداد ، وباروستا (٣) وأليس (٣) ، وكان الذي صالحه عليها بصهرى بن صديبا . وكتب
حالد بن الوليد لهم كتاباً فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من خالد بن الوليد
صودى وممرله بشاطيء الفرات . بك أم من بأمر الله على حق دمته في إعطاء
جزية عن نفسك وحزرتك وأهل قريقتك . باقيا وسميا . على ألف درهم جزية . وقد قبلنا منك
دمى من ملى من المسلم بنذنت . فلك دمه لله . ودمة التى محمد . صلى الله عليه وسلم .
وممهم من على لك . شهد هشام بن الوليد . وحرر بن عبد الله بن أوى عوف . وسعيد
بن عمرو . سنة ١٣ و سلام . ويروى ذلك . أنه كان سنة ١٣ » .

ثم قدس خالد بن الوليد حتى دنا من الحيرة فخرجت إليه حيول راء . صاحب جبل كبرى
في مائة ما بينه وبين العرب فلتوه . تجمع لأمره . فتوجه إليهم المنى بن حارثة
أبوهم . ومضى رى دمت أهل الحيرة فخرجوا يستقبروه . فم عبد المسيح بن عمرو بن
بنيهم . بن قبيصة . فقال لهم خالد : « نى أدعوكم إلى الاسلام . فن قبلتم فلكم ما لنا
وعبيكم ما غلبنا . وإن أئيم فالحرية . وإن أئيم فقد حنناكم قنوه بحبون لموت . كما يحبون
موتهم . فمهم . لا حاجة لنا في حررت . فقد لهم على تسعين ومائة ألف درهم . فكات
ون حريه . فمهم إلى المدينة من العرب . وصالح خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوت
فقتلوا (٥) .

سار بن عبد الله لم يدم طويلا . لأن الحكومة المركزية فارسية عمت بالأمم
في طيوش . فمهم . فمهم خالد بن الوليد . ولقد راه بحارب في شهر صفر
من سنة عينا في لولحه وأليس و اممشيا . واعد أن تنصر في هذه الموقع سار إلى الحيرة

١ ناحية من بواحي الكوفة وذكرها في الفتوح (٢) من يوت : « دروستا ناحيتان من
سور . عدان . ويقتل لهم باروستا الألى وباروستا لأسفل من كورة الأستان الأوسط (٣) . أليس
نيرة من قرن الأبار (٤) راجع معهم . بهلذان المائة « باقيا » . وجاءت صورة هذه الرسالة
في سبى : « ٣ باليس الآلى : « بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد لابن صولوا
صودى وممرله بشاطيء الفرات . بك أم من بأمر الله إحق دمته إعطاء الجزية . وقد عضيقت
عن نفسك وعن أهل حرجك وحزرتك ومن كان بقريقتك . باقيا ودروستا . ألف درهم قبلتها
منك وشهد هشام بن الوليد » .

وحمل الرجال والأثقال في السفن ، فخرج مرزبان الحيرة ، وهو الأراذبة ، فحسب عند الفريين .
وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن ، فبقيت على الأرض . فسار خالد في خيل نحو ابن الأراذبة
فلقيه على فرات بادل ، فضربه وقتله وقتل أصحابه ، وسار نحو الحيرة فهرب منه الأراذبة ،
وكان قد بلغه موت أردشير ^(١) وقتل ابنه فهرب بغير قتال ، ونزل المسلمون عند الفريين
وتحصن أهل الحيرة فحصرهم في قصورهم ، وكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض
وفيه إياس بن قبيصة الطائي ، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر المدسين وفيه
عدي بن عدي المقتول ، وكان ضرار بن مقرن المزني - عشر عشرة إحوه له - محاصراً قصر
بني مازن ، وفيه ابن كمال ، وكان المثنى محاصراً قصر ابن ببيعة ، وفيه عمرو بن عبد المسيح
فدعاهم جميعاً وأجلهم يوماً فأبى أهل الحيرة ولجوا فناداهم المسلمون ، فهدد خالد بن
مروان أن يبدءوا بالدماء ، فان قبلوا قبلوا منهم ، وإن أبوا أن يؤجروهم يوماً ، وكان ضرار بن
الأزور على قتال القصر الأبيض ، فأصبحوا وهم مشرفون . فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام .
أو الجزاء ، أو المنابذة ، فاختاروا المنابذة وتنادوا عليكم الخزاري ، فقال ضرار : تنحوا
لا ينالكم الرمي حتى ننظر في الذي هتفوا به . فلم يلبث أن امتلأ رأس القصر من رجال
متعلق الخالي رمون المسلمين بالخزاري . وهى المداحي من الخزف - فقال ضرار : ارشقوه
فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل فأعروا رءوس الحيطان . ثم بنوا حارثهم فيمن يليهم ، وصح أمير
كل قوم بمثل ذلك فافتتحوا الدور والديارات وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والريان
يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم ، فنادى أهل القصور : يا معشر العرب قد قبلنا واحدة من
ثلاث فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً ، فخرج إياس بن قبيصة وأحوه إلى ضرر
ابن الأزور ، وخرج عدي بن عدي وزيد بن عدي إلى ضرار بن الخطاب ، وخرج عمرو
بن عبد المسيح وابن كمال هذا إلى ضرار بن مقرن ، وهذا إلى المثنى بن حارثة فأسسوه
إلى خالد ، خلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين . وبدأ بأصحاب عدي وقل : ويحكم
ما أقم عرب . فما تنعمون من العرب أو العجم ، فما تنعمون من الأوصاف والعدل ، فقال له
عدي : بل عرب طارئة وأخرى متعربة ، فصالحوهم على مائة وتسعين ألفاً وتتابعو على ذلك
وأهدوا له هدايا ^(٢) .

يوسف غنيمة

[للبحث بقية]

(١) ابن الأثير ٢ : ١٦٣ .

(٢) الطبري ٤ : ١٢ .

صفحات في الادب الألماني

هردر

بقلم الدكتور علي مظهر

هو يوهان جوتفريد هردر، ولد في اليوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٧٤٤م ببروسيا لشرقية، وكان أبوه معلماً فقيراً في مدرسة، وكان يكبد ويكدح كدحاً متواصلاً للحصول على ما يسد حاجته الشديدة. أما الابن فقد تنقل من منزل واعظ إلى منزل من حنفية، ثم سافر مع طبيب إحدى القبائل إلى (كوبنجر ج). وقد تعلم على يديه الجراحة، وتم له أخيراً أن أعطاه ذلك الطبيب ما يلزمه لدراسة الطب في بيتربورج - حاضرة روسيا سابقة -، وكان الولد حياً خجولاً كبير الاحساس منزوياً عن الناس؛ ولما بدأ دراسته وحضر أول عملية أجروها أمامه سقط مغشياً عليه، فترك دراسة الطب، وعدل عنها إلى دراسة اللاهوت. وكان يعطى دروساً أثناء دراسته فيما تجمع له من ذلك، وما كان يمد به عنده الكبير، كل ذلك جملة يتم دراسته وهو في غنى عن كل مساعدة من ثوبه. ومن حضر دروسهم واستمع إلى محاضراتهم في مدينة (كوبنجر ج) الفيلسوف المعروف (إمانويل كانت) فائز، في تكوينه العقلي ثراً دائماً، ثم (يوهان جورج هامان) الذي اشتهر بتفوقه في فهم الأمور الدينية على كل معاصريه، وعرف بأسلوبه الغامض ذي الألفاظ؛ وجعل هردر يقر (شكسبير) و (أوسيان) ويهيم ما كتباه، كما جملة يميل لشعر الشعبي.

ففي لفترة بين سنة ١٧٦٤ و ١٧٦٩ في مدينة (ريجا) يدرس في مدرسة لبيعة (الكتدرائية) هناك، ثم صار واعظاً منذ سنة ١٧٦٧. ولكنه اعتزل ذلك المنصب ليتصل بتعاهد التربية وتهذيب الشهرة في الخارج، فسافر بحراً من (ريجا) إلى (نات) ومنها إلى (باريس)؛ وكانت هذه الرحلة سبباً في تبدل نظام حياته عما قبل. فقد عهد إليه - وهو في (باريس) - ثرفة الأمير (فون هولشتير) إلى (إيطاليا). وكانت السوداء قد غلبت على نفسه. فقام ناعهد إليه وسافر عن طريق (هامبورج). وهناك تقابل مع (لسنج). ثم سافر إلى (كيل) بتقديم إلى الأمير. وبدأ سياحته معه سنة ١٧٧٠. وتنقل فيها بين (هامبورج) و (هانوفر) و (جوتن) و (دار مشتات)، وفي منزل المستشار الحرنى (مرك) تعرف بروحه في

عن نفسه والتكلف ، لشعر المصادر عن الطبيعة يمكن أن تصل لفهم كل شعر فيها صحيحاً صادقاً ، كما يمكن معرفة كل تاريخ للشعر .

و . د . (غائاته النقدية) يتكلم ويحدث . كما فعل في (فضعه) ، ويتكلم عن (هومير) وحسن فهمه لأشعاره وآثاره . كما تراه يتكلم عن قصص الأبطال الخماسية - الملاحم على رأي ستان - ويتكلم عن طريقة الفصحى ومناهج الصاذقة . واستنكر تلك الطريقة التي تقضى حكمه على شعره . ثم جاء حسب أدوائه وعوائده العصر الحديث . وحسن بصلاله ومناقشته . مع أنه ليس خديعاً للذين لم يتمكنوا من فهم روح العصر القديم . وقد ذكرنا في تلك المباحث عن (هورن) لسبح . وتوصل إلى نتائج أخرى . ويظهر أنه كان غير موفق في هذه المباحث . وقد أعجب (هردر) بما في الأغاني الشعبية (لأوسيان) . كما أعجب (هومير) من نيس . وكذلك أعجب (شكسبير) . لأنه وجد أن أشعر هؤلاء صادرة عن فطرة طبيعية . وهذا شيء مع حقيقته في شعر (هورن) في نفس دماي (سنة ١٧٣٠) . وهي تشير إلى أن الشعر ليس هو من نفسه . ثم نشر (هردر) رسالتي الأولى خاصة به (أوسيان) . وهي شعوب المتمدنة . والثانية خاصة به شكسبير . وفي هذه الأولى أن يفصل (هردر) بين شعر وشعر الحضرة عن لغة تكلم وتصنع . ويبين فيها ما تأغى الشعبيين من لغة موسيقى . أي غير مباشر . ووصاف شخصية . ووضوح وبين . يرى في لغة الشعر أن فيه أنه عمل سائر على قواعد وصول . ولكنه لا يصدر عن فطرة طبيعية . بل أناس يفتن وينسج أشياء لم يفكر فيها . ويتسمع العشق وليس به من غرام ، ويتلد قوى الروح التي ليست له .

ثم ما كان عن شعره . أما عن شعره . يرى في (لانتيل) شراً جيداً صحيحاً . لا سيما في لغة معاصرة . و (هردر) تحدث في شعر العبرانيين . فتراه يشير إلى ذلك في مؤلفه (أقدم سوكا وروث في بن شعر) . وفي مؤلف ثان أسماء (روح شعر العبرانيين) .

ومن حينها كتب (هردر) في فلسفة التاريخ : رسالته المسمونة (آراء في فلسفة تاريخ الإنسانية) . وفي هذه الرسالة الشعرية الكثيرة الخيال بين (هردر) لتصور الحادث من أن سبعة خيرة الإنسان ويكون مبدأ لفلسفة التاريخ . ويضم إلى تلك الرسالة (خطاباته إلى لانتيل) وواضح من عباراتها أنه يعمل إلى تربية وتهذيب الإنسانية . ويرى من الآراء الإنسانية تميز لمشوء والارتقاء . وهي قابلة لتطور الدائم . وأن افترض الأسس لطبيعة سائر هو الإنسانية . وترى في قولها هذا موضعاً للنظر .

ومن مؤلفاته في النقد (التقليد الشعرية) . منه بعد أن أوضح فصل شعر الحضرة على نفسه بواسطة لنقد وحته على حب أغاني الشعب . تراه يخرج للناس مجموعة طيبة من

تلك الأغاني الشعبية لأمم شتى وعصور متباعدة . كثيراً ما أُعيد طبعها بعنوان (أصوان الشعوب في الأغاني) وهو العنوان الذي تخيره لها ناشرها سنة ١٨٠٧ (الهر يوهان فور مولر بتوبنجن) . أما الاسم الذي كان قد تخيره لها (هردر) نفسه ، فهو (أغاني الشعب) ، وهو أول من أوجد هذا الاسم ، وفي هذه المجموعة تقرأ أغاني من بلاد اليونان ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وإنجلترا ، وأسبانيا ، وجرينلند ، ولا بلاند ، وأيسلند ، وبيرو ، ومدغشقر . بعضها مترجم عن تلك الشعوب والأمم . وبعضها مقلد لما نظمته تلك الشعوب من أغاني ؛ ومن ذلك ترى قدرة (هردر) المحيية على أن يقول شعراً في معناه ومبناه . وما اشتمل عليه من آراء وأخيلة غريبة عنه مثل ما لتلك البلاد الكثيرة ، وتراه يتعمق في فهم تلك الأغاني الأحبية عنه بروحه اللطيفة .

ولما كانت السنة الأخيرة من عمره أخرج لناس آخر مؤلفاته . لعنى به (السيد) ، وكان عبارة عن مجموعة من قصص الخيالية الأسبانية عن حياة وأعمال بطل من أبطال أسباب الوطنيين المسمى (رود ريخو ديار اذفونش كونت بينفار) المتوفى سنة ١٩٠٩ في أيام الملك (الفونس) السادس . وكان يعرف أيام حياته بالسيد الكبيادور ، أو (شيخ المعسكر) . والسيد البطل . كما عرفه بعض الأندلسيين بذلك . وقد جمع تلك القصص الخيالية وجعل منها ملحمة في أربعة أجزاء : السيد في عهد (فرديناند) الكبير ثم في عهد (شارلو) القوي . ثم في عهد اذفونش و (الفونسو) الشجاع ، وأخيراً لما كان في (بلنسية) وفي مماته . وفي هذه الملحمة يظهر لشعر فيها السيد مثالا لكل فضائل الفرسان ومثالا للشجاعة والتقوى ؛ والصراحة وحب الحرية رغم الزمن العصيب الذي ظهر فيه . وهو الزمن الذي ما كان يعرف فيه غير الوحشية . والتسود . والانتقام . والتقتيل ، والعنف ؛ وقد تقل جل تلك القصص عن السيد من ترجمة فرنسية ثراً . ولم تكن عن الأسبانية نفسها الأصلية .

وكثيراً ما كان يهتم القافية في قصائده التي نظمها من عنده . وإن يكن لبها ما كان حكا وموعظة . ولكنه كان لا ينظمها إلا بكيفية صعبة غير مفصلة ولا واضحة . ولكن قصصه الكبير تراه في أقاصيصه . وبذلك أعاد للأدب الألماني ما كاد يفق أثره .

ولم يكن (هردر) بالمعبري الكبير الذي يأتي بشيء من عنده ويفرف من بحره . فلا ترى له من المؤلفات العقلية الخالدة شيئاً ما ، ولكنه كان بفطرته شاعر تلك الضميمة الفطرية التي كانت تجعله يشغل بكل جميل فيفرد بذكره شعراً . وأن يجعل لذلك لباً وشكلاً . وقد فتح الأبواب ومهد السبيل لفهم الشعر الصحيح . وكان يعمل ويحذ في مواضيع ممتدة . وكانت غاية الغايات لكل الأعمال في ربه . إنه ترمي إلى تربية وتهذيب الانسانية . وكان منقوشاً على خاتمه . كما رقم على قبره . ألفاظ ثلاثة : (النور ، الحب ، الحياة) . وهي توضح توضيحاً شافياً ما ربه في الحياة .

طالعيات في الاسلام

أهمية المعتزلة في التاريخ

بقلم الأستاذ علي حسن عبد القادر

لم يحظ تاريخ الأديان والمذاهب عامة ، وتاريخ الدين الاسلامي ومذاهبه خاصة ، لا بعدد قليل من الباحثين في هذا البلد ، مع أنه كان يجب أن يعتنى بخدمته أكثر من غيره ، وخصوصاً عند علماء الدين الذين هم أمس به رحماً ، وأقرب إليه وشيعة ، وفوق ذلك فهو جمع بين المائدة في الدين والعلم ، فلا غرو أن يكون من شرف العلوم وأوفرها لدى الباحثين لهذه .

وقد أتى في هذا المؤرخون المتقدمون بلاه حسناً ، وكان أول كتاب من هذا النوع موكب الآراء والديانات ، الذي ألّفه النونجي ، وقد استوعب فيه الكتب اليونانية التي كان قد نقلها إلى العربية^(١) . وللمسعودي صاحب مروج الذهب كتابان مختلفان في تاريخ الأديان ، وقد ورد ذكرهما كثيراً في كتبه^(٢) . وقد كتب المسبجي المتوفى (٥٤٢٠ هـ - ١٠٢٩ م) في كتابه وصف الديانات والحضارات رهاء خمسمائة وثلاثة آلاف صفحة في تاريخ الأديان وحدها ، وقد قيل إنه بذل في هذه الناحية وحدها أقصى جهده ، وما وسعته نفسه من دكا ، وعلم ثم جاء بعده أبو منصور البغدادي المتوفى (٥٤٢٢ هـ - ١٠٣١ م) وألف كتابه القيم في ذلك . كما تلاه ابن حزم الأندلسي المتوفى (٥٦٥ هـ - ١٠٦٤ م) وكتب مؤلفه في الملل والنحل ، الذي جمع فيه صنوفاً من العلم والحكمة ، على حين ألف البيروني كتابه تاريخ الهند (فوصف فيه أديان الهند وصف شافياً^(٣) . وكذلك الشهرستاني وصاحب كتاب البدء والتاريخ وغيرهم ممن ألفوا في هذه الناحية تأليف جامعة ، وغنوا غناء مشكوراً .

ولغربيين في العصر الحديث جهود حميدة في هذا الصدد . ولهم في الدين الاسلامي مؤلفات تشهد لهم بالعلم الجهم ، والتمحيص والبحث ، الذي يدل على شغف وصبر فائق والملاحع واسع .

وبإيه ليأخذك العجب والاعجاب لدى قراءت أمثال ما كتبه : فون كريمر ، وشستينر ،

(١) المسعودي ج ١ ص ١٥٦ ، الفهرست ص ١٧٧ (٢) المسعودي ج ١ ص ٢٠٠

(٣) Meg, Die Renaissance, S 201.

وحوله دهر ، وحرم ، وغيره من المستشرقين لدى عوا هذه الأبحاث . ولا يفتن من هؤلاء العلماء بعض هئات لهم يتفاحى عنها كل دى يقين سليم . وفكر ثاقب .

وسأناول هنا بعض أبحاث فى تاريخ المذاهب لاسلامية . كمت قد عديد لعقب لتكون نواة لعمل صالح فى هذا الموضوع . وإنى 'بدا' الآن بالكلام على فرقة من فرق دات لشأن الجليل فى الاسلام . هى فرقة المعتزلة . وقد ضعف أمرها وقس من شأنها بمرمياها به كثير من الناس من الزيف والابتداع فى الدين . مع أن الاعتراف يعقده به كثير من أهل المذاهب الاسلامية . حتى أن حديث الذين اعتادوا أن يسموه من المذاهب المعتزلة . وإبه لم ينبغ له من تورع لا يسبق لسانه بالسلالة فى أحد من المذاهب موجه إلى ذلك طريقاً . ولعن خير مهتدى به فى هذا الموقف عند الحديث . فل يسم من يده .

« ما أدركت من له عقل كعقل بن مرد . جاءه رجل فقال : عليك الله حتمت مسترشداً . فى حرج دخلت فى جميع هذه الأهواء . ثم أدخل فى هوى من . إلا قرآن . حرج . ولم أخرج من هوى إلا قرآن أخرجه منه . حتى بقيت ليس فى يدي شيء . قال : أنت من حتمت . فى أن تحمداً رسول الله . وأن ما أتى به من الله حق . قال : لا . قال : فهل حتمت فى قرآن . كتاب الله ؟ قال : لا . قال : فهل اختلفوا فى دين الله ؟ قال : لا . قال : هل فى حق فى الكعبة أنها القبلة ؟ قال : لا فذكر هذه وأشبهه ثم قرأ : هو الذى سبكت الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . قال : فهل تدرى ما سبكت . قال : لا . قال : كم ما اجتمعوا عليه ولم يشبهه ما اختلفوا فيه . شد يمت فى الله . والخوس فى المتشابهة . فقال الرجل : الحمد لله الذى أرشدنى حتى يديك فوجه لك . فب من عندك وإنى لحسن الحال » (٢) .

والله لفرقة كلامية . لا تمى كثيراً . بالحق . وعندى أن كل محتمة متديت فى مرون حسب . واحتجوا به بين شكك عليهم القبلة من الله صلى الله عليه وسلم . كل قوم من جهة . فم يأمر من أحضراً بالأعادة . بن جعله مثابة من أصابها . قال بعض العلماء : هذه مسألة تعجبنى . ألا ترى أن أصحاب المي قد اختلفوا وجعلوا اختلافهم رحمة . وقال : بينهم فتدبير متديت . وقال سفيان بن عيينة . إن الله لا يعذب أحداً على ما اختلف فيه العلماء .

وترجع أهمية المعتزلة فى التاريخ إلى أن حركتها كانت الحركة الأولى فى سبيل تحرير من البدع والخرافات التى سيطرت على عقول العامة . وكانت ترمى إلى التمسك بالدين صحيح والآله الواحد لعادل . ولذا سموا أنفسهم « أهل العدل والتوحيد » . يقول عنهم (حول دهر

تلم نسمع من فم المعتزلة صوت المخالفة للدين . ولكن سمعنا صوت الصمير الممتدين الذي
باص صدى كل مالا يليق بالله تعالى وعلاقته بعبيده « (١) . وكانت تعاصر الدين الاسلامي
في هذا الوقت دين آخرى ذات عقائد محررة عن نظم فلسفية ، ولم تكن قد بحثت عقائد
الاسلام بذلك بحثاً منطقياً . فقامت المعتزلة بهذا . واستعانت بما استعان به أهل الأديان
الآخرى من حذل مضطرب . وفلسفة دقيقة . وحضت الدين لسياج من القوة ، أمام خصومه ،
وفي ذلك يقول القائل :

مأمة فوق صبر لأدرس من ملل إلا تهيب من تسأل معتزل
قوله إذ نامروا صالوا بعلمهم صول البراة حتى لدراج والخن
به درج فهمنا ومعرفة وفطنة بنطيف اقول والجدل
فكانت المعتزلة بذلك أول من أدخل الفلسفة في الدين الاسلامي . وذلك بعد أن
سلكوا كتب الفلسفة اليونانية ، وحاولوا أن يوفقوا بين الدين والفلسفة ، و سجدوا
للمطريق عرفهم بعد « بعلم الكلام » ، والى هي بحق فلسفة الدين . يقول الأستاذ (شتير) .
« يمكن أن نقول . إن المعتزلة كانوا أول من اطلع على الفلسفة اليونانية وأشأوا بهذا
عبره دفعه . وكان غرضهم من ذلك الانتفاع بالثقافة اليونانية لتضيئوها إلى الدين
الاسلامي » (٢) . وكان أهل السنة ينهرون من هذا العلم في أول الأمر . ويسهون عن هذه
مسئلة . بل أن جاء أبو الحسن الأشعري الذي تدرج في مدارس المعتزلة . وتسليح بأسلحتهم
مستبينة في مدونه بها . ثم فارقهم وواجههم بالخصومة . وصرف حياته في معارضتهم بكل
شدة ونوبيق . وكان دور أول من استعمل طريقتهما في البحث ، والمناصرة . والاستدلال
بمعه مذهب أهل الحديث . ومع ذلك لم يتدرو جهوده إلى وقت ضوئ . وفي عهده
مقرب . ومن ذلك الحين سار أهل السنة في هذا الطريق . وتابعوا معتزلة في كلامهم .
أما متأخرون وحدوا في لصرة مذهب الأشعري وروادته . حتى حين لم يجد المعتزلة قائداً
مهم واعدداً في مذهبهم . ومن هنا كانت حركة المعتزلة أساس فلسفة الاسلامية ، ولا بد
في دراسة هذه الفلسفة من معرفتها .

والمعتزلة كذلك هم الذين وسعوا علم أصول الفقه ، يظهر ذلك لمن تتبع تاريخ هذا
مذهب . وكتب الأصول المتداولة مأخوذة من كتبهم . يقول صاحب « المية والأمل » : إن أصل
كتب المتأخرين كالامام الزاري وغيره . هو كتاب « المعتمد » الذي ألهمه أبو الحسن البصري
لمعتزلي المعاصر لابن سينا (٣) .

(١) Goldzither, Vorlesung über den Islam, 5. 96 (٢) Steiner, Materialien, 85

(٣) أنولد : طبقات المعتزلة للمرتضى ص ٧٩

وكانت أهمية المعتزلة في تفسير القرآن الكريم مقطوعة النظير ؛ فقد حدثنا الأشعري ز
أستاذه الجبائي المعتزلي له تفسير في القرآن اعتمد فيه على ما ألهمه قلبه ^(١) ، وقد كتب عن
عيسى الرماني المعتزلي المتوفى (٥٣٨٥ - ٩٩٥ م) تفسيراً للقرآن ، وقد سئل الصاحب
ابن عباد أن يفسر القرآن فقال : وهل ترك لنا علي بن عيسى ما نكتبه ؟ ^(٢) كما كتب
النقاش المعتزلي المتوفى ببغداد (٥٣٥١ - ٩٦٢ م) تفسيره في اثنتي عشرة ألف صفحة .
وقد قال السيوطي : إن أبا بكر الأدهاوي كتبه في عشرين ومائة جزءاً ^(٣) ، وفاق هؤلاء
جميعاً عبد السلام القزويني المعتزلي المتوفى (٥٤٨٣ - ١٠٩٠ م) فقد فسر القرآن في ثلاثة
مجلد ، وفسر الفاتحة وحدها في سبعة مجلدات ^(٤) ، وتبين طريقته في التفسير مما ذكره السيوطي
من أن عبيد الله الأزدي المعتزلي (٥٣٨٧ - ٩٩٧ م) ذكر في تفسيره للقرآن مائة وعشرين
رأياً في معنى اسم الله (الرحمن الرحيم) ، ويكفي المعتزلة قرأ تفسير «الكشاف» لزمخشري ،
وقد ذكره ابن خلدون في موضوعين من مقدمته ونفى عليه ورغب في مطالعته ، هذا
حين كان العلماء يتورعون إذ ذاك عن تفسير القرآن .

وجملة القول أن هذه الفرقة هي أول فرقة عملت على أن يتسع نطاق علوم الدين بعد أن
كانت تدور في محيط ضيق . فهدت بذلك لازدهاء الاسلام وازدهار علومه الدينية .
وإن المذاهب الأربعة التي تسود العالم الاسلامي . قد نشأت في أيام السيادة العمية للمعتزلة .
فأبو حنيفة (٥٨٠ - ١٥٠ م) ، ومالك (٥٩٥ - ١٧٩ م) ، والشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ م) .
وابن حنبل (٥٦٤ - ٢٤١ م) . قد تسوا مذاهبهم أيام دولة المعتزلة ونهضتها ، وهنا نذكر
هذه الكعكات التي وصف بها الرحالة المقدسي المعتزلة من بين سائر المذاهب ، قال : « وفيه
رأيت فقهاء أبي حنيفة - رحمه الله - يتفكون من أربع : الرئاسة ، والحفظ ، والخشية ، ولورع .
والمعتزلة من أربع : اللطافة ، والدراية ، والفسق ، والسخرية ، والشيعة من أربع : البغضة ،
والفتنة ، والبسار ، والصيت ، وأصحاب الحديث من أربع : القدوة ، والهمة ، والاتقان ،
والغلبة . . . الخ » ^(٥) .

وبعد ؛ فهذه نواح لمعتزلة تدعو للتقدير والاعجاب بهذه النائفة الممتازة . ولكن
لا يحتملنا هذا الاعجاب على أن ننسى كثيراً من معاييرهم ، فلاننى معاملتهم الخشعة لخصومهم

(١) Spitta, cl Asari, S. 128 (٢) رُبَّوْل : طهارة المعتزلة لمراتبه ص ٩٥ (٣) جبري

حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٣ (٤) وقد السكي أنه أُلهم في سمائة مجلد طبعات ٣ ص ٢٣٠ (٥) حسن

يأمر قوتهم ، وقد سودت صميمتهم محتتهم لأهل الحديث في مسألة خلق القرآن ، كما أن هذه
فرقة قد انقسمت إلى طوائف متعددة اشتغلت بالسفسطة ، وابتعدت كثيراً عن تعاليم
الاسلام . وكانت لهم صحافات كثيرة بأبائها العقل السليم ، وهم الذين خرجوا بالاسلام - دين
عصرة - عن السهولة والبساطة إلى التعقيد والتعمق ، يقول الأستاذ (شتير) : « إن
تاريخ الاسلام - كدين سماوي فطري - ينتهي بحىء المعتزلة أولاً ، وأهل السنة الذين تابعوهم
آخرأ » . نعم فانه منذ ذلك الحين الذى نارت فيه هذه العجاجة الكلامية . وفزعت فيه
الامة إلى صحاب الفلسفة فى أمر دينها ، احتفت وراء ذلك آيات من الجمال والفطرة فى
الدين ، وتوعرت سبله المتيسرة ، وبساطته الصافية . وبين الدين من الفلسفة ؟ وأين الشىء
لأخود بلوح النارل من الشىء المأخوذ بأرأى الزائى ؟

أما نشأة هذه الفرقة ونهضتها ، ثم كيف اضمحلّت ، وغلب عليها مذهب السنة ، والجماعة
فى العالم الاسلامى : فهو ما سنعالجه فيما يأتى إن شاء الله تعالى .

على حسن عبد القادر

(١) Steiner, Mutaziliten, S. 92

مخطـة

راديو مصر الملكية

بأول شارع فاروق بالعتبة الخضراء بعمارة الأوقاف حرف « هـ » تليفون ٥٣٢٥٢

إذاعات غنائية ، موسيقى ، محاضرات لنشر الثقافة العامة ، مسابقات
وتسهيلات خاصة لجميع التجار المصريين الذين يعاونون الغرفة التجارية
فى مصر والاسكندرية للإذاعة إعلاناتهم . تسهيلات أخرى لشراء
آلات الراديو للمشاركين على اختلاف أنواعها .

والادارة فى حاجة الى (بلاسيهات) لعمليات الاعلانات بضمان مالى أو
شخصى . لتتمكن من معونة التجار المصريين فى اتصالحهم بالجمهور المصرى .
عاونو هذا المشروع المصرى الصميم ، ليتحقق غرضه الاساسى فى
نشر الثقافة العامة ، والمساهمة فى النهضة الاقتصادية المصرية .

صه صور الحياة

ابراهيم باشا...!!

معلم المدرسة

بقلم الاستاذ نقولا شكرى

لما أراد (ديكر) سيد الروائيين الانحلال أن يخرج لباس آية الاعجاز في فن قصصه، احتار أن يؤلف من ذكريات صباه تلك اليتيمة التي سماها «دافيد كور فيلد». وراد على الاعجاز في هذه الآلة الغنية التي خلدها، أنه عم الناس كيف تكون عاقبة القسوة إذ تحاول في التربية.

وكان بعث هذه الحقبة من حياته كلمة كبرى أصدرها إلى لأحلاف في الحكم على نثر في التربية القديمة.

والواقع لو أن الانسان صالح بفطرته، لكان - حسب هذا الصلاح - يعد رمز حكمته. ولكن منذ أن وحد رب الأسرة - وكان راعياً يتوكل على عصا طويلة - كان المربي - وهو معلم المدرسة - يحمل هرادة يهدد بها تلاميذه. ولما استمعنا القرن الثامن عشر سترث به القديمة وضع أساس حضارة جديدة. وكانت عدة تلك التربية: المثل، والتدوية. أما الخط الذي حفرت الحضارة - لأدهن - فهو أن الانسان قد وجد حراً، وبه كانت الحرية تكفل، لاصلاح، فلسنا بدأ في حجه إلى القصص.

رسالتى إلى القراء تلخص في صورة حية تحفظها ذاكرتى منذ عهد الصفولة. مدكت طفال ارتع بين ربوع الطاكبة وكرومها. وسيعمل هذا الموضع حياً في نفسى بذكريات الصبا المؤثرة.

صورة معلم المدرسة التي تلقيت فيها مبادئ المعرفة.

كان مثلاً لرجال العهد القديم الذين نعيمهم لأول وهلة باحتلامهم عن سائر الناس في الرى والنفس. ونعرفهم عادة سواء كانوا في اشارة أو في المجالس بلباسهم العتيق والظنار المشوش

الذى شأوا عليه وألقوه . لا يكاد يصالحهم النظر حتى يحسب الانسان أنه يتلمس من اذنانهم
أهداب العصر البائد .

كان « إبراهيم باشا » - وهذا اسمه - رجلاً قد بلغ حدود الستين ، أقرب إلى القصر منه إلى
الحول . شاب بدا على وجهه الاصفرار ، واستحوذت على ملامحه حشونة العصر السالف
وصرامته . غليظ الشفتين ؛ وغلظ الشفتين صفة ينسبها الاخباريون السالكون إلى التبحر في
اللفة والبيان .

وما كان صاحبنا من البيانيين ، ولكننا عرفناه ملماً بالعربية والتركية ، وكان حطاطاً
ليسيف الصنعة ، وإجادة الخط كانت - لذلك العهد - ميرة شائعة ، تكافى عليها الحكومة وتعهد
إلى أربابها بالوظائف ، من أجل ذلك صار « إبراهيم باشا » رئيس مدرسة أولية في أنطاكية .
وقوى ما تنصف به أنطاكية أنها محافظة شديدة التمسك بصفتها القومية .

والمعلم « إبراهيم باشا » إلى قصر قامته - الذى يستدل به (بسيكولوجياً) على رباطة الجأش
والهدوء . وغلظ شفتيه اللتين تمان عادة عن طيب القلب - عصبي المزاج ، وقد يستغرب المزاج
المضى . إذ ما بدا من شيخ حطم الستين من عمره ، وتهذلت أهداب عجزه وكبره ، وكان
ورع الصبر والسكينة ، ولكنه كان مع ذلك سريع الاحتياج إلى قوة صوته وامتداده حتى
ليحسبه الانسان من صنف المغنيين الأوربيين المعروفين بنغمة (السرانو) لا تصدر عنه
صبيحة في قاعة الدرس حتى يتردد صداها في الطريق كأن الرجل قد تعود أن يمرن صوته على
الصباح ، كما يتفق لرجال العسكرية .

هذه صورته الطبيعية : أما هيئته فقد كان « إبراهيم باشا » يرتدى بذلة عتيقة سوداء
كانها آخر أثر احتفظ به موظف من رجال العهد السالف . ولقد يدعى التأني أحياناً فيصيف
بمجموعة ذلك الثوب العتيق صديراً ملوناً من نوع (الفاتيزى) فيستحوذ لون الصديري
محبب في سائر أجزاء البذلة حتى يضاهي صديري الأب (غوثنيه) المشهور ، الذى كان آية
استغراب أهل عصره من (الروماتيك) .

ولم يكن « إبراهيم باشا » مع ذلك صاحب مذهب في التجديد ، أو خلق شاد مستغرب
حتى يشتم بتعمد الشذوذ في هيئته ، إنما كان معلم المدرسة يمتد أن ذلك الصديري الملون
الذى يطلع به صدره يريد في مهابته ويضيف إلى مقامه - في نظر التلاميذ وأولياء أمورهم -
شئاً كثيراً من صيغة الرجال الرسميين .

وبتلك البذلة العتيقة وذلك الصديري الفاتيزى كان « إبراهيم باشا » يعنى بنوع
قديم من رباط الرقبة لا يدقق مطلقاً في تهذيب وضعه ولا إصلاحه ، كان يجعله دائماً مائلاً
(م - هـ)

إلى اليسار أو إلى اليمين حسبما يتفق ، وكان هذا الهندام المشوش لولاً خصاً يعرف به مع
المدرسة في المدينة . رهو وإن لم يكن من الرجال الرسميين إلا أنه اكتسب هذه الصفة عند
أهل المدينة بالنظر إلى احترام رجال العلم في ذلك العهد الذي سادت فيه القوصى والجهالة .
فما إن « إبراهيم باشا » كان خطاطاً بارعاً ، والاعتقاد السائد في الشرق أن الخط من
مفاتيح الرق وأن « من علمني حرفاً كنت له عبداً » ، كذلك كان معلم المدرسة محترماً
مبجلاً في كل مكان .

وكان المعلم « إبراهيم باشا » مرتلاً في الكنيسة : وإن قداسة هذه لوظيفته لتكسر
للإعلان عن صوته من جهة . ومن جهة أخرى تدل على أن اتصال تعليم الكنيسة لا يكون
أحياناً بلا فائدة !

ونحن إذا شئنا أن نصور « إبراهيم باشا » في قاعة الدراسة . فها يحتاج إلى من ثلاثة
(ديكتر) لكي تقرب إلى الأدهان حالة هذا المرنى الذي كان لا يشرف على جمهور تلاميذه
إلا بصاً على عصا طويلة يبلغ بها آخر الصبية . ويستمع في وقت واحد لمن هو أمامه ، ويراقب
حفظ من هو عن يمينه ، ويلكم من كان على يساره . فلا تقيم عنه حركة تصدر عن صبي .
ولا يدع هذه الحركة دون قصاص ، وكان كمال المدرسة الذي وصفه (أوجين سو) روائى
الفرنسى في قصة « أسرار باريس » . بصرف النظر عن انفارق العظيم لدى رفيع ، إبراهيم
باشا « إلى طبقة المعلمين الذين ينشرون المعرفة مقدار ما يهبط إلى الخسيس لطبقة المعلمين
الذين يبنون طرائق الاحتيال والإجرام . فقد كان معلم المدرسة الذي احتلق صورته روائى
الفرنسى الوحشي الطمع مثل (أوجين سو) يبت الرديئة ، ويعلم طائفة من المتشردين كيف يكون
الاحتيال والسرقة ؛ على أن « إبراهيم باشا » وإن لم يبلغ في مستوى الانحطاط هذا الحد
الذي اختلقه الروائى الفرنسى . فقد كان يتعل حذاء من جلد دمي مجفف ، غير أنه كان بطبيعته ميالاً
إلى الجشع . يفرض على تلاميذه ما لا يجوز فرضه من أساليب الربح والظف الاحتيال
على الرزق .

كان لا يقنع بما يؤديه إليه آباء تلاميذه من الهدايا . وما يحبونه به من الهبات ابتغاء أن
يعنى بتربية أولاده . كان إذا جاء الشتاء فرض على كل صبي ألا يأتي إلى المدرسة دون أن
يكون متأبصاً لحزمة كبيرة من الوفود . فلا يزال الصبية كل صباح يكسسون هذه الحزم بجمع
باب المدرسة ، حتى إذا لوحظ أن أحدهم خالياً منها صاح به معلم المدرسة الشيخ بلا رحمة ورحمة
إلى داره حتى لا يعود إلا متأبطاً لحزمة الوفود ! وكلما اجتمعت هذه الأكاداس أمر أن
تحمّل إلى داره ويبنى مطمئناً راضياً . كأن الدفء إذا حل داره اشتبك فيه ثولث الصبية الصغار .

وكان المعلم « إبراهيم باشا » لا يعتمد في معرفة الوقت على الساعات ، إنما كان يهتدى
بصر الشمس ، ومن أجل ذلك كان عتيقاً في طباعه ، وفي لباسه ، وفي ذهنه .
وقديماً جعل التاريخ معلمى الصبيان موضوع سخرية ؛ ولقد تميز معلم المدرسة بنقص
حس في طبعة أو هندامه لا يكون في أحد سواه ، وقد ظل هذا النقص كأنه عنوان تأني
الطبيعة إلا أن تهزأ به منهم وتسخر بهم !

كان « إبراهيم باشا » في بعض الأيام يظل بلا غداء إلى الظهيرة ، فإذا ما انتشر الصبية
في فسحة المدرسة أثناء الفراغ ، واجتمعوا لتناول الطعام وقف ببذلة السوداء وصديريه
مخرون . حاملاً قطعة كبيرة من الخبز بلا دم . ويظل يراقب ببطره ما يحمله الصبية من صنوف
الغذاء . فلا يحجم عن أن يطلب من كل صبي قطعة من الخبز أو بعضاً من الفاكهة ، ويرى
أن غداءه على حساب تلاميذه فرض كالحق المكتسب ، وكان كالعلاق الذي ذكرت الأساطير
أنه كان يستخرج بيده السمكة حية من البحر ويشويها في الشمس ثم يلتهمها .

فلما إنه كان لطيف الحيلة في الحصول على الربح ، ونزوى على سبيل المثال قصة اتفق
حدونها لمصلحة معلم المدرسة الشيخ . فقد حاول بعض الصبية أن يظعن رفيقه بعديّة صغيرة ،
فقال « إبراهيم باشا » هذا الحادث ، وأمر الصبية ألا يستعملوا المدى مطلقاً . ولكنه شاء
أن يعمل الحادث نفسه وسيلة لاستغلال الطلبة - كشأنه في سائر المسائل - ففرض على كل صبي
أن يدفع مبلغاً معيناً يمكن أن يتحصل من مجموعته على ثمن مدية تودع في المدرسة لكي
يستعملها الصبية . وحتى لا تتاح لأحد منهم أية محاولة للأذى ، وما زال يجمع في ثمن هذه
مدية تساييس طويلة . دون أن يرى الطلبة - مع ذلك - أثرها ، وتارة يدعى أنها سرقت ،
وطوراً يؤكد أن في نيقه شراءها متى اجتمع لديه ثمنها ، ولقد حصل على ذلك الثمن مرة
وأخرى . وهو باق على استمساكه في استعمال الحيلة لا يترار تقود التلاميذ .

ولبت طبيعة معلم المدرسة الشيخ قد انتهت عند هذا الحد ، فانه كان لا يترك فرصة
دور أن يمرض على بعض الصبية - لأسباب واهية - عقوبات من نوع تسويد الخطوط على ورق
نخس . كان كلما تراكم لديه من ٤٠٠ أو ٦٠٠ قرطاس حمله إلى السوق لكي يبيعه إلى التجار ؛
وربما أخى الصبي من عقوبة ثقيلة . (كالفلق) مثلاً ، وهو لا يربح من ورائها شيئاً لكي
يمرض عليه كتابة مسودات . فكان الطلبة يؤدون هذه الواجبات مرغمين .

وكانت مدرسة « إبراهيم باشا » مع ذلك مشهورة بحسن السمعة وورق التعليم ، وفي
الحقيقة أن هيئة الرجل كانت تحمل نضره في الظاهر على الاحترام .

ومن نوادره أن التلميذ كلما استطاع أن يكس كتاباً نعيم عليه أن يؤدي إلى معلم المدرسة

هدية فاخرة مع المرتب . وكان ذلك فرضاً محتملاً ، نصرت لذلك مثلاً كتاب (الأفتيخوس)
الذى كان من أجل التأليف الدينية لدى معلم المدرسة . فقد كنا لا نبلغ ختامه حتى نطالب
بأداء مكافأة عظيمة كان ينبغي أن تؤدي إلينا لكي نحصل على الحفظ ، إنما « إبراهيم باشا »
يرى المكافأة من حقه لا من حق التلميذ ، ولا يستثنى - من القصص بالخلق وبالمصا أو آداء
المسودات - سوى التلاميذ الذين يجبرونه بالهدايا وأنواع الخوى و (البقشيش) ، هذا إن ن
تعليمه لم يكن يتجاوز حفظ مختارات من ديوان ابن الفارض ومجالي الأدب وجمع البحرين !
لا تنكر أن « إبراهيم باشا » كان معلماً مرها عن يؤم المعلم الذى وصفه (شارل ديكر)
في روايته (دافيد كوبر فيلد) . وبعبارة كل البعد - أيضاً - عن خبث المعلمين في عصر
الحديث ، غير أن هذه الصفات التي لا تزال تذكرها له جعلت منه صورة صادقة لذلك العصف
من المعلمين الذين ذكرهم الجاحظ ، وكانوا موضوع سخرية عصرهم . وستظل صورة « إبراهيم
باشا » بالبذلة السوداء العتيقة والصديري المون ، ورنطه لرقبة المنحرفة الطويلة ، رمزاً لعهد
كانت فيه فريضة احترام المعلم إزاء الجهل السائد ، شبه بغلالة كثيفة تختفي من ورائها أقبح
العيوب . ولكن من كان يستطيع أن يرفع يده تلك الغلالة لكي يكتشف نقائص

« إبراهيم باشا » ؟

أما أن ينكر الشرق تعليمه الراسخ بعبوديته لمن علمه ، فهذا لعمرى كفران لم ينكر في
طاقة الصبية ، فكيف يمكن أن يكون في طاقة الكبار ؟
من أجل ذلك بقي « إبراهيم باشا » معلم مدرسة ، ومرتلاً في الكنبسة ، وحفاظاً ،
وصاحب سيادة وسعة ، كعصف المعلمين القدماء الذين كان يدين لهم تلاميذهم بالحياة .
تقولا شكراً

أيها المشرك !!

إن « المعرفة » تفخر كل الفخر ، بأنها مجلة المثقفين والعظماء ، وبأن مشركيها من حاسة
العلماء والأدباء في جميع أنحاء الشرق العربي .
لذلك يهمها أن تحافظ على سمعتهم الأدبية من اتهامهم بعدم تقدير المشاق الصحفية ،
وما نبذل في سبيل « المعرفة » من مال وجهد .
فهل أدبت واحبك نحوها ؟ وهل سددت اشتراكك ؟ تذكر قليلاً ، وتفصل ، شكوراً
بتسديد ما عليك إن لم تكن سددته .

٤- اليابان ونظمها التعليمية*

بقلم الدكتور سيدراس مسعود نواب مسعود جنك بهادر
ورير معارف حيدر آباد سابقاً ونائب رئيس جامعة عليكرة حالا

تصريح الأستاذ ايسانه سامى مفي

أستاذ الادب العربى جامعة عليكرة ماسر

[خاصة بجله المعرفة]

ذكرنا فى العدد الفائت القانون الأساسى لليابان ، ويلاحظ أنه يمتاز عن غيره أو يختص ببعض الأمور . التى لا توجد فى غيره من قوانين الحكومات الدستورية الأخرى ، وذلك لأسباب كثيرة تتضح من الاعلان الذى كان قد أداعه ولى العهد (إيتو) - واضع هذا الدستور - حيث يقول ما أثقله باختصار :

« مررت ولى النعمة بوضع مسودة الدستور اليابانى . فتلقيت أمره ورحلت فى نفس شهر من اليابان قاصداً أوروبا لدرس قوانينها ، ومكنت هناك متنقلاً من مملكة إلى أخرى نحو سنة ونصف سنة لم أرح فيها عما كفا على المطالعة والمحادثة والبحث والفحص بكل إمعان فيما يتعلق بذلك . حتى وفقت لهذا الدستور الذى أضعه الآن بين يدى الشعب اليابانى النشيط ، ولكن لم أكن - فى أخذى القانون عن الأوربيين - ناقلاً مقلداً . بل إننى احترت منه ما يتفق وبلادى ومبادئ أهلها وعوائده وغير ذلك ، مثل : عقيدة اليابان فى السلطان . التى كانت لديهم جزءاً لا يتجزأ من مذهب ، ولذلك كان لا بد لنا من مراعاة ذلك . وعدم تقييد الاختيارات السلطانية بقبود أحد من قوته وسلطانه فى المستقبل ، بحيث يصبح السلطان عبارة عن صنم لا حراك به . ومع ذلك لم تتغاف عن حفظ حرية الرعية ومالها وحياتها ... الخ » .

كل ما سعى له (إيتو) فى هذا الدستور . هو أن جعل السلطان - لا الشعب - المرجع الأساسى وحكمهم الأساسى فى المملكة ، حيث إنه لم يسمح لمجلس بدرس المصروفات السلطانية إلا إذا كانت هناك ضرورة لزيادتها ، كما أنه جعل الرأى فى عقد الصلح وأمر الحرب لسلطان وحده . إلى غير ذلك من الأمور التى لا تتفق والدستور .

عدا مختصر جداً من مطول ترجمته من كتاب الدكتور سيدراس مسعود فيما يتعلق بالأمور العامة اليابانية . وهأنذا أذكر شيئاً عن التعليم فى اليابان .

التعليم في اليابان

كان اليابانيون يقسمون - في عهد الحكومة الطائفية - أربعة أقسام ودرجات (١) طبقة الأمراء ، ومنها السمورائيون أيضاً ، (٢) الزراعة ، (٣) أصحاب الحرف . (٤) التجار . وقد كان العلم في تلك الأيام محصوراً في طبقة السمورائيين . لأنهم كانوا لا يرون ميزة للعلم إلا أن يكونوا حكاماً ، وحيث إنه كان لا يحق لفرد من أفراد الطبقات الثلاث الأخرى تولية الحكم ، لذلك لم تكن لهم مدارس . ثم بعد مدة طويلة أخذ الأمر ، أيضاً ، يعلمون أولادهم بأن أسسوا لهم مدارس خصوصية ، وبقيت الحال كذلك زمناً طويلاً . حتى استيقظ اليابانيون أخيراً . وعرفوا النور من الظلام ، وتساوت طبقاتهم . وصار العلم مشعاً لكل فرد من الأفراد ، وانكسب اليابانيون بعد ذلك على الاجتهاد كما ذكرت آنفاً .

أما نظام المعارف في اليابان فهو :

للمعارف وزير ونائب - كما هي الحال في غير المعارف - من لشعب ، وهذا النائب لا يؤثر فيه عزل الوزير أو استعفاؤه أو سقوط الوزارة . بل هو كباقي الموظفين . والوزير هو المسئول عن كل ما يتعلق بأمر المعارف . ويلحق الوزارة - مباشرة - ست دوائر هي (١) دائرة لتعليم العالي ، (٢) دائرة التعليم العام ، (٣) دائرة تعليم الصناعة ، (٤) دائرة الكتب المدرسية ، (٥) دائرة الأمور المذهبية ، (٦) لجنة المعارف العليا . وعدا هذه الدوائر هنالك أيضاً عشرين موظفاً يرتبطون بالوزارة مباشرة . وتحت كل دائرة من هذه الدوائر الست عدة شعب ، هي كما يلي :

دائرة التعليم العالي ، ولها ثلاث شعب :

١ - الشعبة التي تنظر في أمور الجامعات الرسمية . وتمنح الشهادات . وتدير تضم الكليات ، وتمين وتمزل الأساتذة ، وتبعث الأساتذة وغيرهم إلى الخارج للتعلم والتحقيقات العلمية ، وتبني المراصد وغيرها مما يتعلق بالأمور الفلكية .

٢ - الشعبة التي تنظر في أمور الجامعات الأهلية - عدا دور الصناعة - وإليها يعود تنظيم أمور المعارض الصناعية .

٣ - الشعبة التي تمتحن الأطباء وطباء الأسنان والعبيدلين . وإليها يعود أمر التحقيقات العلمية ، ومسح الأراضي ، والزلازل وغير ذلك .

وتحت دائرة التعليم العام أربع شعب :

١ - الشعبة التي تنظر في أمور المدارس الابتدائية ، وكل ما يتعلق بها من أمور تعليمية وغير ذلك .

٢ - الشعبة المكلفة بأمور المدارس الوسطى للذكور والإناث جميعهم .

٣ - الشعبة المنوط بها أمر النظر في الأموال التي تدفع من الخزانة السلطانية للتعليم الابتدائي ، ويتعلق بها أيضاً كل الأمور التي لا تعود إلى دائرة من الدوائر .

٤ - الشعبة المكلفة بالنظر في أمور المعاشرة المتعلقة بالتعليم ، وكذلك إلقاء المحاضرات أمام عامة الشعب ، وتأسيس دور الكتب ، وتعليم الخرس والعميان والصم .

وتحت دائرة تعليم الصناعة أربع شعب أيضاً :

١ - افتتاح المدارس والكتليات لتعليم الصناعة وإدارتها .

٢ - افتتاح المدارس الزراعية والكتليات وتعليم أصول الري وإدارتها .

٣ - افتتاح المدارس والكتليات التجارية والبحرية وإدارة أمورها .

٤ - افتتاح المدارس المتسلسلة (ولم أفهم ما هي هذه المدارس) .

وتحت دائرة الكتب المدرسية شعبتان :

١ - من واجباتها تأليف الكتب المدرسية ، وتعليم اللغة اليابانية .

٢ - نشر وتقد الكتب المدرسية .

وتحت دائرة الأمور المذهبية شعبتان أيضاً :

١ - دائرة حفظ أوقاف البيع والمعابد وغيرها من الأبنية المذهبية ، ومراقبة علماء

الآديان والجمعيات الدينية .

وتحت دائرة لجنة المعارف العليا خمس شعب :

١ - من واجباتها توزيع صور السلطان على المدارس المختلفة ، وتعيين الموظفين ،

وعديد رواتبهم . وخاتم الوزير يكون في هذه الدائرة .

٢ - من واجباتها استلام التقارير والاجابة عليها . ووضع جداول الاحصائيات .

٣ - من واجباتها كل ما يتعلق بالأمور المالية ، والميزانية ، ودفع الرواتب ، ووضع

الميزانية ، وإدارة كل العقارات التي هي ملك لدائرة المعارف .

٤ - شعبة التعميرات والترميمات .

٥ - من واجباتها اتخاذ الوسائل المناسبة فيما يتعلق بحفظ الصحة في المدارس ، وتعيين

الأطباء لها ، وتنظيم الألعاب الرياضية .

وما العثرون موطقة الذين ذكرتهم آتفاً ، فهم يقسمون إلى ثلاثة أقسام :

١ - المكلفون بتفتيش لكتليات العليا ، والكتليات الصاعية ، ودار المعلمين العليا ،

وكتليات القب .

٢ - المكلفون بتفتيش مدارس : الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، والمدارس البحرية ،

ومدارس الري .

٣ - المكلفون بتفتيش المدارس العامة - ذكوراً وإناثاً - ، والمدارس العليا ، ومدارس المعلمين وغير ذلك .

ومن واجبات هؤلاء المفتشين - عند تفتيشهم المدارس - أن يبحثوا حالة البلدان العمية التي ذهبوا إليها ، وأن يلاحظوا طرق التعليم ، وهل هي مناسبة أم لا ؟ وأن ينظروا إلى ميراثية المدارس مع ملاحظة أموال المعلمين ، وهل هم قاعون بواجباتهم أم لا ؟ كما أن من واجباتهم أن يكتبوا في مذكراتهم كل ما يروونه لازماً لترقية التعليم ونشر العلم . ثم يعرضوه شفاهاً وكتابة على الوزير عند عودتهم ، وكل ما يستحسنه الوزير في هذا الشأن يوعز به إلى حاكم تلك الولاية .

وهناك أيضاً مجلس استشاري للمعارف تعرض عليه كل الآراء التي تتطلب خصاً وإمناً ، فيبدي فيها رأيه . ومع أنه ليس على الوزير أن يلبى كل ما يقرره المجلس ، فإنه لا يماكسهم أيضاً .

تقسم المدارس في اليابان إلى ثلاثة أقسام . الأول مدارس الحكومة المرتبطة بوزارة المعارف ، والثاني مدارس الحكومة التي يديرها مركز حكومة الولاية أو المتصرفية أو القضاء . . . الخ ، وهي تقوم بمصاريفها . وأكثر هذه المدارس ابتدائية أو متوسطة . والثالث المدارس الخصوصية ، وهي إما أن تكون لشخص بعينه أو أنها تحت إدارة لجنة . على أن جميع هذه المدارس يخضع لوزارة المعارف إما مباشرة . أو بطريق غير مباشرة . لأنه لا يمكن إقامة مدرسة قط إلا بإذن من وزارة المعارف ، ويكون ذلك بعد أن تُمَدَّ لوردة عرض المدرسة الذي ترمي إليه ، والعلوم أو الفنون التي يرغب في تدريسها ، ومعرفة دخلها ومصاريفها . والمكان الذي تقام فيه بناية المدرسة ، وغير ذلك مفصلاً ؛ ولا بد من تقديم شهادة من معمل كيميائي تثبت أن ماء تلك الأرض التي يرغب في إقامة بنيانه للمدرسة فيها صالح للاستعمال . وذلك لأن الحكومة تعني جد العناية بحفظ الصحة ، ومن ذلك أيضاً أنه يخصص لجيوس كل تلميذ في المدارس الثانوية ١٢٠ قدماً مربعاً ليكون الهواء نقياً دائماً .

علاوة على ما ذكرته عن المفتشين المرتبطين بالوزارة رأساً ، فإن لكل ولاية خمسة مفتشين يختصون بها ، وهؤلاء مسئولون كل المسؤولية ، كل واحد منهم عن قسم خاص في ولايته أو متصرفيته أو قضائه أو غير ذلك ؛ وفوق هذا الاعتناء بأمر التعليم ، فإن المديرين لا يدرسون شيئاً ، بل كل ما لهم من الأعمال هو إدارة المدرسة أو الكلية التي هي تحت إدارتهم . مع السعي لترقيتها دائماً . وكل الأسانذة يكون عزلهم وتعيينهم بيد المدير بعد موافقة الوزارة ، وذلك لكي يكون المدير مؤاخذاً على كل تقصير يحدث في مدرسته . إذ

لا يتركون له عذراً يعتذر به . ولذلك فقد بلغ انتشار العلم في اليابان درجة واسعة جداً ، حتى إنه في قرية لا يزيد سكانها على ٤٢ نسمة أقامت الحكومة مدرسة ابتدائية .
وبما يجدر ذكره أن اليابان قد فاقت كثيراً من الدول بأمر واحد : هو أن كل مدارسها أو أكثرها يكون ملكاً لدائرة المعارف .

ومع كل مدرسة بستان تستفيد المدرسة من محصولاته التي يصرف إيرادها دائماً في صيانة وإصلاح وترميم المدرسة . أما الاعتناء بأمر المعلمين ورواتبهم فقد بلغ الحد الأقصى ، ولذلك ترى المعلمين هناك لا شاغل لهم يشغلهم عن دراستهم . ولا أمر يفتكرون فيه حتى ولا في دورهم ومخاضهم ومنتدياتهم إلا أمر مدارسهم والسعى لترقيتها . وما ما تبذله الحكومة على المعارف فهو بسخاء حدير بالتقدير والالتفات إليه . ومن ذلك أن كل حالة ولاية واحدة يستبدل بها على في الولايات . لأنها كلها تحت قانون واحد . وهذه الولاية هي (كاناكاوا) التي تبلغ مساحتها نحو ٩٧٠ ميلاً مربعاً . وعدد سكانها نحو ١٣٧٢٣٣٢ نسمة . وتبلغ وارداتها تسوية نحو ٩٧٥٥٥٥٠٠ ينًا ^(١) . يصرف منها ١٧٦٥٥٨٩٧ ينًا - أي نحو الثمن - على المعارف وحدها ، والباقي على الدوائر جميعها بما فيها من كبير وصغير ، وإصلاحات وتعميرات وغير ذلك .

ويوجد في هذه الولاية ٦٦٦ مدرسة . منها ٢٨ روضة للأطفال ، و ٣٠٢ مدارس ابتدائية . و ٤ مدارس للمعلمان ، و ٤٧ مدرسة متفرقة يعم فيها الطبخ والحياكة والتدبير المنزلي . ومدرسة واحدة للمعلمين ، ومدرسة واحدة للمعلمات ، و ٨ مدارس عالية ، و ٨ مدارس صناعية . و ٣ مدارس غير معترف بها من قبل الحكومة ، وهي مدرسة تبشيرية ، ومدرسة تجارية ، ومدرسة أهلية ، ومدرستان عاليتان للإناث ، ومدرستان أهليتان ابتدائيتان ، ومدرسة عالية صناعية .

ورس وزارة المعارف في كل سنة - مرة واحدة - مفقشها إلى الولايات المختلطة للأُمور الآتية :

١ - النظر في حالة التعليم وكيفية تربيته . وعلى كل مفقش أن يرسل تقريره إلى الوزير وأساساً .

٢ - توزيع وتصحيح الأحكام السلطانية التي يجب اتباعها في الولايات .

٣ - الإيعاز إلى حكام الولايات بما تقتضيه الحال لترقية المعارف .

(١) الين عبارة عن عشرة قروش مصرية .

قوة الحيوية في الشعب المصري

بقلم الاستاذ أحمد محمد فهمي

مدرس بمدرسة الزراعة العليا

مصر بلاد قديمة العهد ، عريقة في اجداد . متناهية في القدم ، تحوم حول سمها خيال الماضي البعيد ، ويذكر معها إذا ما ذكرت أساطير غاية في العجب . يدور حولها حول عرائس النيل ، وهياكل أمون ، وقصر لايراتنا ، وأبي الهول ، الهاري ، بالعالم ، السكوت الأبدي ، الرابض أمام أهرام خوفو ، والآلهة المعبودة ، والملوك المتوجة ، وكهنة الكبار ، والمعابد المشيدة :

فلنكل لبنة حجرة فيها حديث يذكر

وهي لشهرتها القديمة كانت ولا تزال مطمع الفاتحين ، والغزاة من جميع الأمم والشعوب غزاها الرعاة ، والنوب ، والفرس ، واليونان ، والرومان . والعرب ، والترك ، والفرنسيين . والانجليز ، وغيرهم ، وملكوها فدانت لحكمهم . ورصخت لظلمهم . وصبرت على طغيانهم . ولكنها لم تكن فيهم ، ولم تفقد يوماً حيويتها رغم رغبة الفاتحين المدحة ، وعمهم المتوهم . وهذه الغاية ، حافظت مصر بقوة حيويتها على كيانها رغم هذه المظالم لصارحة . ولاحر المتتالية ، والمصائب التي كانت تصب عليها من كل هؤلاء الفاتحين الظالمين فيها لتتكاد على امتلاكها .

تأمل الموميات المصرية جيداً . وقارن بينها وبين ملامح الفلاح المصري نحتسج واحدة ، وشبهاً قريباً . حقاً لقد بقي هذا الفلاح القديم بقاء الأهرام ، محرثه هو محرثه . وفأسه هي فأسه لم تتغير . ولم تتبدل ، بقيت على الأيام وداعته . وكرمه ، وليته . وسداحته . ودهاؤه . وملكه ، وتلك والله هي الحيوية العظيمة التي صمدت لمحاول الهدم كل هد الزمن المتناهي في القدم .

وقف الشعب المصري في جميع أدوار التاريخ وقفة المتفرج أمام حشبة المسرح . رأى الدول تدول . والممالك تزل . والعروش تتقوض . وهو ثابت كالطود . أصله ثابت وفرعه في السماء ، مثلت أمامه كل مآسي الحياة ، ومهازلها وهو ثابت لم يتغير .
قوية جداً تلك الحيوية التي تمكنها البقاء آلاف السنين في شعب مغلوب على أمره ، محكوم بغيره ، مسوب الحرية ، غارق في بحار الجهل ، متسكع في دياجير الظلام .

هذه الحيوية كامنة في جسم الشعب المصري ككون النصارى في الصوان ، فهل من ردد نمدح به هذه النار الخالية . فتشتمل هذه الحيوية العتيدة المخبوءة بين جوامع هذا الشعب النيل ؟

حقاً إن إذكاء تلك النار المختبئة تحت رماد الجبل وطلمات الظلم ، هو أشرف الأعمال التي يجب علينا الالتفات إليها ، وعدم التفريط فيها . بل يجب إشعالها بشدة حتى تصهر عرارها كل الشوائب التي علقت بهذا الشعب المسكين في آلاف الخقب التي مرت به ، وحتى تحزن بهيها كل الأوهام التي تسلطت عليه . والخزعبلات التي لحقت به في حياته الطويلة التي لا يعرف لها التاريخ بدءاً .

ههوا أيها الشباب المناهض ، ويا أيها الرجال المتقنون . إل مد أيديكم لهذا الشعب نموء حياة . رُشدوه إلى الصراط السوي ، والطريق المستقيم ، تقوا الأشواك من طريقه ، ومهدوا له السبيل لتدارك ما فات ، ساعدوه على السير وراءكم في طريق المدنية ، ادفعوه وبقدمه مواكب الشعوب السائرة إلى الأمام . اعمدوا جهديكم على إزالة الوصمة المخجلة من جبين هذا الشعب المحيد ، وصمة عدم عرفانه بنفسه ، وإجلاله لقدرة

فن جعلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

ليس من المحجل حقاً أن تدخل متحف الآثار المصرية - سيد متاحف الدنيا وخرها - ولا نجد الطيارة فيه غير الأجانب القاطنين بين طهرنا . وغير السائحين الذين دعاهم سحر مصر القديمة . فنبوا من كل صوب يهرعون . هؤلاء الذين يعتقدون أن من شرب من ماء النيل لا بد أن يعود إليه يوماً من الأيام .

ليس مما يتجملنا أن نذهب إلى أهرام الجيزة . فلا نرى غير من ذكرنا من الأجانب يأملون صنع أجدادنا خاشعين مسوي العقول أمام هذه الجلالة وتلك العظمة . طادا نتقتدت شبال هؤلاء العظام . فلا تجد منهم أحداً . أحلف صادقاً غير حاش أن تسعة عشر سكران مدينة القاهرة . وسكان حيرة العسوط . لم ير أحد منهم أهرام الجيزة عن كسب ، ولا وقف أمام أي الهول الأفطس . المصطفى لصوت الطبيعة ، الناصر لمطلع الشمس . عاموهم بكل مرائق العدم وصروب المعرفة . أن لهم ماضياً خافلاً بالعطائم مموءاً بالجلال والجمل والفن . نحدث نفسه فيهم تلك الحيوية الكامنة التي ذكرناها في أول هذا المقال ، فإذا هي تنهبت فيهم ، منهم لا بد عاملون على عادة هذا العهد القديم . الذي نسمع كل يوم في أوروبا من يشيد بذكره من العلماء والمباحثين . فيوما نسمع أن مدققاً إنجليزياً من علماء الآثار أثبت أن مصر قد حلت بلاد الانجليز في الزمن القديم . وتركت فيها آثاراً تدل عليها ، لأنه اكتشف هناك آثاراً من آثار الفن المصري القديم .

ونسبح يوماً أن عالماً أمريكياً ثبت أن المصريين قد اكتشفوا الدنيا الجديدة (أمريكا) قبل أن تراها عينا (كولومبس) بألاف السنين. وآخر يقول: إن المصريين كانوا يعرفون الكهرباء، ويستعملونها في الصناعات المتمدنية بأحذق مما هي مستعملة اليوم. قولوا لهم ذلك، وانثروه في جميع الطبقات. قولوه لهم، وقولوا لهم غيره ما نعرفون. خنوهم على مشاهدة آثار جدادهم. تقوى الحيوية السكامة فيهم. قولوا ذلك لأبنائكم وبناتكم، ولقنوه نساءكم. انثروه في مجلاتكم وى جرائدكم. واعقدوا له الفصول في كتبكم، أعلنوا عنه بجميع وسائل الاعلان. فمحن أحوج للاعلان عن مصر في مصر نفسها، وليس في أوروبا وأمريكا. فتعرف الأمة العارفة في عار لأمة الجاهلة بماضيها وحاضرها، أن لها مفاحر ليست لغيرها من أمم الأرض. فتعز بشعب، وتشيع فيها فكرة الكبرياء الوطنى. والآنانية القومية - التى تكلمنا عليها في عدد بونير من «المعرفة» - فمتنبه فيها فضيلة الفخر والحماسة. وتقوى حيويتها السكامة التى لم تفرقها وى لازمها رغم ما رأت من الأهوال. وما كابدت من المصائب من فخر التاريخ حتى الآن

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و

محمد محمد فهم

اليابان ونظمها التعليمية

[بقية المنشور على الصفحة رقم ١٠٩٧]

٤ - مع كل ما خولته الحكومة لمفتشين من الحقوق فقد احتفظت بحق عزل المعين أو توليتهم، إذ لا يمكن ذلك إلا بإذن الوزير وعلمه.

وبالإحصاء أن اليابانيين لم يلتفتوا إلى العلم فقط بل أعطوا الفنون جميعها ما تستحقه من ائتمار. وفتحوا لها المدارس الكبيرة وأعدوها بكل ما تحتاج إليه من الضروريات. لا لى من الكماليت، وهكذا كان كل يابانى يرى أن نجاح بلاده يتوقف على ثلاثة أشياء: الأول نشر العلم وتعميمه، والثانى تعزيز القوى البحرية والبرية. والثالث تنمية التجارة والزراعة.

فالـيابانيون إذا لم يأخذوا بأمر واحد من الأمور الحيوية، بل عملوا من الحياة وضرورياتها. فأخذوا بناصيتها، ودللوا باجتهادهم كل صعب فى سبيل العز والشرف والحياة السعيدة. وهكذا يكون شأن من يبتغى بالحياة وتليق الحياة به.

إحسان سامى حنى

[عليكرة الهند]

٢- ذكريات من إيطاليا*

نقلم الأستاذ زكى محمد حسن
عضو بعثة الآثار الاسلامية بالسربون بباريس

بيراكبوز - نابلى - برطانه فيزوف - بومبي - روما

ولدت في مصر مثل هذه الحفريات الأثرية : أهمها ما بدأها المرحوم وعلى بهجت بك
لكشف عن القضاة (العاصمة العربية الأولى للديار المصرية) ؛ ولا تزال دار الآثار العربية
من آثار الحفر بأشراف مديرها الحالي المسيو (فييت) ومنها أيضاً ما تقوم به جماعة
(The Egyptian Exploration Society) لكشف عن العمارنة عاصماً مصر في عهد الملك (اخناتون) .
وأظن (بومبي) - رغم ما تبعته في النفوس من رهبة وما تثيره من ذكريات التاريخ -
بحرم خلال الموت وعظمة الحياة التي طغى عليها البركان فوضع لنفاتها حداً - أقول
رسم كل ذلك ما تشهد بالمهارة والدقة والمناورة لمن قام من علماء هذه الحفريات : فإن السائح
يجري شوارع كاملة بين صفوف من المنازل ، كثير منها باقية أكثر معالمه ، حتى
تفوح عن حدران المسارل باقٍ كثيرها يشهد بعظمة الرومان وعلو مدنياتهم ، فتسار يرى
سائح سون المدينة وحماماتها ، وأخرى قواس النصر المختلفة ، وأحياناً منازل لم تعث بها
الزمن فكأنها تصلح للسكنى : وكأن القوم يريدون أن تبقى - مما حدث - ذكرى حية ،
موت في حجرة صغيرة أحاطوا جانبها بالزجاج وقد تركوا بقايا أسرة دهمها البركان فجعلها في
موت . وكأن عظامها ترغم السائح أن يرفع الرأس ليرى (فيزوف) ويعجب : هل خمدت
قائمه ، أم لا زال يضمم للإنسانية ما يضمم ؟

أنهت ريارتي من (بومبي) ، وقفلت راجعاً في القطار ، ولكنى تركته في محطة عند
منتصف المسافة إلى (نابولى) ، ومن هذه المحطة يبدأ الترام الذى يصعد على سفوح المرتفعات
حتى يصل إلى قمة البركان ، وقد بدا لي ثمن التذكرة باهظاً لنذهاب والإياب وقدره نحو
سبع قرشاً . ولكنى وجدت - بعد ذلك - أن المسافة طويلة والرحلة غاية في الإبداع ، إذ
نترام يصعد بنا سفوح المرتفعات في منتصف الساعة الثالثة ، وظل يدور بنا حولها مرتفعاً
نشيئاً . وعلى جانبيها مسافات ممتدة من الكروم تغطي الجزء الأدنى من سفوح هذه .

المرتفعات ، وفي منتصف المسافة تركنا هذا الترام إلى غيره من نوع آخر (Fa. c. k. re) ظل يصعد بنا صعوداً أفقيّاً مباشراً ، حتى وصلنا نهاية الرحلة في منتصف الساعة الرابعة . وكان المنظر جميلاً رائعاً . فتحت أقدامنا (نابولي) وضواحيها تطل على بحر يغيب في الأفق . ويعلوها طبقات اللافا والرماد . وقد بقيت عارية في الجزء المباشر للبركان ، وغشيت سكره في الجزء الذي يقرب من المساكن والمزارع ؛ وإذا أوليت المدينة والبحر ظهوراً . صرنا أمامنا فوهة البركان الحالية ، إذ أننا نعلو فوهته القديمة . وهي أكثر ارتفاعاً من الفوهة الحالية التي تخرج منها سحب من الدخان تتوج البركان وتريده عظمة على عظمه . ولأنهم لا يقفون عند هذا الحد ، بل هناك أدلاء مخصوصون يستطيعون أن يصطحبوا من يريد من السواح فيهبضوا به من الناحية الأخرى إلى موضع أقرب إلى الفوهة الحالية . كل ذلك لئلا نحو خمسة وعشرين قرشاً . فدفعني حب الاستطلاع إلى الإقدام على ذلك . ولكي لم أستعجب أن أوصل السير إلى النهاية ، لأن رائحة المقدوفات البركانية كادت تختفي تماماً ، ففسدت الرجوع ، فيما واصل السير مع دليل آخر شاب ألماني ، غير أنه لم يستطع إلا أن يرجع بعد خطوات أخرى .

وكنّا في رحلتنا هذه ثمانية : شابين ألمانيين . وانجليزى . وسيدتين انجليزيتين . وهولندي ، وأنا . وكان الجو رطباً بارداً ، ولا غرابة في ذلك ، إذ كسا على بعد ١٢٠٠ متر من سطح البحر .

وهكذا انتهت زيارتي لـ (نابولي) وتركتها إلى (روما) ؛ فكان القطار ينهب بنا لأرض بين جبال عالية ، وسهول تكسوها الخضرة والكروم . وثُفق كثيرة يجتارها بين حين وآخر ليعبر هذه الجبال ؛ وذكرني مظهر الريف الإيطالي بقرانا في مصر وما عليه فلاحونا من بؤس وشقاء . . ولم يسمنى حين ذلك إلا أن أذكر ما عليه القرى في إنجلترا وفرنسا وسويسرا من جمال يحجب إلى المرء ترك المدن وضواحيها .

وأخيراً وصلنا (روما Caput Mundi) أو (عاصمة الدنيا) - كما كان يسميها الرومان - وهي وإن تكن فقدت مركزها هذا من وجوه عدة . إلا أنها لا تزال - بحق - سيدة عواصم العالم بآثارها القديمة ، بنائها تجمع عاهلين : عاهل التليان . وعاهل المسيحية . غير أننا إذا استثنينا غناها بكنوزها الأثرية - فإن (روما) لا تساوى عواصم الدول لكنز جمالها وتنسيقاً ، ولذا منذ أن دخلتها جيوش الملك - بعد تمام الوحدة الإيطالية - سنة ١٨٧٠ كان هم أولى الأمر فيها القيام بالاصلاحات اللازمة لإبلاغها تلك المرتبة . ولكن قامت دون ذلك صعوبات ، أهمها : قلة المال ، وازدحام المدينة بالآثار القديمة والأطلال ، وباله

ردهم بتعارض مع المدنية الحديثة وتنظيم العواصم الكبرى . وخاصة إذا لم يجرؤ القوم على نصيحة بعض هذه الأطلال في سبيل تنظيم المدينة وتنسيقها .

وقد لحق رجال (روما) إلى البارون (هوسمان Haussman) - الذي كان محافظاً لمقاطعة السين (بفرنسا) واشتهر بأعماله العظيمة في سبيل تنظيم (باريس) وتجميلها - في أواخر القرن الماضي ، فأتى بأن يتركوا (روما) القديمة ، وأن يبنيوا جانبها مدينة جديدة ، فلم تنجح دأ صاغية ، ولكن القرائن تدل على أنهم يعودون الآن إلى رأيه شيئاً فشيئاً .

فما (موسوليني) فقد اهتم بذلك ، وكون - منذ سنتين - لجنة لخصت المسألة ملياً ، رأت قيام باصلاحات عدة . مع المحافظة - قدر المستطاع - على الآثار القديمة . ووافق رئيس على ذلك . وبدأت الاصلاحات حول (لكاييتول) . حيث هدموا بعض الطرق والكنايس والبيوت القديمة ، فنادى كثير من الناس - وأكثر من الاحاب - بالويل للشور . مدعين أن ذلك سوف يقضى على (روما) ولونها الحلى وخواصها الفنية . فرد عليه من منصة مجلس الشيوخ مدير سابق للقانون الجنية ، وندد بأولئك الذين يريدون أن يحسوا الفن والجمال حجة لابقاء الابنية الخفية ، والجدران القذرة . والاحواش الصيقة ، ويرد ذلك . وتدخل (موسوليني) نفسه في المناقشة ، فقال : « إن الآثار العظيمة مكفول حمايتها . وإنما المهم أن يفرق بينها وبين الخرائب والأطلال مما يدعى البعض أنه لازم لبقائها . (روما) لونها الحلى ... » وقال في ختام خطبته : « كل هذه الأطلال والخرائب القذرة سدم بها إلى صاحب الجلالة المعول . فيقتوس أركانها باسم جمال العاصمة وشؤونها الصحية » . ولا ريب أن هذه الخطة المثلى ستوسع احوال لظهور الآثار الباقية ، وستريل عن (روما) يد المسحة الشرقية التي يشمر بها السائح في كثير من أحيائها .

وذكر ما أعجبني من آثار (روما) ميدان القديس بطرس . فهو عظيم يضاوى الشكل ، وهو في وسطه مسلة مصرية كبيرة . وقيل عليه كنيسة القديس بطرس يبهوها الفخم . وإلى به قصر (الفاتيكان) مقر البابوات . وداخل هذه الكنيسة غاية في الابداع . وسقفها مذهش لدقة الصنع والنقش . بهاها الامبراطور قسطنطين ، وهي الآن تُقيم معابد العالم .

وفي الفاتيكان متحف يحوى أعظم التحف الاثرية ، وأكثر ما أبدعه رجال الفن منذ عصور القديمة . وبينها هدايا إلى البابوات من مشارق الأرض ومقاربها ، وقد لمت نظري سهاياه كبير من المرمر . كتب تحته بالايصالية : (Dono de Mehmet Alivier dell' Egitto) .

، ومعناها : سدية من محمد على وإلى مصر إلى بيوس التاسع ؛ ذلك عدا نحو ثلاثين من شواهد القبور الاسلامية عليها نقوش بالسكوفية . وبه قسم للآثار المصرية القديمة . غنى بكنوزه عظيم في تنسيقها .

و (روما) تفوق العالم كله بكنائسها الجميلة ، وفي وسطها تقوم أطلال الأبنية الرومية القديمة ، (كالكلسيوم) و (الفورو رومانو) مركز الحياة الرومانية ومكان الاجتماعات واشهرت والحفلات ، ومن مميزاتهم أيضاً : أقواس النصر العديدة التي كانت تقام لأبطال الرومان بعد انتصاراتهم الباهرة ، و (الكايتول) الذي كان يجتمع فيه مجلس (روما) البلدى . وقد بنى في القرن الرابع عشر . وسلامه من عمل (ميشيلانجو) : وهناك أيضاً حدائق (بورغيزى) ومتحفها الجميل ، وبحيرتها العظيمة ، وفي ميدان العامة (Piazza dei Popolo) مسبة مصرية من الجرانيت ارتفاعها أربعة وعشرون متراً . نقلها (أوغسطس) إلى (روما) بعد معركة (أزيو) .

وهناك أيضاً (الباتيون) ، وقصر (الكورينال) الذي بنى في القرن لسادس عشر ليكون مقراً للباباوات ، ثم ميدان العمود - نسمة إلى العمود الذي أقيم فيه ذكرى ل (ماركوس أوريليوس) بعد انتصاره على الجرمان - ، وقصر نقديس (أنجو) الذي ساه الامبراطور (أدريان) ليكون مدفناً له وخلفائه .

وفي ميدان (فينيسيا) قصر الرئاسة ، حيث يطل (موسوليني) من شرفة غرفته على جيوش (الفاشيست) ، وفيه أيضاً هيكل النصر وقبر الجندي المجهول . هذا و (روما) تختلف كثيراً عن عواصم أوروبا الأخرى ، ولعل أهم ما يلفت النظر حولها من ترام في باطن الأرض كما هي الحال في : لندن ، وباريس ، وبرلين مثلاً . ومنه لاحظت ازدحام (الترام) و (الأوتوبيس) دائماً ، فضلاً عن ازدحام الشوارع الرئيسية ومن الطواهر التي شاهدهت في إيطاليا كلها : قلة النساء في الطرقات : ففي (روما) نسبة نسبة النساء إلى مجموع المائة أقل بكثير منه في (لندن) و (باريس) ، ولعل ذلك راجع إلى أن المرأة الإيطالية لا تزال أكثر تحفظاً من زميلاتنا : الانجليزية ، أو الفرنسية . أو الألمانية . ومن ثم كانت أكثرهن لزوماً لبيتهن ، وأقلهن اختلاطاً بالحياة العامة . مرت الأيام سراعاً ، ولم يكن كل ما أراه ليخفف من حنيني إلى باريس . فسررت أن حد وقت الرحيل إليها ، وذكرت قول شوقي من قصيدة له فيها :

زعموك دار خلاعة ومجانة ودعارة يا إفاك ما زعموك
إن كنت للشهوات رياً ، فالعلا شهواتهن مرويات فيسك
والعلم في شرق البلاد وغربها ما حج طالبيه سوى ناديك
المصر أنت جماله وجلاله والركن من بنيانه المسموك

[باريس]

زكي محمد حسن

عضو بئة وزارة المعارف

٢- نظرية الكوانتم THE QUANTUM THEORY

بقلم الاستاذ محمد محمد السيد

مدرس العلوم بمدرسة طنطا الثانوية الاميرية

بروح (برلهر) - لفرقة - المبتليين الموهبة - نموذج (شرو و نجر) - لفرقة - مبدأ الملائكة

يحكون في قصص الاطمال الخرافية أن قاطع طريق اعترض أحد السحرة فسلبه كل
الشيء الذي كان قد استخرجه من محباً تحت الأرض ، ولم يبق مع الساحر إلا قارورة إناء
من يحكون به . وطلب منه اللص أن يكحل له إحدى عينييه ففعل ، وإذا بنصف العالم
سكسب أمامه واضحاً من أثر هذا الكحل الغريب . ولكنه لم يقنع وأراد رؤية النصف
الثاني . فطلب من الساحر أن يكحل له العين الثانية ففعل ، وإذا باللص يصبح أعمى ، ويفقد
كل شيء ، بعد أن كان قد حصل على كل شيء .

هذا هو الضم في المال الذي يتسبب في فقد المال ، والعلم يعانى ما يقرب من ذلك - مع
 مدق صيغا - فاعلماء ما زال حب الاستطلاع يحفزهم لتحليل المادة : ماهي ؟ ومم تتكون ؟
 وفي وقت ما ظنوا أنهم عثروا على سرها عندما علمتهم التجارب والملاحظات - أن بها
 إلكترونات وروتونات . . . الخ ، ولكن حدث ما أقنعهم أن هذه ليست الحقيقة الكاملة
 بل هو التفتيق والبحث ، وإذا بالصورة الواضحة التي كانت في خيالهم لعادة وتركيبها
 نظرب - ويسودها غموض وإبهام ، ويكاد يحتمل ينتهي إلى أن هذه المادة ، لا يمكن للمودج
 مدى أن يمثل تركيبها - والمعادلات الرياضية هي التي تقربها إلى فهمنا ، إن كان هناك
 أمل في أن تفهمها .

عرضنا في العدد السابق لطرية الكواكيم ، وأبنا كيف ألفت ظلا من الشك على النظرية
عوجية للصوء ، فأستندت له فوق خواص الأمواج التي نعرفها عنه ، خواص الجسيمات المادية
فكان يقول (بيوتن) قديماً ، فالصوء هو شيء يمكن تشبيهه بالتموجات في كونه ينتشر في
سوى وسع فأوسع . وبذا يمكننا تفسير ظاهرة التداخل والانكسار والحيود ، وله أيضا
حزم الجسيمات او الدقائق ، وهذا يفسر لنا الظاهرة الكهربائية الضوئية . فكان الصوء
سبع بين صفات التموجات والجسيمات المادية ، فهل الأجسام المادية هي الأخرى تجمع إلى
خواصها خواص التموجات ؟؟ .

يحب العالم بنعم ، ويعزز قوله بالتجارب ، فالأكثر من ذلك - وهي صفة ما نعرف من



شكل ثقبلي لتوضيح تحلل الضوء

م ثقب يمر منه الضوء إلى عدسة تجمعه ح ، ويعبر في حزمة من الأشعة المتوازية إلى منشور من حيث يتحلل إلى الألوان المكونة له على ستارة تستقبله ح ف ، حيث ح موضع الضوء الأحمر وف موضع البنفسجي ، وتوزع الأضواء الأخرى بينها حسب معامل انكسار كل منها.

الأقسام. تنعكس وتتكسر وتحدث هذب تداخل كالأمواج تماماً؛ وبالأقيسة الدقيقة اممكن استنتاج أن الأمواج التي تصحب الإلكترونات يجب أن يكون طول كل منها أصغر مليون مرة من طول موجة الضوء المرئي .

في أوائل القرن الحالى كان النموذج الذى يتصوره العلماء للذرة هو صورة مصغرة لجموعة الشمسية (نواة يدور حولها الكترون أو أكثر) ، ولكن النموذج كان يحتاج لتعديل جوهرى ، فلو أن الإلكترون يدور حقاً حول النواة كما تتخيل، لكان من الضروري (حسب القوانين الكهربائية) أن يشع طاقة باستمرار ، ويقترب تدريجياً من النواة حتى يحدبها ، ويندمج بها ويتلاشيان في ومضة من الاشعاع ، وليس هذا ما يحدث في ذرات العناصر المألوفة .

وفوق ذلك ، فقد كانت هناك الخطوط الطيفية ، لكل عنصر قائمة تحتاج لتفسير ؛ صحيح كانت هناك معادلات رياضية تقدم بها كثير من العلماء تعطينا أطوال الموجات للخطوط بمجاميع معينة . ولكن هذه المعادلات نفسها كانت تحتاج لتدليل يسند لها ، وروابط تجمع بينها .

في سنة ١٩١٣ تقدم (بوهر) العالم الطبيعي الدانمركى بنظريته في تركيب الذرة على أساس نظرية الكواكم . قرر فيها أن الإلكترون لا يدور حول نواته إلا في مسارات محدودة معينة . هي المسارات المسموح له بالدوران فيها، وهو دائماً موجود في إحدى هذه المسارات ولا يوجد في غيرها .

وبتم إشعاع الطاقة بقفز الكترون من مسار لآخر أو طأ منه في الطاقة وأقرب للنواة ، وعادة التي تشع هي كواكم كامل . أو مضاعفات صحيحة من الكواكم ، وتختلف كميتها حسب المسارين المتنقل الإلكترون بينهما ، وبذا لا نجد في الطاقة المشعة من الذرة كماً من الكواكم .

وامتنصص الذرة للطاقة يتم بطريقة مشابهة . فالإلكترون إذا تلقى قدرأ كافياً من الطاقة تنقل من مسار كوكبي إلى آخر اعلى منه وأبعد عن النواة ، أى بعكس الاشعاع ، ولا تتمس الذرة من الطاقة إلا الكمية الكافية لتسقل الإلكترون قفزاً بين مسارين من الموجة المسارات المسموح بها .

نجحت نظرية (بوهر) في تفسير مجاميع خطوط طيف عنصر الايدروجين ، وأعطت طول لكل خط منها بدقة .

ولكن رغم النجاح الذى أصابته في تفسير معضلات الطيف ، كان العلماء قلقين من جهة عند المسح الجديد ، ففى النظرية ما يتخالف المؤلف من النظريات الكلاسيكية ، فهنا مفروض



شكل تمثيلي لمدج (بوهر) لدرة الايدروجين، مرسومه فيه الست مسارات لآوني الممكنة يدور الالكترون في واحدة منها حول النواة . وينتقل من مسار لآخر كما ينتقل الطير بين الأغصان . ويكون انتقال الالكترون أو قفزه عند إشعاع أو امتصاص طاقة . فإذا قفز من المسار الأول [١ أو ٢] إلى غيره تكونت الخطوط الطيفية لمجموعة (ليمان) . فإذا قفز من المسار الذي [٣ أو ٤] إلى غيره من المسارات الأعلى تكونت مجموعة (بالمر) . وإذا قفز من المسار الثالث [٣ أو ٤] تكونت مجموعة (باكن) في الطيف . وموضح بالشكل ثلاث خطوط فقط من كل مجموعة .

الكلاسيكية . وثبان أن القوانين المذكورة هي النهاية التي تقتارب إليها قوانين الكوانم كلما كانت المسارات الكوكبية أعلى وأعلى .

ولقد كانت محاولة التوفيق بين القوانين الكلاسيكية والكوانم أساس فرع من الميكانيكا جديد عرف باسم الميكانيكا الكوانتية . وفي سنة ١٩٢٥ تقدم هيرنبورج بنظرية جديدة ميكانيكية الكوانم . يستند فيها على ما نشهده ولاحظه فقط أي على الطاقة التي نسمع

أن الالكترون في مساره حول نواته لا يشع طاقة بينما تستعمل القوانين الكلاسيكية نفسها في حساب تردد الموجة في الطاقة المشعة أثناء قفز الالكترون من مسار إلى آخر . هذا الخلط بين القوانين الكلاسيكية ، وبين نظرية الكوانم وفروض بوهر ، هو الذي دعا السير ويليم راج لانف بقول منهكا « لكأنه يلوح أننا نؤمن بالنظريات الكلاسيكية أيام الاثنين والأربعاء والجمع . ونظرية الكوانم أيام الثلاثاء . والخميس . والسبت » ، فنحن حقاً نستعمل كلا منهما متى راق لنا ، ولتفسير ما نلاحظه رغم ما بينهما من تناقض .

ولكن ذلك لم يمنع أن يتجه نشاط كثير من البحوث إلى تلك الناحية ، وقد نجحوا في تفسير كثير من غوامض الطيف على أساس فروض بوهر . وفي سنة ١٩١٨ تقدم بوهر نفسه بمحاولة للتوفيق بين نظرية الكوانم والقوانين

الذرة أو تمتصها . فليس لنا حق في فرض مسارات بوهر الكوكبية ، فهي خارجة عن مدى أبنارنا وملاحظتنا .

كل ما نعرفه عن الذرة يصل لنا في حال تهيئها عند امتصاص أو إشعاع الطاقة . ونظرية هيرسبورج الرياضية مؤسسة على الكميات ، المشاهدة المقاسة فقط . وقد تطورت النظرية على مدى حدث آخري ، وأمكن الوصول إلى تفسير التأثيرات المشاهدة على طيف الايدرجين في اجالات الكهربائية والمغناطيسية .

حدث كل هذا المحاج بدون تعديير كبير في أفكارنا القديمة عن الذرة . ولكن محاولة جديدة بدأها (دى بروجى النملى) فتحت محالا توسع أمام علم الطبيعة . وأقيمت سس مذبذبا جديدة تعرف بالميكانيكا الموجية . وتقدمت كثيرا على يد (شرودنجر السويسرى) وغيره . وهى تفسر الظواهر الجديدة التى كشفت عن الخواص التوجية للأجسام المادية . صورة ذرة كما يتحيلها (شرودنجر) على أساس هذه الخواص . صورة مبهمه غامضة . فليس تصور الذرة المادية أن تصور أمواحا تتذبذب فى وسط تحت الاثير (يجب أن نبحث الاثير الذى محتاج له لتفسير انتقال الضوء) . وتردد هذه الأمواج - أى عدد ذراتها فى الثانية - أكثر من مليون مرة من تردد الضوء المرئى ، فهى أسرع من أن تكشفها الانما . ونوات الفردية خارجة عن لىاق ملاحظتنا . وما نلاحظه فعلا هو تأثيرها متجمعة ، والأمواج بتجمعها تتعاون فى خلق مساحة مضطربة هى التى نسميها باسم دقيقة مادية ، أو بصفة أخص (الكترون) .

فى هذه النظرية ليس هناك ما نجمع من وجود أمواج ذات ترددات مختلفة فى وقت واحد (تحت الاثير) . فداوحد مجموعتان من هذه الأمواج ، اختلاف التردد بينهما . كانت (الصربات) الحادثة سريعة لا محس لها وجوداً ، ولكننا نشعر (بالضربات) حادثة إذا كان الاختلاف فى الترددين صغيراً . إذ تصير بطيئة ببطء كافياً للتأثير فى أجهزتنا ، وتمثل لنا فى صورة ضوء .

ولست (الصربات) نفسها هى الضوء الذى نشهده . بل هى فى وسط (تحت الاثير) موجات الضوء فى مشاهدتنا الحسية ، فهى المصدر المهنر الذى يرسل بطريقة مبهمه أمواج اضوئية فى اثبرنا المعتاد .

صورة الجسم المادى إذاً كما يرزها لنا (شرودنجر) مبهمه . وقد اردادت إيهاماً فى سموت المجلس الأخيرة بالمبدأ الذى أضافه (هيرسبورج) سنة ١٩٢٧ . والذى يطلق عليه (دختون) اسم (مبدأ الاتحاديد) ، منه نرى أن لعلمنا بالأجسام لدقيقة حدوداً لا يمكن

تخطيطها ، فإذا أردنا تحديد موضع ومرة جسم صغير في لحظة ما ، يمكننا أن نحدد حجمه بدقة معقولة ، وكما ازدادت دقتنا في تحديده قلت الدقة في تحديد الثاني .

لفرض أن في إمكاننا - بمكروسكوب قوى - أن نحدد موضع الإلكترون بدقة كبيرة (وهو غير متيسر عملياً) ، فلكي نراه لابد من إضاءته ؛ ولكن الضوء عند صدمه له يغير من حركته بمقدار لا يمكن نظرياً التنبؤ به ، فكأننا لن نتمكن من رؤية الإلكترون وحساب سرعته في نفس الوقت بدقة .

فإذا تخيرنا ضوءاً أطول موجة . حتى تكون الطاقة التي تصدم الإلكترون قليلة . وليكون أثره في تغيير سرعة الإلكترون ضئيلاً ، كان ذلك دعى لإيهام الصورة التي يعكسها الضوء . فلا يبين الإلكترون بوضوح . ويصير موضعه أقل تحديداً .

وقد احتل مبدأ الاتحاد في أدبيات علم الطبيعة في السنوات الخمس الأخيرة مكاناً متميزاً به عن كثير من الاكتشافات ، وليس ذلك بغريب ، فلقد كان إيمان العلماء بقدرته بمرته لعمية في كشف كل مجهول إيماناً غير محدود ، ولكن العلم نفسه أبان أن مدى قدرته على تمزيق حجب المجهول محدودة . أو هي على الأقل محدودة في مجال الطبيعة الدرية . فإذ كان في إمكان العلم أن يفخر بقدرته على تحديد المسافة بين الأرض والشمس لدرجة كبيرة من لدقة ، فليست الحال كذلك داخل الذرة . ثم هو إن قرب من الاصابة مرة ، فلا بد أن يدفع عن ذلك في خطأ جديد مرة ثانية .

ويعطى بعض العلماء لمبدأ الاتحاد والافكار الأخيرة في الميكانيكا الموجية . أهمية كبيرة . فيترجمه السير (جيمس جيتز) الفيلسوف الانجليزى الشهير بأنه يعبره عن كره الطبيعة لديه وتحديد أكثر من كرهها لأى شىء آخر » ، ويعطى له (دلتون) أهمية نظرية اسمية . ولهذا رأينا الجدل يقوم بين العلماء حول « الحتمية » وهل بقى ما يدعو إلى أن نعتبر العالم المادى يسير تبع قوانين ميكانيكية دقيقة « محتمة » لا ينحرف عنها قيد أنملة . تتحرك في الإلكترونات والبروتونات كما تتحكم في الكواكب والشموس ؟

محاول أن نستعرض بسرعة تطور النظريات الطبيعية في تركيب الذرة . فبرى الصورة القديمة تمثلها لنا مكونة من ذرات كروية الشكل . ثم تتحول الصورة فتصير الذرات مركبة من لآخرى من دقائق أصغر فهي الإلكترونات ونوى كروية الشكل يفصل بينها فرع شسع . ثم يقيد (بوهر) الإلكترونات حول نوياتها بمسارات محدودة معينة لا تتحرك في غيرها . وأخيراً يلقي الغموض ظله على هذه الصورة المحدودة . فإحصار يحق لنا أن نكلم عن الإلكترونات والبروتونات ككرات . وكذلك الحدود صارت عدمة المعنى إذا أسدت هذه المسافات الأولية الدقيقة .

وأخيراً صارت الحسبات المادية لها خواص التموجات كالصوت، وصارت التموجات
موجية لها خواص الجسبات، والفصل في كل ذلك التعقيد راجع للعالم الطبيعي ! فقد ظل يبحث
وينقب ويجرد هذا الشيء الذي اصطلاحنا على تسميته «مادة» من صفة الاستمرار والتواصل،
فأخرجنا لنا مهلهلاً كالشبكة لا يريد ما فيه من المادة الحقيقية على قطرة دقيقة في حوض واسع
من المراع، وكذلك هذا الجزء التافه الضئيل لم يرتح إلى إبقائه، فما زال وراءه يتبعه
سكتر سكوبه ومعادلاته حتى كشف له عن صفات التموجات، ولا ندري أبقى فيه بعد
ذلك ما يستحق أن يسمى مادة أم لا ؟ .

ورغم ذلك فالعلم مارال هو هو في روحه وتطلعه للحقيقة، وإذا كانت أبحاثه في طوره
تجلى تحاول إنارة أركان شديدة الظلمة يكتنفها إبهام وغموض، فالتنا على ضوءه تزداد
حدة حتى تفسير ما تشهد من ظواهر الطبيعة، وليس ديب العلم أن المادة تقلل من بين
صامع على سنا ضوءه، وتختفي رويداً رويداً في عالم لا يمكننا تتبعها فيه، إذ ربما كنا
قرب شيئاً فشيئاً من ذلك الحاجز الذي يستحيل على إدراكنا المحدود أن يتخطاه،
أو يكشف ما وراءه .
محمد محمد السيد

المعرض الأول

لفهم التصوير الشمسي

ستقيم جمعية محبي الفنون الجميلة المشمولة بالرعاية العالية الملكية،
من ١٥ إلى ٣١ يناير سنة ١٩٣٣ معرضاً عاماً لفن التصوير الشمسي
لشترك فيه المحترفون والهواة، وقد تحدد يوم ٣١ ديسمبر الحالى آخر
ميعاد لقبول المعارضات .

وستقدم الجمعية دبلومات للمعارضين جميعاً، كما أنها خصصت تسع مداليات
للمحبة لثلاثة الفائزين الأول من الهواة فقط، في كل قسم من هذا الفن .
وتطلب الاستمارات للمعدة لذلك من مركز الجمعية بشارع نوبار باشا
رقم ٤ يومياً من الساعة ٨ صباحاً إلى الظهر ومن الساعة ٣ إلى ٦ مساءً
ما عدا أيام الآحاد .

عشائر البدو والرحل*

للدكتور خالد بك الخطيب [عمان]

وطنية البروى !

من التأثيرات السيئة التي تركها إهمال ولاية الأمور لتربية البدوى - وهو المعروف منذ في الذود عن حياض وطنه في الماضي - أن ذهنيته اليوم أصبحت حراً من التفكير في أمر وطنه . وإذا وجد بين الألواف المؤلفة من البدو من يخطر على باله مثل هذا الأمر ، فهو أندر من النادر ، وإذا حدثت أحدث مرة عن قصية وطنية بحيث تسكلمه بلفه غير لغته . وتجدر أن اهتمامه يكون شديداً بكثير لأن يسمع منك حديثاً عن غزوات الموالي والحديدين مثلاً . وخصوصاً إذا كان ينتسب لأحدى هاتين القبيلتين المتخاصمتين ؛ وأما كفاح في عربية مع أمة أجنبية وفي سبيل استقلال بلاد رمتها ؛ فهذا أمر يصون بل يعتقدون ، لا يعنيهم كثيراً ولا قليلاً .

الغزو عمر العرب !

وسى ذكر كلمة « غزو » قول : إنه آفة الآفات ، وأعظم الداءات . وهدم ميون . ومذهب اللات ، وقطع الصلات . وهو من عظم البليات التي برلت بالامة العربية منه نشأتها إلى يومنا هذا . بل هو من أشد أسباب تقهقرها حظورة . فكم من سلب تافه لا فيه له . سبب سفك الدماء البريئة بين قبيلتين عربيتين ربما طويلاً ولا أعجب من شيء عسى من . البدوى يعتقد أن الموز أمر مشروع يحق له التماحر به . مع أنه لو رجع إلى الصواب لتأكد من الغزو ما حرج عن كونه لصوصية . ولكمها لصوصية عليه . ويسرى هنا أن عن شكر الامة العربية لسمو الأمير « عبد الله العظيم » على جهود سموه التي بذلها ويبدلها في سبيل مكافحة هذا الداء القتال . ولا يفوتني أن أشكر - أيضاً - كل ملك ، أو أمير ، أو زعيم عربي بذل أو يبذل في هذا السبيل أي جهد محمود .

ومما يريد في ويلات الغزو على الامة العربية ثمران المستعمرين الذين يعرفون جيداً من أن تؤكل السكت ، يستثمرون إصعاف العشائر بواسطته . ويتخذونه سلاحاً لصرب العرب بالعري . والنتيجة هي لقيض عن حناق الجميع ؛ فهل نحن متعطون !! أقسم أن قصية الموالي والحديدين التي سفكت في مبيها كل هذه الدماء البريئة كان سهلاً على العرب القضاء عليها

* هذا هو القسم الذي في محاضرة من ألقىه الدكتور خالد بك الخطيب في مدرسة المعلمين (شرق الأردن) في العام الماضي وقد نشر القسم الأول منها في عدد مارس سنة ١٩٣١ من مجلة الأولى ص ١١٠

وفهم دون أن تأخذ هذا الطور الخطر ، لولا أن يبدأ أثيمة أجبية لعبت دورها في توسيع
خزنها ، ولو أردنا أن نعدد جميع الحوادث التي تؤيد هذا القول لصاق بنا الوقت ، وما
كفى ذلك عدة محاضرات !!!

علم البدوى ودينه

يكفى لتقدير مرتبة البدو العلمية أن نعلم أن الاحصاء النهائي لعدد المتعلمين عندهم هو
لكن قبيلة « حطيباً » ، ومعنى الحطيب في عرفهم هو الذي من الله عليه بنعمة القراءة
والكتابة ، أو القراءة على الأقل .

ويكتفى البدوى أن يعلم عن دينه أنه مسلم مثلاً ، وأن الله واحد ، وأن محمداً - صلى الله
عليه وسلم - نبيه ، ويصدر أن توفق إلى إيجاد بدوى يحبك عن عدد الركعات بالضبط لأي وقت
من وقت الصلاة ، ومن القصة التالية تقدرون درجة معرفتهم لآسى الذكر الحكيم :

عقب في سنة ١٩٢٦ ومعالى الدكتور شهيد ، من الأزرق إلى مح قريب منه ، رؤية
عن رحا من عرب الشرارات الذين كانوا نزلين ما بين قرى ، الملح والأزرق « بقيادة
شبحه » بشير شراري » ، فكشنا عندهم قليلاً ، وتحدثنا إلى بعضهم لعوائس . فسأل
شكور شهيد أحد : هل تعرف القراءة والكتابة ؟ قل : لا . فقال له : هل تعرف شيئاً
من غرس ؟ قل : لا . ولكن فلان - ثم أشار إلى أحد الخالسين يعرف القرآن جيداً .
سأله : ستور شهيد . ماذا تعرف من القرآن ؟ قل : أعرف سورة الباس ، فقلنا إليه
أن يسمعه ممها شيئاً ، فقال - وهو عرفهم بالقرآن - : أعوذ رب الناس الخناس وعن
الوسواس وعن الذي قرأ بقلوب الناس !!

وما كاد يصل إلى هنا ، حتى كادت تميد بنا الأرض من فرط المصحت . ثم قلنا له : بالله لا
تعرف غير هذه « سورة » ؟ فقال : أعرف « الصمدية » فرجوناها أن يقرأها ، فقال لا أفص
فوه !! : الله أحد لا من يولد ولا يلد ولا هو يكفو أحد !!

فب . ومن عمت هذا القرآن ؟ قل : الخطيب . قلت : نعم وكرم !!

حياة البدوى المرلية

بحياة البدوى المرلية لا تعرف معنى للنظافة ، بالرغم من أن الله من عليه بالدين الاسلامي الحنيف
وهو شدد الأديان حصاً على النظافة . إذ جعلها من الأيمان . ومع أن الأواني المرلية التي اعتد
البدوى ستمها في بيته - لثقة عددها - لا تتطلب في تنظيفها الماء الذي يصرفه الحضري في
بيته لتنظيف أوانيها العديدة ، فإنك تجد أواني البدوى في غاية القدارة ، وما لباسه فليس

في مقدور أحد - ولا حضرات رؤساء العشائر الحاضرين بيننا الآن - أن ينكر على قون
 إن البدوي كثيراً ما يحول عليه الحول وأكثر من الحول دون أن يغير ثوبه ، فتصوروا
 حال الثوب الذي يستعمله صاحبه سنة فأكثر ، دون أن يغيره ، أو على الأقل يفكر في غيبه .
 ومن الظلم أن يتوهم أحد أن إهمال البدوي لنظافة بيته ولباسه ناشئ عن حمة في طبيعه .
 كما هي الحال في بعض الشعوب ، فإن من الخطأ القادح إلصاق حمة الطبع بنفسية البدوي .
 والحوادث التي تروى عن إفراطه في الكرم الفريرى كثيرة لا يكاد يحصرها العدد . حتى إن
 لا تكاد تصدق البعض منها . وتظن أنها أسطورة من الأساطير ، أو خرافة كوتتها الأوهام
 لكثرة المبالغة فيها . مع أنها حقيقة واقعة . وكثيراً ما شاهدت بمعنى رضى بدوي يرتدى هو
 وأهله فخذ الألبسة وبلاها ، ويقرى صيوفه بما لو أراد أن يبتاع بقيمته ألبسة لبس آخر
 البباس وثمنه لا يمكنه فيمتصج لك من هذا أن إهماله لنظافة لباسه ومسكنه ليس ناشئاً حمة في
 طبيعه . ولكنه جهله معرفة طرق النظافة وعدم تمويده على ممارستها . وما أذكره هب
 بتزيد الأسف والشفقة : أن هذه القذارة في حياتهم تسبب وفاة الكثير من رجالهم ونسائهم
 وطفلتهم في كل سنة بداء (السل) . من الإحصائيات التقريبية تدل على أن خمسين في المائة منهم
 مصابون بالسل . إما الدرني المعاوى . أو الرئوى أو العظمى ؛ وهذا بالرغم من أنهم يعيشون
 في الهواء الطلق وتحت شمس الشمس الحارقة . وفي ذلك لجو الذي لا يعيش فيه سبيل
 السل بالسهولة .

هذه صورة مصغرة عن حالة البدوي . وعن أخلاقه . وعمله . ودينه . ووصيته . وبلاغه
 عن جميع بواحي حياته . وانتم ترون بها صورة يتألم لمراها كل عربي يدر على عروسته . وهي حريا
 باهتمام الأمة اهتماماً يتناسب مع كرامة مجدها ، وغار مجدها . نعم ! يجب أن نلفت لنتحسين
 شأن هذا البدوي الذي ينقصه وأدبه فم للعرب أدب تفاخر به جميع الآداب
 وفي شعره :

بكي صاحبي لما رأى لدرب دونه وأيقن أنها لاحتقات بقيصرا
 فقلت له لا تمك عينك إيعا محاول ملكك أو نخوت معدرا
 فرأنا آية الإباء والاعتصام بالصبر لاستمادة الملك الصائع ، وهذه عسى آيات الوضعية صحيحة
 وفي قوله :

تميرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها : إن الكرام قليل
 وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

فرأنا أنشودة الوفاء . ومن صبره وعدله وحسنه ودهائه ما سمعنا عن صبر أبي بكر
صديق وعدل عمر بن الخطاب وحكمة ابن العاص ودهاء ابن أبي سفيان .
ومن شجاعته وبريق سيفه عرفنا وقائع ابن الوليد وابن الجراح .
ومن مقامراته في الخطوب في سبيل أحمد الخالد قرأنا صفحة فتوحات ابن رباد .
وفي قاعات (اكسفورد) ردد التاريخ فضله العظيم . وعدد ماثره الجلى في سبيل
الاساسية يوم ذكر « ابن سينا » و « أبو بكر الرازي » وغيرها من أقوال علماء العرب المتقدمين .
إن هذا البدوى ، هو منا ونحن منه ، ومن الظلم بل من العار وسبة الأدب أن نتركه
تفدده أمواج الجهل فيتجسط في ظلماتها على غير هدى لا يعرف أين المصير .

الرواء الناجع

وبدا أفلت عليكم الكلام في وصف الداء . فاني لا أرى داعياً للاطالة في وصف الدواء .
لأنه يمحصر في كلمتين مختصرتين يعرفهما كل واحد منهما : الداء والتحسين .
وما استحو الى أن ذكر نعمة صغيرة عن الجهود التي بذلت في تعميم نشر العلم بين العشائر
وتحسينها ، وعند أي حد انتهت تلك الجهود :

في سنة ١٣٢٩ لهجرة صدرت وزارة الداخلية للدولة العثمانية قراراً يقضى بتعميم
تشكيل مدارس ابتدائية بين العشائر ، ثم ترقية هذه المدارس السيارية تدريجياً . ثم نشئت
في لآستانه مدرسة عسكرية خاصة لتعليم أبناء العشائر البدوية ، وقد أفادت هذه المدرسة
مع امائدة . فقد تخرج فيها عدد غير يسير من المتعلمين . ومن هؤلاء - كما ذكرت سابقاً -
لمرحوم « عبد المحسن السعدون » وكنون وغيره . والذي أعلمه أن جميع الذين تخرجوا
في تلك المدرسة تحضروا في وقاربهم . غير أن هذه المدرسة لم يكن . فقد جاءت غطاسة
الاعاديير من الترك وقصت عليها . فما اقرر بتعميم المدارس لابتدائية ، فقد أهمل إثر
صدوره ، فكان أنه لم يكن شيئاً مذكوراً .

وعند الحكومة العثمانية لم تنه بهذا الامر أية حكومة من الحكومات التي حلت محلها في البلاد
عربية . وإن كان هناك بعض المقترحات التي يقررون حصولها . فاما لا تتعدى حد التقرير والتسجيل ،
لأنه من الوجهة العملية لم يحدث شيء . وهذا من جهة الحكومات . وثما من جهة الأمة فإنه لم يبدل
حتى اليوم شيء مسمى يذكر . ولا فكرت أية هيئة من الهيئات العسية العامة بهذا الامر .
في فصل المسائل الفعالة هو أن تقوم لجنة نشر العلم بين هذه العشائر جهات تنافس

مسطمة توجدها الأمة، ونشد أزرها الحكومات، ويساعدها على مهمتها رعماء القبائل وشيوخ

اقتراح عملي !

ولى هنا اقتراح نود أن أحتم به محاصرتي . راجياً أن يلقي قبولاً :

إن لكل أمة مستقلة جديدة يقوم بأدائها شباب تلك الأمة . وفريضة الجديدة نعم كل فرد من أفرادها بلا استثناء ، فمن الممكن إذاً أن يحسب الشباب العربي المتعد أن هذه الجديدة فرض إجباري عليه نحو أمته ، فيتطوع لأدائها في مدة سنة كاملة بين أسماء به عشرة تختارها له جمعية منظمة تقوم لهذا الغرض . فيحصل أبناءها ويكون حديثاً عنصر لا للكفاح في الحداث . ولكن عاربة الجهل . ويكون سلاحه اقتراس واشهر لا البندقية والمدافع .

هذا اقتراح عملي أبعث به من قلب مكوم إلى آذن شباب العرب لماهين . فإن شئت أولى الجميع بأن يكونوا الجبهة الأمامية لتقويم بأداء هذا الواجب . والله من وراء القصد . وهو يهدي السبيل .

خالد الخطيب

[عمان]

واجبك !.. هل أدنيه ؟

انك متؤدب بلاديريب

أيها الشباب المثقف !

إن مجلة « المعرفة » سبيلكم إلى الثقافة الصحيحة . وهي أداة المصرية التي يصطلع بأعبائها الشاقة أحد مواطنيكم ، فليكن تعصيدهم إياه مشجعاً له ولنغيره . . على إحياء القومية المصرية

هذا واجبكم فأدوه

في كتاب ابن الرومي

للمستاذ عباس محمود المقاد

بقلم الأستاذ مصطفى جواد [بغداد]

سمعا عن هذا الكتاب كثيراً في الصحف والمجلات والمجالس من مدح وقبح وانتقاد ، ثم
نوفنا إلى تصفحه والمرور بما فيه . ولقد ألقينا كتاباً جيداً شاملاً متعوباً به منصوباً لأجله ،
مما فصل صاحبه ، وهو بعد تأليف من تأليف البشرية والجهود الانسانية ، فيه المليح
والقبيح ، والصحيح وغير الصحيح ، ومن ثم كان لما فيه آراء وتعليق : من استدراك
هذه ، وإتمام ناقص ، وترجيح شيء على مرجوحه ، وتقص رضى برئى وإصلاح وهم لغوى ،
وتصحيح غلط لغوى ، ولا شك أن مؤلفه الأستاذ أرحب صدراً من أن يصيق بالحقائق ،
وهذا من أن يفتاظ من الإصلاح ، وتسرّع من غيره إلى وقف القراءة على ما لم يقفوا عليه
من مناصده . وأول ما بدأ به كلمة على « ابن الرومي » مما لم يظهر به المؤلف من المصادر :
قال محمد باقر - مؤلف كتاب روضات الجنات - عنه : « الشاعر الباهر الماهر المشهور أبو الحسن
علي بن العباس بن جريح البغدادي المشتهر بابن الرومي كان - كما ذكره الصفدي - في ديل
نارنج أو حلکان شاعر وفقيه بليغ . مذكوراً في مقابلة ابن البحتری الأستاذ ! وكان
صانع نصح - شديد التمييز ، مهووماً في الأكل جعلياً . فكان يفتق أبوابه ! ولا يخرج إلى
حدوة من التمييز . فأراد بعض أصحابه أن يحضر إليهم في يوم أنس ، فسيروا إليه غلاماً
مبهاً سمه « إقبال » . فقال : « إقبال مقبوض لا بقاء » . ودخل وأغلق الباب ، وكان كثير
معه للأحفش الصغير على بن سنان - المتقدم ذكره - في ذيل ترجمة أول الأخافشة . . .
وذلك أنه لما كان كثير الظيرة . وكان الأحفش كثير المزاح ، فكان يباكره قبل كل أحد .
ويترك الباب عليه فيقول : من بالباب ؟ فيقول : الأحفش حرب بن مقاتل . وما أشبه ذلك ،
سأله احتر على أي قافية تريد أن تهجوك ؟ فقال : على روى قصيدة دعبل الشينية ، فقال :

ألا قل لنحويك الأخفش أنست فقصر ولا توحش
وما كنت عن نية مقصراً وأشلاء أمك لم تنبش
أما والقريرض وقصاده ونجشك فيه مع النجش
ودعواك عرفان قتاده بفضل النقي على الأنجش

لئن جئت ذا بشر حالك لقد جئت ذا نشأ أبرش
وما واحد جاء من أمة بأعجب من ناقد أخفش
كأن سنا الشتم في عرضه سنا القفر في السحر الأغبش
أقول وقد جاءني إنه ينوش هجاي مع النوش
إذا أغطش الدهر أحكامه سطا أضعف القوم بالأبطش
وما كل من أخفت أمه تعرض للمقذع الآخش

وهي طويلة ، فلما سار هجاؤه جمع أصحابه ، وكان له جماعة أصحاب من الرؤساء ودخرو
على « ابن الرومي » فكف عن هجائه ، وسأله أن يمدحه ، فقال :

ذكر الأخفش القديم قفلنا : إن للأخفش الحديث لفضلا
وإذا ما حكمت والزوم قومي في كلام معرب كان عدلا

إلى آخر القصيدة ، وقال أيضاً - بعد إيراد فقرات بليغة في بيان تملكه لأزمة المعاني -
وتسلطه على إيراد المطلب الواحد في أبواب من الألفاظ والمباني : ولقد بالغ ابن سناء الملك
حيث أجاب القاضي الفاضل ، وقد أمره باختيار شعر « ابن الرومي » ، فقال : « وأما أمره
في شعر ابن الرومي ، فما المملوك أهل لاختياره . ولا من الفواصين الذين يستخرجون الدرر
من بحاره ، لأن بحاره زخارة ، وأسوده زآرة . ومعدن تيره مردوم بالحجارة . وحتى كل
عقيلة منه ألف تقاب ، بن ألف ستارة ، يطعم ، ويؤيس ، ويوحش ، ويؤنس ، ويبيس ، ويضحي ،
وينيم ، شذرة ، وبصرة ، ودرة ، وآجرة ، وقبلة بجانبها السبة ! وحره بحوارها قبة .
ووردة قد حف بها الشوك ، وبراعة قد غطى عليها النوك ، لا يصل الاختيار إلى الرطبة حتى
ينجرح بالسلا . ولا يقول عاشقها : هذه الملاح قد أقبلت حتى يرى الحسن قد نولى . ثم المبر -
من جهابذته ، وكيف وقد تفلس فيه الوزير ؟ ولا من صيارفته ونقاده ، ولو احتدره جرير
لأعباه تميم الخيش من الوشي . والوبر من الحرير » . حكى عن ابن رشيقي وغيره أن لأنما لاه
ابن الرومي ، فقال له : « لم لا تشبه كتشبيهاً ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ » . قال له : « أنشدني
شيئاً من قوله الذي استعجرتني في مثله ، فأنشده قوله في الهلال :

والنظر إليه كزورق من فصة قد أثقلت حمولته من عنبر
فقال : زدني ، فأنشده :

كأن آذريونها والشمس فيها كالليه
ممداهن من ذهب فيها بقايا ظاليمه

فصاح : « واغوثاه ! لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . ذاك إنما يصف ما عون بيته ، لاه

بن حليفة ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن النظر إذا أنا وصفت فما أعرف أين يقع قولي من الناس ؟ هل لأحد قط مثل قولي في الغمام ؟

وساق صبيح للصباح دعوته
يتلوف بكاسات العقار كأنجم
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً
يطرزها قوس السحاب بأخضر
كأذيال خود أقبلت في غلائل
مصبة والبعض أقصر من بعض^(١)

وقولي في صانع الرقاق :

لا أنس لا أنس خبازاً مررت به
ما بين رؤيتها في كفه ككرة
يدحو الرقاقة مثل الملح بالبصر
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يلقي فيه بالحجر

انتهى . وتوفي ابن الرومي في حدود « التسعين والمائتين » ، وتقل في سبب موته ، أن الوزير أبا الحسن القاسم بن عبيد الله خاف هجومه وقلبات لسانه بالصحن ، فدرس عليه ابن فراس فأطعمه حشكناجحة مسمومة وهو في مجلسه . فلما أكلها أحس بالسقم فقام ، فقال له الوزير : « ان أين تذهب ؟ » ، فقال : إلى الموضوع الذي بعثني إليه . . . وأتى منزله وأقام به أياماً ومات . وقل الماض الصفدي أيضاً في كتابه الوافي عن علي بن عبد الله بن وصيف المشتهر بأبي الحسين الحلاء الناشء الأكبر^(٢) (وكان من متكلمي الشيعة الإمامية الفضلاء ، وله شعر مدون ، وروى عن ابن المعتز والمبرد ، وروى عنه ابن فارس اللغوي وعبد الله بن أحمد ابن محمد بن روزه الهمداني وغيرهما) . أنه قال : « كان ابن الرومي يجلس في دكان أبي وهو غطار ، ويلبس الدراعة ، وثيابه وسخة ، وأنا لا أعرفه . فأتقطع مدة ، فسألت أبي عنه : ما فعل ذلك الشيخ ؟ فقال : ويلك ! ذلك ابن الرومي وقد مات . فندمت إذ لم يكن أخذت عنه شيئاً^(٣) .

وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد : « علي بن العباس بن جريح أبو الحسن مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر . يعرف بابن الرومي أحد الشعراء المكثرين الجودين في الغزل والمدح والهجاء والأوصاف ، روى عنه غير واحد من أهل الأدب ، أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالعي : أخبرني أبو الحسين عيسى بن جعفر الحمداني ، قال : « كنت

١١١٩ ابن حنبل في ترجمه سيف الدولة عيسى أحمد بن محمد والابيات اليه م سورة « ١٤٠ » من هذه
است لا واسق القريعي ولأول كسره التبعي في كتاب قيمة الدهر « ١٤٠ » من التبعيات
سكة أي لا كساد حصرتها لمسوفة « ١٤٠ » وهو قول لا توجه وجهه ولا كان كساد
مفرد واحد لم كان مهلة اطهر على الشعراء أم تذكره واه وقيمة (٢) كد « إلى لا » وهو لا صر
كاملنا من الوفيات ١ : ٣٨٩ (٣) بروضات الجنات ص ٧٣٩ :

في غلمان دار القاسم بن عبيد الله الوزير (١). فدخل القاسم يوماً داره راجعاً من روه .
وكان في جملة حاشيته حينئذ رجل روه يدخل الدار كثيراً ويأدم . وكان متدرباً منمماً .
فالتفت القاسم إلى الرجل . فقال له : يا أبا الحسن امل الآيات على كاتب يكتبها بخطوها .
فأمل على كاتب كتب عنده ثلاث آيات وهي :

ما أنس لا أنس حيازاً مررت به يدحو الرقاقة وشك اللحم بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه ككرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا تقدير ما تندح دائحة في حومة الماء يرمي فيه بالحجر
وقال للكاتب : « اكتب : تندح دائحة وتدار دائرة » . فسألت عنه لأعرفه . فقبل

لي : هذا ابن الرومي .
أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد الوكيل . . . حدثنا الحسين ابن القاسم الكوكبي .
قال : أنشدني علي بن العباس الرومي لنفسه . وكتب بها إلى بعض إخوانه . وقد قدم من
سفره فتأخر عن السلام عليه :

يا من أوّل دون كل كريم وتح نفسى دون كل حيم
أحرت تسليمي عليك كرامة لرحام من يلقاك لتسلم
ودكرت قسمتك التحفى بينهم عند اللقاء كفعل كل كريم
فنفست داك عليهم وأردته من دونهم وحدى بغير قسم
فصبرت عنك إلى احسار غماره والقلب نحوك دائم التحوم
صبر امرئ يعطى المودة حقها لا صبر مذموم الحفاظ لقيم
والسمي نحوك بعد ذاك فريضة عن طيب خيمك فهو أطيب حيم
ومنى استربت بخلة معوحة فتتبع العوجاء بالتقويم

أخبرنا هلال بن محمد بن جعفر الحفار ، حدثنا أبو القاسم اسماعيل بن علي الخزازي وهو
ابن أحي دعبل بن عيسى ، قال : أنشدنا علي بن العباس بن جريح الرومي لنفسه :
ومنهف تحت محاسنه حتى تجاوز منية النفس
ترنو الكؤوس إليه راشقة وتجول بين أنامل خمس
فكأنه والكأس في يده قمر يقبل طارض الشمس

(لها بقية)

مصطفى جواد

(١) هو وزير أبي العباس أحمد المعتصم بالله بن ملحة الموفق وزير منه استثنى نوبى سنة ٢٩١ هـ
وقيل هو الذي سمى ابن الرومي بـ (مروج الذهب ٢٠٢ - ٢٩٤) من الطبعة الثانية ،
المسموذي : « وكان عظيم الهبة شديد الامانة سافراً للمدائن وكان السكندر واسمه على رعبه لا يأت
أحد منهم لنفسه عمة معه . وكان ممن تولى القاسم بن عبيد الله (عبد الواحد بن الموفق) وكان معتقلاً
مؤسس الحادة . سمع اليه حتى أحد برأسه وذلك في يوم استثنى » وذكره اسموذي أيضاً في ص ١٨٠
و ٤٩٠ - ١ و ٥٠٦ وابن خلكان في « ٣٨٧ : ١ » من الوفيات وياقوت الروي في معجم (ص ١٨٠)
« ٤٨٠ : ١ و ٨٣٦ و ١٣٦ » والفجرى ص ١٩٠ - ١ والحيوطي وشرح الخلفاء ص ٣٨٧ وأن الأتي

مارستان تانان مصر

في العصر الإسلامي

بقلم الدكتور أحمد عيسى بك

١ - مارستانه زقاق القناديل بالفسطاط

قيل^(١) : إنه كان في الدولة الأموية مارستان في زقاق القناديل - دار أبي زيد - ، وزقاق القناديل هذا - ويقال له زقاق القنديل - من أزقة الفسطاط. قال القاضي القصاعي^(٢) : إنما وسم هذا القناديل ، وقيل : إنما قيل له زقاق القنديل ؛ لأنه كان يرسم قنديل يوجد على باب عمرو بن العاص : وقال أبو عبد الله بن المتوج الزبيرى : وكان به دار عمرو بن العاص ، وفيه ولد للإمام الحافظ ابن سيد الناس صاحب كتاب « عيون الأثر » ، في فنون المغازى والتجارب والسير ، المتوفى سنة ٥٧٣ هـ .

٢ - بيمارستانه المعافر

هذا المارستان^(٣) كان في خطة المعافر^(٤) ، التي موضعها ما بين العاصر من مدينة مصر لفسطاط ، وبين مصلى خولان^(٥) التي بالقرافة ، بناه الفتح بن خاقان^(٦) في أيام الخليفة المتوكل على الله ، وقد باد أثره .

٣ - البيمارستانه العنبر بمصر ويعرف بالأعلى

(بيمارستان أحمد بن طولون)

هذا المارستان^(٧) يعرف بالآتي ، أنشأه أحمد بن طولون في سنة ٢٥٩ هـ - ٨٧٢ م .

٥ - شرح في السيرة الأولى « للمعرفة » سبع مقالات من هذا البحث الخليل بعنوان « تاريخ العنبر » .
٦ - شرح في السيرة الأولى « للمعرفة » ١٩٣٢ هـ وهذا هو المقال الذي تقدمه « المعرفة » حصرات اقراء
٧ - سيرة محمود الأستاذ الباحث قدومه .

(١) « الانتصار بواسطة عقد الامصار » لابن دقاق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ ص ٩٩ ج ٤ .

(٢) الانتصار ص ١٣ ج ٤ . (٣) المقربرى ص ٤٠٦ ج ٢ . (٤) هم بنو المعافر بن يعمر بن مرة بن دود . (٥) هم بنو خولان بن عمر بن ماث بن زيد بن عريب . (٦) هو الفتح بن حاف ودر بن موك على بن العباسي وهو أحمد بن طولون ، قتل مع الخليفة المتوكل في ليلة واحدة وفي مجلس واحد سنة ٢٥٩ هـ ٨٦١ م . (٧) « الانتصار » لابن دقاق ص ٩٩ ج ٤ .

وقبل سنة ٥٢٦١ هـ. وذكر أن مبلغ ما أتفق عليه وبين مستغله ستون ألف دينار، وحبس عليه سون
الرفيق وغيره، ولم يكن قبل ذلك في مصر مارستان، وشرط ألا يعالج فيه جندى ولا
مموك. وكان يشارفه بنفسه. ويركب إليه يوماً في كل أسبوع، وقال أبو العباس أحمد القلقشدي^(١).
أول من اتخذ البيمارستان عصر أحمد بن طولون. بنه بالسفطاط، وهو موجود إلى الآن إلى
إلى عصره، وتوفي القلقشدي سنة ٨٢١ هـ ١٤١٨ م)، وبلغت أجرة مقعد يكرى عند
البيمارستان لطلونى بالسفطاط في كل يوم اثني عشر درهماً. وهذا المارستان^(٢) كان موضعه في أرض
العسكر^(٣)، وهي الكيمان والصجراء التي تقع بين جامع ابن طولون وكوم الجراح^(٤). وفيه
بين قنطرة السد التي إلى الخليج ظاهر مدينة مصر، وبين السور الذي يفصل بين قنطرة وبين
مصر. وقد اندثر هذا المارستان في جملة ما اندثر ولم يبق له أثر. وقال أبو سمر الكندي في
كتاب الأمراء: وأمر أحمد بن طولون أيضاً ببناء المارستان لعرضي، فبنى لهم في سنة ٥٥٩ هـ
٨٧٢ م. وقال جامع السيرة الطولونية: وفي سنة ٥٢٦١ هـ ٨٧٤ م بنى أحمد بن طولون لمارستان،
ولم يكن قبل ذلك في مصر مارستان، ولما فرغ منه حبس عليه در الديوان. ودوره من
الأساكفة والقيسارية وسوق الرفيق، وشرط في المارستان ألا يعالج فيه جندى ولا مموك.
وعمل حمامين للمارستان: أحدهما للرجال. والآخر للنساء، حبسهما على المارستان وغيره.
وشرط: أنه إذا جرى بعليل تترع عنه ثيابه وتفقته وتحفظ عند أمين المارستان، ثم بلبس
ثياباً، ويفرش له. ويندى. وراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ. فإذا أكل قروحة
ورغماً أمر بالانصراف. وعطى له ماله وثيابه. وفي سنة (٥٢٦٢ هـ ٨٧٥ م) كان ما حبسه
على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذي يسمى بـ (تمور فرعون). وكان مبلغ ما أتفق بين
المارستان ومستغله ستين ألف دينار. فكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة، ويتمتع حزناً

(١) صحیح الاعشی ص ٣٣٧ ج ٣ . (٢) القرری ص ٤٠٥ ج ٢ . (٣) فی - ع ١٢٣ یون
عن عبد الله بن بريدة ولاية معه باستخفاف صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد
الله بن عباسي ، وهو أول من من مصر من قبل جده ، بنی المباس .
فی یأتی قول هذ سکت أمراء و هم امسکر ، وسیده ، أنه قد قدم صالح بن علي المباسي وأبو
حمزة بن مضر فی حلب مروان الحار ، رکت عندهم الصحابة ، حيث جسد ، شكر ، الذي هو
جسد أحمد بن حنبل وكان معه ، فلما رأى أبو عوف ذلك أسر أصحابه ، فلهذا قد فوا ، وبی
أخبار الامارة ومجده ، أعرف بتمام امسکر ، وعمات اشترطه أيضاً فی المسكر وبذل لها اشترطه
و جسد ، بنی الأمير أحمد بن حنبل من الموجود الآن ، وسمی من وشد ذلك اعطاء (المسکر)
ببر الامر ، مضر من بعد فی قول ، وصار امسکر مدینه ذات سواف ودور عشيقه ، وبذل
الامر ، من طولول به رسته ، وكان ایبه رسال اندکور بالقرب من بركة هرون - انی صارت
ان کبه ، وبعدها بركة علی - ار من منی من حدة بن فبجعة بريدة قطرة (سد) - (جوه الزاهرة ص ٢٦٢)
صح لید سنة ١٨٥٢ م .
(٢) هو السکوم المتصل بدرجة موقف الطحانین ، وكان هذا الخط من أعمر الخطط بانقطاعه .

المارستان وما فيها والأطباء ، وينظر إلى المرضى وسائر المعوليين والمحبوسين من المجانين ؛
فدخل مرة حتى وقف عند اجمائين ، فناداه واحد منهم مغول : أنها الأمير اسمع كلامي ! ما أنا
تحنون . وإنما عملت على حيلة ، وفي نفسي شهوة رمانة عريشية أكبر ما يكون ؛ فأمر له
بها من ساعته ، ففرح بها وهزها في يده ورازها ، ثم غافل أحمد بن طولون ورمى بها في
صدره . فنصحت على ثيابه ، ولو تمكنت منه لانت على صدره ، فأمرهم أن يحتفظوا به ، ثم
لم يعاود بعد ذلك النظر في اليمارستان .

وقد دخل مصر في سنة ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م ابن جبير^(١) الرحالة المغربي العظيم ، وشاهد
اليمارستان الذي بالقاهرة ، وقال : إنه مفخرة من مفاخر السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب : وأطنب في وصفه بما سيأتي ذكره بعد في موضعه ، قال : وفي مصر (القسطاط)
مارستان آخر عني مثل ذلك الرسم بعينه ؛ وقال السخاوي^(٢) : إن أحمد بن طولون بنى إلى
حاجب حامي اليمارستان . وكان بناء القطنع والجامع وقصره الذي نزل فيه في سنة ٢٥٦ هـ ٨٦٩ م ؛
وقال ابن أبياس^(٣) : فلما بنى الأمير أحمد بن طولون هذا الجامع ، أنشأ به مارستاناً برسم
الصعفاء . ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ، وكان في أحد مجالس اليمارستان العتيق - أي
بمارستان أحمد بن طولون - خزانة كتب ، كان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العديم
بطول الأمر في عدتها^(٤) .

قال أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي في كتاب « تاريخ مصر وولاتها »
ص ٢١٦ ، طبع بيروت :

وقدم أحمد بن طولون إلى (القسطاط) يوم الخميس ثمان حنون من شوال سنة ٢٥٩ هـ ،
وتم بناء المسجد على الجبل في صفر سنة ٢٥٩ هـ ، وأمر أيضاً ببناء المارستان للعرض ، فبنى لهم
في سنة ٢٥٩ هـ ؛ وقال محمد بن داود :

ألا أيها الأغفال أيها تأمروا وهل يوقظ الأدهان غير التأمل ؟
ألم تعلموا أن ابن طولون قمة تسير من سهل إليكم ومن عل ؟
ولولا جنائيات الذنوب لما علت عليكم يد العج السخيف الجهل
يمسح مرضاكم ويرمي حريركم حيش^(٥) القلب أدم أعزل

(١) رحلة ص ٥٢ . ولد ابن جبير ببلدية سنة ٥٤٠ هـ - ١١٤٥ م وتوفي بـالاسكندرية سنة ٦١٤ هـ -

١٢١٢ م (٢) تحفة الاحصاء ص ٤٤ هـ هامش مع الطبيب (٣) بدائع الزهور ص ٣٨ - ٤١ ولد
ابن أبياس سنة ٨٤٢ هـ - ١٤٤٨ م وتوفي سنة ٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م (٤) النجوم الزاهرة ص ٤٨٢ .

(٥) هنا قص .

فيا ليت مارستانه نيط بيسه وما فيه من علاج عتل مقلد
فكم ضجة للناس من خلف ستره تصج إلى قلب عن الله مغفل
ولما آلت الدولة الطولوية إلى الزوال بخروج شيبان بن أحمد بن طولون آخر موكها من
مصر في ليلة الخميس ليلة حلت من ربيع الأول سنة ٥٢٩٢ هـ دخلها محمد بن سليمان الكاتب من
قبل المكتفى بالله يوم الخميس لمسهل ربيع الأول سنة ٢٩٢ هـ فأمر بإحراق القضاة فأحرقت
ونهب أصحابه القسطنطينية يومئذ فركب محمد بن سليمان قطافها وأطلق من في السجون وسكن
الناس ودعا من الغد على المنبر لأمير المؤمنين المكتفى بالله وحده، وصرفه رجال الدولة
الطولوية من قضاة وقوادع عن الحكم وأخرج ولد أحمد بن طولون وهو عشرون سنة -
فلم يبق في مصر منهم أحد يذكر - خلف منهم الديار وعفت منهم الآثار وتعتب منهم
المنارل وحل بهم الذل بعد العز واستطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك
ومساعدة الأيام.

فأخذ الشعراء في رثائهم والتعسر عليهم، فنظموا القصائد الطوال في ذلك، ومن
هؤلاء الشعراء سعيد القاضي، قال يرثي الدولة الطولوية وما شيدته من جلائل الآثار في
قصيدة مطلعها :

جرى دمه ما بين سحر إلى نحر ولم يجر حتى أسلته يد لصبر
إلى أن قال يرثي البيارستان^(١) :

ولا تلمس مارستانه واتساعه وتوسعة الأرزاق للحول والشهر
وما فيه من قوامه وكفائه ورفقهم بالمعتفين ذوي الفقر
فلميت المقبور حسن جهاره ولحنى رفق في علاج وفي حبر

إلى أن قال :

ما تزل لا تبلى وإن ماد ربها ومحد يؤدي وارثيه إلى الفقر

الخ ...

أحمد عيسى

الروح وماهيتها

للسيد محمد الحريري

في السنة الاولى من حياة « المعرفة » امراء ، ثلاث مقالات عن « الروح وماهيتها » ولم تنبأ لظروف . والآن وقد أتيحت لنا الفرصة . نقدم هذه الكلمة وهي الختام في الحريري

ما يمكن أن يرى من الروح

هذا الاسباب الذي قدمنا ذكره ^(١) لا يمكن لروح مقيدة بجسمها رؤية روح مجردة ، وقد يتمكن روح مكتسبة بجسمها الروحاني البسيط أن ترى روحاً أخرى بجسمها الروحاني أيضاً ، وذلك في حالات الانطلاق الروحاني بأية صفة كانت . أو التنبؤ المغناطيسي ، أو ما شابه ذلك : بل إن كثيراً من المتعبدين والمأخوذين والصوفيين يرون أشباحاً نورانية من جملة عوالم ، كالجن ، والملائكة وسائر الأرواح المكتسبة بأجسامها الروحانية ، وقد نبه على ذلك كثير من الصوفية عند تحذير مريديهم عند دخولهم الحياة ، داعين الضار منها وغير الضار في إتمام هذه الرياضة .

نسب لأحد النائمين مغناطيسياً . أنه أثناء نومه قتل أحد الحاضرين صرصاراً على الأرض بأن سحقه بعله . فصاح النائم : إني أرى روح صرصار تصعد إلى العلو ، فسأل النائم هذا النائم عن شكل هذه الروح . فقال : هي على شاة الصرصار بالصبط . إلا أن من نور ! كما أنه حصل - أيضاً - لأحد النائمين مغناطيسياً أن رأى بجوار أحد الحاضرين كدباً وصفه بشكل من نوع مخصوص ، وهو من نور - أيضاً - ، ولما سئل الشخص الذي كان يحواره ذلك الكلب ، قال : إنه صفة كلب له . غرق ومات من يومين .

عند الجسم الموراني الذي رآه النائم مغناطيسياً ليس هو الروح المجرد أبداً ، بل هو الروح لاسه جسمها الروحاني - السابق التعريف عنه - وهذا الجسم هو الذي يمكن رؤية لأصحاب لتوء المغنط ، أو أصحاب الرياضات بجميع أنواعها ، وهو عبارة عن طيف وأشباح معنصالحين والقديسين ، ولكن تلك الأجسام الروحانية تختلف في الرؤيا في الصفاء وعدمه بحسب نقاء وفطرة الرائي . فقد يرى شخص طيفاً نورياً شمسياً مثلاً ، بينما يرى آخر

طيفاً قمرياً ، أو ظلالياً إلى آخر التنوعات ؛ وهذا المشهد هو المسمى عند الصوفية بـ « الظلال » .

هذه الأجسام الروحية هي على شاكلة الجسم ذرة ذرة ، ويمكنها أن تظهر في ابدن الذي كانت ترتديه ظاهراً ، وذلك بمجرد الارادة ، كما بينا ذلك في تأثير الروح في الأثير . بل يبلغ من قوة تأثير الروح في الأثير ما يمكن أن تتخذ هذه الروح الشكل الذي تريدة بمجرد الارادة ، وإن سهولة تشكل الأثير لارادة الروح كتناثر سلك الكهرباء من العنبر على (البطارية) المتصل بها ، فينتج صورة ما ضغط بالضغط . فعالم الروح يمكنه أن يتشكل ، يمكن لعالم الجسمية أن يتخيه في محيلته ، فقد جاء في الأحبار الصحيحة : أن سيدنا جبريل كثيراً ما كان يظهر على صورة سيدنا دحية الكلبي الصحابي الجليل ... كما أن عالم الجن معلوم عنه أنه يتشكل بنا إنشاء في أي صورة إنسانية كانت . أو حيوانية . وقد ذكر الأستاذ الداع الذي نقل عنه الحافظ أحمد بن المبارك - رضى الله عنهما - في كتاب « الأبرار » في باب ديوان الصالحين ، كثيراً من مثل هذا عند شرح كيفية تصرف الأولياء . وأنه لا يمكن للإنسان أن يعلم كنه الروح ما لم يعلم الإنسان جميع العوالم المادية وأهلها طبقة طبقة .

وما حقيقة كنه الروح فلا يمكن أن ترى تمام الرؤية الاحاطية إلا بنفس ذات الروح عند مفارقتها جميع ثوابها ولرجوع إلى عالمها . وإن غاية ما يمكن أن يعلم من ماهية الروح هو نوراني غير قابل للتقدير . أو الوزن . أو الحصر الخاص بالمادة . منافية لجميع ما هو مادي . طامة بذاتها وبربها علماً ذاتياً بكليةتها . لا تطبع جميع محسنتاتها من عالمها فيها إمداداً نقاباً بالذات ، فينتلوي فيها كل ما حولها انطواء . لتصور بالمرآة على أقرب تشبيه . فتعلم مقدار قوة إمدادها من أصل مترعها من النور الأول وأسبقيتها في الرتبة والصفاء . إذ أن لكل روح قوة علمية ، وهذا سبب نبوغ فرد عن فرد . ولو تساوى في التعليم ولوسط ، إلا أن حدته من قوة روحه ما يردى قوة روح الآخر . وإلا تساوت أرواح الأنبياء بسائر الأرواح . وهذا ما لم يقل به أي عاقل . وقد أخبر الامام مالك - رضى الله عنه - أن الروح هي صورة بربيه على شاكلة الجسم . ومن خصوصية الروح عند صفائها من حجابيتها بأى عامر من هو من التي سبق تليانها . أن يفاض عليها بعلوم كثيرة كامنة فيها تستمد منها من عالمها الأور كاسمة فيه جملة ما تفرع منه من سائر المعلومات التي حدثت في العوالم المتفرعة منه ، وفقط يختلف الناصر في الافصاح عن هذه المعلومات ، وعدم الافصاح عنها باختلاف إمكان تصوير المعنى في اللفظ .

ومن خصوصية الروح - أيضاً - الافاضة بعلومها على روح أخرى مقاربة لها في الحالة

للاصلافة . فما في حالة الذنوم الطبيعي . وهذا مشهور ومعلوم ، وقد أخبر الفيلسوف (سقراط) أن سار علومه أخذها من هذا الوجه ، أو من التنويم المغناطيسي الحديث . وهي المعبر عنه بالطريقة الاستيلائية . فإن المستوى عليه يتكلم بعلوم ولغات غريبة عنه إذا حصل له الصحو . وهذه الحالة كثيرة الشيوع والذيع عند الصوفية المتقدمين ، فقد ذكر الامام الشعراي في كتاب «الطبقات الكبرى» عند ترجمة سيدي عبد الرحيم القنائي ، أنه كان ينظر نظرة روحية لأحد العوام ، فيتكلم بعلوم غريبة ، فإذا ما تحول عنه عاد كما كان لا يدري مما قال شيئاً .

ومن خصوصية الروح المد والجزر والريان . وقد تكون سبحات الروح للساكنين هي سبحات - أيضاً - لبعض المستيقظين ، فطرة فيهم واستعداداً طبيعياً ، وهم المعبر عنهم عند المتصوفة بأهل الكشف والشهود ، وعند علماء الروحية الحديثة بأصحاب الانطلاق الروحي الطبيعي بلا أي علاج .

ومن نتائج التوجيهات الروحية من الأرواح القوية للأضعف منها - شفاءها من جملة أمراض عصبية حسانية ، وقد شاع ذلك - قديماً وحديثاً - عند المتصوفة والروحانيين وسارت بدكره أركان . وتعليل ذلك سريان السيلال الروح من القوى إلى الضعيف فيمدد بما يقوى سياله الروحي على قووية الأعصاب ومنها إلى سائر البدن .

ومن خصائص الروح التشكل بأي صورة شاءت . وذلك عند كبار المرتاضين . فقد ذكر في «الطبقات الكبرى» للشعراي : أن «سيدي محمد شمس الدين الحنفي» دخل عليه شخص في حبوته بفتنة فوحده سبعمائة عطيماً . وذكر عن آخره : أنهم كانوا يتشكلون فيلا وغيره . وحالة التطور هذه مشهورة عند من حالف أهل الرياضات . وقد ذكرت حكايات من هذه عن الأفعال التوائمة ، فقد قيل : إن بعضهم يتشكل بصفة (قنذ) ويسرح في سروب والحارات ، وكذلك ذكر عن بعض متوحشي (إفريقيا) و(الهند) : أن بعضهم يتصور سبعة (صع) أو (دب) . ويفعل ما يفعله هذا الحيوان بالذات ؛ وفي التنويم المغناطيسي صورة من هذا بالصفة لا بالفعل . فإن قال الموم للساكن : أنت طفل ، وهو رجل أخذ صفة الإنسان في الأقوال والحركات . أو لو قال له : أنت ببغاء ، أو كلب لا تأخذ صفة هذا الحيوان في حركاته وسكاته ، وهذه حالة أولية للتشكل . فإن قويت أمكن اتحاد الشكل ذاته تماماً فيساده . كما أنه يمكن في مخاطبة هذه الأرواح أن يفهمها أن السكر هو حنظل والعكس عكس . فإذا ذاقه النائم تأثر بخاصية العنصر الذي أفهم به وتأنم ، أو تولد حسب مذاقها ، وقد أقهرت روحه أن قطعة حجر هي نار ، ولمستها لا احترقت يدها . وهذا هو المسمى

في الروحانية بالإحياء الاستنفواثي.

ومن خواص الأرواح إمكان التنويم الطويل ، كما يحدث عند روحاني الهند . فقد ينامون ويمكثون بضعة شهور ، ثم يستيقظون ، وفي هذا من الدليل ما فيه على صحة يوم أهل الكهف .

هذا ما عنى تبياناً في ماهية الروح بحسب ما جاء على لسان السلف والخلف من الصوفية وعلماء الروحانية ، رابطاً بينهما بالعلوم المصرية الحديثة والمكتشفات الغربية . هو معلوم في المادة ، مضافاً إليها بعض مشاهدات التي جرت في كيفية إظهار بعض هؤلاء الأسباب العلمية التي تطورت أخيراً ، وكانت سبباً في هذا الإظهار ، إذ أتى وإن كنت من المتصوفة ، إلا أنه يمكنني التعصب لأقوال الصوفية جملة دون هذا التطبيق العملي . وقد ردت في هذا البيان أن تكون الفائدة أعم لمن داق من منهل الطريقتين التصوف ولفلسفة الصحيحة .

محمد محمد الحريري

عن الناشئ الأكبر أيضاً

قرئت ما كتبه الاستاذ محمود الخصيري في ص ٧٨٠ من هذه المجلة ، من الاستدراك في أخبار الناشئ الأكبر . وقد خرج عما اختلفا فيه بذكره ما ليس بصورتي من كون الناشئ ، قد أُلِف في الملل والنحل . لأنني قد قلت في ص ٧٥٣ من ٢ من « المعرفة » عن من خُلق : « ولم يذكر أنه نقض كتب المنطق ... ولكن إغفال ابن حلكان هذه الحصة لا يستلزم رواها منه . غير أنه يجب ذكر المصدر الأصلي » ، فذكرت الاستاذ خصيري عن مروج الذهب ٧ : ٨٨ - طبعة باريس « أنه ذكر في قصيدته أهل الآراء ، والنحل . والمذاهب . والملل . وله قدم في العلوم » ، وهذا لا يدل على أنه نقض كتب المنطق . ثم إن الاستاذ الخصيري . لم يحسن النقل . فإلى كذا قد قرأناه في المروج المصنوع : « سمع البهية بنصر . كما في ٢ : ٣٤٠ - ١ » منه . عن هذا الرجل « أنه هو الذي خرج عن تقليد العرب إلى باب التسفس . والنظر . ونصب العلل على أوصاف الجدل » لا الخليل بن أحمد : ولهذا سبب قال فيه المسعودي « كان ذلك [أي الجدل] له لازماً ، ولما أورده كامراً » . فانتقده نقداً دقيقاً . وجدال الناشئ بالحجج المنطقية . لا يفيد أنه نقض كتب المنطق . فالمنطق شيء . واتخاذ آلة للجدل شيء آخر . ونحن كنا ندرى بما نقله الاستاذ عن ضمة المروج المفهرسة ، ويزيده ثقة بقولنا : إن الفريحي المهرمس . لم يذكر الناشئ مرة ثالثة كما في ص ٥٠ من الطبعة المصرية الأخيرة . فإن ابن داود الأصمباني ألف « الاتصار على محمد بن جرير . وعبد الله بن شريش . وعيسى بن إبراهيم الضرير ما

مصطفى جواد

[بغداد]

بين الحقيقة والخيال

المزارعون العارفون بالصناعات كلها!!

من مقال للكاتب الإنجليزي الشهير

ويفرند روبرتسن

عاش المستر ويفرند روبرتسن الكاتب الإنجليزي الشهير حوالي العشرين عاماً في إقليم روماجندي من روديسيا ، واشتغل هذا كزارع يعنى بالادرة والتبغ والقطن ، كما اشتغل بالقطن وصيد الوحوش الاقليمية . وفي سنة ١٩٢٩ م قد الى انجلترا فقام راجعاً من تجارته معلماً كبيراً . وبدأ الاشتغال بصناعة أخرى هي الكتابة الصحفية . وفي هذا المقال الوصفى اندمج بصورة لكاتب حاد المزارعين في تلك الاقليم الى ان لا يعرف عنها شيئاً . وهو مقول عن محنة من المحلات الاكبرية في المحرر

في التقارير الرسمية للأوروبيين الناريين في روديسيا . أن كل من يشتغل بتربية المواشى بسمونه مزارعاً . ولو أنه - في الحقيقة - عارف بكل شيء . وليس بارراعة فقط .
« يعيش في فضاء من الأرض - يمتد آلافاً من الأميال - تحتلها أميال من صفوف الأشجار ، التي تشعب بدقة من دائرة « المقر الأبيض » الذي يقطن فيه رب الطبيعة ، ثم نسب خلال الفضاء مكونة حدوداً طبيعية باصرة . تدق في انساقها عن كثير من الحدود الصناعية والأسوار .

في هذا الفضاء المترامي يعيش المزارع في هذا الاقليم ، وقد أثقلته الطبيعة بجملته من المسؤوليات . لم تنف به أى مزارع في أى إقليم من الأقاليم الزراعية الأخرى التي وصل إليها . اعمد . ختمت عليه أن يكون : طبيب سنان . وحداداً ، وضرباً . ورجل بوليس ، وقاصياً يقضى ما بين الناس وبعضها من خصومات بالتي هي أحسن . وقصاً يذبح رقاب الحيوانات - المستأنس منها والمستوحش - ، وطبيباً وصفيّاً وجراحاً !! وبالاختصار فإن الطبيعة ختمت عليه أن يكون عارفاً بشتى الحرف والصناعات والمهن .

ولو أمكن لأحد سكان المدن أن يعرف شتى هذه الحرف والمهن والصناعات ، فلا شك أنه يخفى منها أوفر الرخ وأكثره ، وعلى انب كلاً من أولئك المزارعين في روديسيا العارفين بشتى هذه المهن والصناعات يجتنب أيضاً أوفر الرخ وأكثره . لكنه ربح غير مادي ، بل هو

كسب روحى أو نفسانى أكثر من أى شىء آخر ؛ ذلك لأن المزارع يجد فى تنوع المهام واختلاف نوع العمل ، البهجة التى يجدها رجل الحضر فى اتصاله بمتعدد المحافل واتماع به . أن فى تنقله كل ليلة بين شتى المجالس متعة له وعناء .

ويوم المزارع الرودينى النازح يبدأ بظهور خيوط الفجر فى الأفق الشرقى . وهو الصباح يحمل إلى غرف البيت المختلفة من نوافذها شذى الغابة المحيطة ، ودخان نار المطبخ الملحق بالبيت من الناحية الخلفية ، وهو فى بدء دواره . وهنا يدخل صبي المطبخ يحمل شاي الصباح - الذى لا غنى للأورنى عنه حتى فى غير بلاده - . ثم إن يراه المزارع حتى يكشف عنه غطاءه الشبكي ليثرب السائل الساحن ، ويقفر من فراشه إلى حيث مرواه القصير وقميصه (الكك) فيرتديهما . وهما يكور ضوء النهار قد بدأ يسطع منثراً فى الودى كله ، فيدق العصى ناقوسه الذى لا يعدو حد محراث بال يدق عليه بقطعة من الحديد صدى . والحد ملق إلى حائط فى الشرفة (التي اندام الخلفية . وليس الصوت الداوى الراعد الذى يصدر من هذا الناقوس البدائى إلا نداء لعمال الوطينيين الذين يشتغلون فى المزرعة . يسمعون ناطمين - من أنفسهم - صفوفاً تقف منتبهة فى انتظار تعليمات اليوم . ولكن ليس الصف لوماً على كل المشتغلين فى المزرعة . فأولئك الذين يفتشون على الماشية ، وأولئك الذين لهم أعمال معروفة دائمة ، والحوذية والمفلة . لا داعى لأن يصطفوا مع المصنفين . ورسولهم يذهبوا مباشرة إلى أعمالهم . أما المزارع الذى ينتظر مقدم « السيد » ، فهى تشبه له تشبه بحارة السفن التجارية . وفى أثناء الأمر يقف الرئيس لوطييار فى مرة متعاقبة ، يبقى تستمرها تقاليد الرئاسة . ولا يعارض فيها أجراً العالمى بالمسبحة الآخرين . وقد حشرت حلقهما صفوف العمال فى أسطى أردية الخبيصة . أو فى حلايب قصيرة . إذا رأيتهم - ستمت شبكات مما يضطر بها السمك . أو فى أردية لا تريد على جوال تقبى فيه عدة ثوب لدرائين والرأس ، وفتح من أسفل . .

ثم يحضر « السيد » ويوجه الرئيسين لوطنيين ، وهذان بدورهم يومه من المصنف

المزارع الطبيب

وفى بعض الأحيان يتضح من « تابور » الصباح أن أحد العمال مريض . وتحدث تجرير أنه مريض ، وهما يكون على أحد الرئيسين أن يبحث عنه ويأتى به ليحضر أمام الطبيب . ويخرج « السيد » ، فيحضر العمال ورؤسائهم مراعاً إلى أعمالهم المختلفة ومهامهم الممتدة . ويغيب الرئيس المكلف باحصاء الغائب المريض ، ثم يعود به ملفوفاً فى ملاءة قدره . حيث يطره على الأرض أمام « السيد » أو الطبيب على حد سواء ، فينظر المريض إليه هزلاً ميثوفاً ، فاقد الرجاء والأمل .

وبدا المزارع باستجوابه بلفته الوطنية على النحو الآتي :

المزارع — حسنًا يا صاح ! ماذا أصابك ؟

المريض — إني مريض جداً يا سيدي .

المزارع — آه ... فهمت ، ولكن أين تشكو ؟ الرأس . أم الصدر ، أم الظهر ؟

المريض — (عند ما يسمع لفظة الصدر) نعم يا سيدي .

فيكون على الطبيب أن يقوم بالفحص ثم وصف الدواء .

ولكنه في بادئ الأمر يفشل وتشكل الأمور عليه . ولو أن كثرة التجربة والمزاولة تكون قد علمته كثيراً . بحيث يستطيع — بعد عدة دقائق — أن يكون فكرة عامة عن نوع المرض . وفي الأغلب الأعم أن سواد المرضى لا تكون إصابتهم إلا بالمalaria نظراً لانتشار البعوض في تلك الأقاليم ؛ ومن ثم يمرع المزارع المستطب إلى بيته ، باحثاً عن زجاجة (الكينين) ، ثم يعود بها حيث يعطى منها جزءاً للمريض مع الارشادات اللازمة . كأن يقول له : « دعي أن تأخذ حبتين من (الموديه) — اسم الكينين باللغة الوطنية — الآن » .

وقليل من الوطنيين يعرفون كيف يتناولون الأدوية على الوجه الصحيح ، وخاصة البرشم . فالكثير من المرضى يحبون كونه الماء الحار يكون حاراً جداً ، فيضع فيه حبتين من الدواء . ثم يعطى خمسة خمس (برشامات) من الكينين بجرشها جرشاً ، ويقول في نفسه المستصغفة إلى الرئيس الوطني : « دواء السيد هو دواء جيد » . فقطعه هو شديد على الذوق » .

وبعد مكث هناك عشرين عاماً طبيياً متعوشاً . أعان أهل الوطنيين الذين يشتغلون في الزراعة . أو يعيشون في شرى المأودة . أو من حيثون إلى في معسكرات الصيد وحياهم . . . كنت طبيياً متعوشاً أعان كل مرض أو حادث يمكن أن يصاب به الرجل لأفريقي ؛ وفي بعض الأحيان كنت أول مهتم في سأم وملل . وفي بعض الأحيان كنت أجد فيها لذة ومتعة وفرصة لخدمتها الإنسانية في طائفة من أبنائها . ويحصرني الآن عديد من النماذج التي كنت صادفها — كطبيب — في هذه الصحاري الخضراء ، أكتفى منها بذكر الثلاثة الآتية :

حالت إلى في عيادتي بمرور ذات مرة امرأة من إحدى القرى القسائنة إلى حوارى . ومعها غلام يشارفه العاشرة سنًا ... ويحي ! أهل أعطيتها جزءاً من دواء الرجل الأبيض نسبه لابنها الأسود ؟ وقدمت إلى هذا الطفل ، وقد دفعته إلى الأمام . ثم كشفت لي عن دراعه المتقيح كله . وحيث وقف الغلام تساقطت قطرات صفراء بكثرة من دراعه على الأرض التي ألهبها حرارة الشمس ؛ فلم يسعى بأذى ذي بدء — وقد أحزنتني حال الغلام — إلا أن أسأله لماذا تركته حتى ساء هكذا . ثم فكرت في أن تعرضه على ؟ وماذا . بب له هذا الجرح

المتقيح ؟ فأجابني بما يستفاد منه : أنه في ليلة من ليالي الأسبوع الماضي إزاني من فرانشه إلى حيث كانت النيران وسط الكوخ للتدفئة. فقلت لها حاتقاً : ولماذا لم تأتي إلى منذ حدوثها ؟ وما كان أشد دهشتي عند ما سمعتها تقول لي في مزيج من صراحة وضرعة : لنا دويتنا الخاصة وعلامتنا نستخدمها أولاً ، فإذا فشلت قدمنا إلى السيد الطبيب الطيب القلب ، ووفق طلبهم الخاص وعلاجهم فإنها لم تفعل لفلامها أكثر من أن تضع كمية من الأوحال على دراعه في مكان الحرح المتقيح. وهذا ما كنت ألاحظه دائماً ، فانهم ينتظرون على المريض حتى اللحظة الأخيرة ، ثم يجيئون في طلب المساعدة والاشاذة وعلى الرغم من تأكدتي أنني أصرف الدواء مجاناً مع كافة الارشادات والتعليمات اللازمة لأهل القرى المجاورة . سواء أ كانوا ممن يشتفون غزراً أم ممن لا تربطى بهم صلة العمل ، وفي إهمالهم الشائن هذا ما يجعل العلاج أصعب حمير مرة مما إذا كانوا جاءوا إلى مباشرة بعد الإصابة ، كما أن الدواء يكلفني كثيراً . نظراً لأنه يكون متعدداً بالبداهة .

وهكذا كانوا يجيئون إلى ، فأفعل من أحلهم ما أستطيع . ووأبذل كل ما هو في مقدري . وأصرح فيهم عابساً أن يكرروا الحضور في صباح اليوم التالي . وهكذا حتى يتم لهم الشفاء . ومثلاً آخر : هو أن رجلاً جاء إلى من قرية واحدة من الجور . بأحدهم جرح حديث بجانب رأسه ، وقد ربطه بخرقه من قماش وطني (هاردي) ربطاً سادحاً ، ولكنه سمع على كل حال : أما الآخر ففني يده جرح من قدر مكسورة . جاء إلى معاً في وقت واحد . فوقف في حيرة ، نرى من أعوده أولاً : المنطق يحتم على البدء بذي الشج في رأسه . ولكن نظام (العيادات) يقتضي أن يكون ترتيب الكشف بالتسلسل . إلا من يطلب مقابلة خاصة مستعجلة . والآخر قد فعل هذا ، ولم يفعله المصاب الواقع في الخطر . ولكن في النهاية عملت أنا أوحى إلى المنطق . فصمدت لدى الشج جرحه وأصرفت . ثم عرج إلى حريح يده . فاد بالجرح - على خلاف ما يبدو - ضحل غير عميق ، وسألته عن سبب الإصابة . فبعد كثير من الأعياء فهمت أنه كسر - عن غير قصد - قدر ماء كبير في قبيلة مما أهاج صاحبه . ثم حمل صاحبنا يعتذر ويخرج من جيبه ما قيمته (شلناً) من العملة لوطيه . وقدمه إلى صاحب القدر على سبيل التعويض ، فرفض الأول وطلب (شلناً) آخر فوق الأول ، فأبدي صاحب عجره . فاعتناظ صاحب القدر وضربه في ظاهر كفه بقطعة منها حادة . فأصيب بهذا الجرح الواسع على ضحله . والذي لم يعتده الوطنيون من قبل ، فأسرع إلى يطلب البرء والشفاء . وهكذا ناع الرجل دراعه بشلن . وهكذا المال هو المعبود الأوجد حتى بين الرنوج . ومثلاً آخر : ذلك أن رجلاً جاء إلى وضرسه يؤلمه ويريد أن يحلعه . ولكنه جاء إلى بعد أن سرق إحدى (الزراديات) الخاصة بالدراجات . وأعطاهما لأحد مواطنيه على أن يشده بها ضرسه فتخرجه . وحاول المواطن ذلك ولكنه لم يفلح ، وأصبحت اللثة بتقيح أنى على أثره إلى مسرعاً . لأن مرض الأسنان عند الوطنيين نادر الحدوث ، والتقيح لم يعرفوه في اللثة . فما كيف يلعب المزارع الوديدي دوره كصياد وشرطي وبناء ومهندس وحداد ، فذلك ما سنحدثك عنه في العدد القادم .

حول مقال الدكتور طه حسين

عنه حافظ وشوقي

بقلم الاستاذ محمد خورشيد
أستاذ الأدب العربي

لقيت الآن من يدى هلال ديسمبر بعدما قرأت فيه مقال الدكتور طه حسين عن الشاعرين كبيرين حافظ وشوقي ، ذلك المقال الذى رأيت فيه من الاضطراب الأدبى ما حدا بى إلى كتابة هذه المقالة خدمة للأدب والحقيقة .

قبل كل شيء لا بد لى من القول بأن الكتابة عن شوقي وحافظ معاً ، ليست من الانصاف . ومع ذلك رشح فى شيء ، لأنهما يتباينان جداً من حيث متانه اللغة ، والمبقرية ، والإنتاج . ونشأ . ولا أنكر أن فى وسع المؤرخ الأدبى المقارنة بين هذين الشاعرين ، ولكنه ينتهى من مقارنته دون توفية الموضوع حقاً ، لأن المقارنة شيء ، ودراسة الشاعر والبحث العلمى عنه شيء آخر .

يعترف الدكتور طه حسين فى مقاله بأنه كان يؤثر حافظاً على شوقي عندما كانا يرفلان بنوب الحياة . ويريد - وهو يعنى مقاله - أن ينسى إثارة حافظاً بالمودة والحب الخالص ، ثم يعترف بأن مؤرخ الآداب بسوع خاص يصعب عليه جداً التحرد من عواطفه ، وشهواته ، وميوله . وهو لى فى الأدب ، والهن ، ويقول : « واعلم بعد ذلك شئى إنما ذكرت عواطفى التى كانت تفسى عى حافظ بالحب ، والمودة ، وتصرفنى عن شوقي بعض الشيء لتتم أنت ما قد عجزت عنه أنا من الانصاف ، ولتحجوا أنت ما قد أتورط فيه أنا من الغلو والاغراق » .

فى هذه العبارات اعتراف صريح باملاء عاطفته عليه مقاله فى حافظ وشوقي ، وهل من ممكن أن يتحررد الانسان من ميوله وعواطفه ويكتبها ما بين طرفة عين والتفاتتها ؟ كان يجب على الدكتور احترام أن يستبدل الفعلين المضارعين بعد حرق التقليل فى جملته الأخيرة « من ماضيين ليؤكد لنا عجزه عن الانصاف وتورطه فى الغلو والاغراق » .

وما حيرنى فى مقال الدكتور قوله « تجديد شوقي يستحيل شيئاً فشيئاً إلى تقليد ، حتى إن كانت أعوامه الأخيرة كانت قصائده كلها تقليداً ظاهراً لتقديماء من الشعراء ، لا يستتر فيه ولا يختلط . يفتنى القصيدة ، فلا تحتاج إلى تمب أو مشقة ، لتجد القصيدة القديمة التى يحكيها . سم هذا معارضة ، ومحاكاة أو تقليداً ، فذلك عندى سواء ، لأنه ينتهى إلى شيعة

واحدة وهى أن الشاعر ، قد رجع إلى القدماء يلتهم عندهم مثله الأعلى «
تلك لعمري كانت لا يقرها المنطق ؛ وهل للكاتب الأديب أن يدل على مفكر بكرمه
أن شوق بنى مجده وارتقى إلى سماء العبقرية والخيود في غير أعوامه الأخيرة بعد عودته من
المنفى في أسبانيا ؟ ومن من القدماء ياترى قلده شوق في نظم الأغاني الخالدة التي كان لها
الفضل الأكبر في تهذيب أذواق الناطقين بالصاد في القرن العشرين ؟ ومن ذا الذي يقول . إن
روايات شوق التمثيلية الثمان التي لم يسبقه إلى مثلها شاعر عربي آخر ، والتي نظمها بعد
عودته من الأندلس . هي تقليد ظاهر للقدماء ؟ .

أما قول حضرة الدكتور : إن كل قصائده في أعوامه الأخيرة تقليد ظاهر للقدماء فهو
حري أن ينسب إلى مؤلفي الأفاضل والخرافات ، لا إلى مؤرخي الأدب العربي . لأن كلمة
« كل » دقيقة الاستعمال جداً في التاريخ وقصائدها في كتب المؤرخين المدققين ، ولا نرى
الدكتور طه حسين يجهل هذه الحقيقة البسيطة ، وهو الذي كان أستاذاً للتاريخ القديم في
الجامعة المصرية قبل أن يصبح أستاذاً للأدب العربي فيها .

ألف شوق بعد عودته من منفاه . أى في مدة إثني عشر عاماً ونيف خمسة عشر مؤلفاً ،
أربعة أخماسها مؤلفات شعرية (١) كما روى أمين سره السيد أحمد عبد الوهاب ؛ فهل لحضرة
الدكتور أن يدلنا على الكتاب الذي قلده به شوق القدماء ؟ اللهم إلا كتابه أسواق الذهب
الذي قلده به القدماء في سجعهم ، وبذم من حيث سهولة اللغة ، وسمو الفكر والخيال فبخذا
لو أتبع الدكتور طه حسين المجدد طرق المجددين في الأدب ، ودعم كل حقيقة ذكرها بي
يؤيدها من البراهين ، والحجج الدامغة لأن المجددين لا يليق بهم إرسال الكلام
على عوامه .

ثم نرى الدكتور طه حسين ينفي في مقاله على شوق عدم مقارنته خصومه ، وعدم
تهوضه لمخاصمة ناقد من نقاده ، وأنا أرى في سكوت شوق عن مناوئيه ، وإهماله أمرهم

(١) مؤلفاته المطبوعة : هي الشوقيات : جزءان ، وروايات مصرع كليوباترا ، ومجنون
ليلي ، وقيصر ، وعلى بك الكبير ، وعذرة . وكلها شعرية . ورواية : أميرة الأندلس النثرية ،
وكتاب أسواق الذهب النثرى . أما مؤلفاته التي سيباشر طبعها فهي كتاب عظمة الاسلام
(نثر) ، والشوقيات الجزء الثالث والجزء الرابع ، وروايتا : السيدة هدى ، والبخيلة ، وكشكول
جامع لقصائد لم تنشر ؛ وقصائد سهلة للأطفال ، والأغاني الخ ، وربما استوعب الكشكول
وحده ثلاثة مجلدات .

تجمع وسلة نارد على هؤلاء. لأن شوقي إذا انحدر من عليائه إلى مستوى خصومه ، وقارعههم مقارعه الند للند ، ينبه من شأنهم ، الأمر الذي كانوا يرجونه من وراء تلك المناوأة ؛ وهم لم يتعرف إليهم الناس إلا عند ما بدأوا التعرض لشوقي وهاجوه من كل جانب مسرفين في النقد والندم ؛ ورغم سكوت شوقي ، نبه ذكره ، وطن شوقي فوق عرش إمارته السامى الذى لم يكن ، ولم يزعزع ، وها هو ذا شاعرنا النابه ، قد قضى فتهاقت الأدباء على رثائه والإشادة بذكره وفصائله لأن الشعراء النابغين تبدأ حياتهم يوم يتغمدهم الله برحمته ، وكما مرت الشهور والأعوام على وفاتهم ارتفع قدرهم ، وظهرت للباحثين المنصفين نواح جديدة من عبقريتهم وسوغهم ، ولمضرب لك مثلاً : المقتنى الذى لم يسلم من خصوم ألداء حياً وميتاً ، ولم يعترف له بالامتيار على من سبقه . وعاصره من الشعراء إلا بعد إذ قضى معاصروه ومنافسوه ، ووكّل امر الكتاببة عنه إلى أناس يعنى عليهم عقلهم لا عاطفتهم ، أناس يكتبون للتاريخ لا للترلف بى زيد وعمرى ، إكتساباً لرضى . أو توصلاً إلى مقم . وربما نال شوقي فى حياته إعجاباً ، لم يله سواه من شعراء الضاد الذين سبقوه ، وسرى الأبيات الحكمية التى يتداولها الناس لأن من نظم شوقي يضطرد ازدياد عددها باضطراد البحث فى شعره ، والأعوام المقبلة كفيلة بتحقيق ذلك ، وأطن حضرة الدكتور الأديب يقرئنى على هذا الرأى .

ونختم الدكتور طه حسين مقاله عن حافظ وشوقي بقوله : «ها أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنسى . وأبو العلاء من غير شك » ، فهذه الجملة أملاها حضرة الأديب دون تحفظ ، إذ هى لصلة والظروف التى تجمع شاعرى القرن العشرين بالمتنسى وأبى العلاء ؟ وما هو المقاس الأدبى الدقيق الذى نستطيع أن نقيس به شاعرية شاعر بآخر دون أن نضل سبيل المد ولا أنصاف ؟ فالظروف التى عاش فيها شاعرنا غير الظروف التى عاش فيها المتنسى وأبو العلاء . وعصر الآخرين غير عصر الأولين ، وهم يختلفون جداً من حيث الانتاج الأدبى فتراً وبوعاً . هذا فضلاً عن أن كلا من هؤلاء الشعراء الأربعة ، لا يمكن أن يقارن بالآخر لكثرة التباين بينهم ، وربما نغبط بعض الشعراء الذين جاءوا بعد أبى العلاء حقهم إذا فضلنا عليهم «حافظ إبراهيم» ، وربما نغبط شوقي قدرأ إذا فضلنا عليه شاعر عربى آخر ، ولو اتسع لنا المجال فى هذه المجالة لكنا أبدينا رأينا الصريح فى هذين الشاعرين مؤيداً بالبراهين والأدلة ، ولكننا ترك البحث عن حافظ إلى الأعداد القادمة من مجلة المعرفة الغراء ، وترك شوقي إلى المقال المفصل الذى سنكتبه عنه فى الكتاب الذى سيجتمع فيه معظم ما قيل فى مير الشعراء فى جميع الأقطار العربية ، والذى سنباشر طبعه قريباً .

ولا بد لى قبل اختتام المقال من إبداء رأى أظننى مصيباً فيه ، وهو : أن يترك إخواننا

المصريون الآن البحث في شعر شوقي ، والكتابة عنه إلى قطاب الأدب العربي في الإفطار العربية الأخرى ؛ لأن العاطفة تملأ على أنصاره وحصومه من المصريين ، بحيث يساء إلى تاريخ الأدب العربي الذي يجب أن يكون مزجاً عن إعجاب والانتقام . وأعترف أنني أسأت بقول هذا إلى عدد من الأدباء المصريين المنصفين الكرام ، ولكنهم في نظري أقلية ، والقييد لا يقام عليه ، والأدباء غير المصريين ، الذين تربطهم والفقيد أو أصر الصداقة ، ولم يتأكل الحسد أفئدتهم ؛ في اعتقادي - أنزه في إصدار أحكامهم على شوقي من سواه ، وما هو ذا الدكتور طه حسين الذي يعتبر زعيماً من رعماء الأدب يعترف بأن العاطفة أملت عليه ما كتب ، أما الفئة التي أتوسم فيها إنصاف الشاعر الراحل من كل تواحى ذبه ، فهي فئة للأدباء الذين ضربوا بسهم وافر في الشعر والنثر معاً . لأن الشاعر أدرى بفن القريض : حسنه . وسيئاته من النثر .

هذا ما عن لي كتابته من الملاحظات البريئة على مقال حضرة الدكتور طه حسين وجل من لا يخطئ .

محمد خورشيد

استدراك

سيدى الأستاذ المفضل

أشكركم على ما تقومون للعلم والأدب والثقافة الإسلامية والصحافة المصرية من خدمات جليلة . وبعد فاني ألفت نظر حضرتكم إلى ما وقع في كلمتنا التي تفصلتم بنشرها في عدد ديسمبر من « المعرفة » من الاختلاط بين آيتين من القرآن الكريم ، ويدفعنا ويدفعكم الحرص على كتاب الله تعالى إلى وجوب تصحيحها . فقد جاءت الآيتان بالصحيفة رقم ١٠٠٧ على هذه الصورة : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون » . والصواب ما يلي :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون » وإن منهم لفرقاً يلوون أسنتهم بالكتاب لتدبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

فترجو من حضرتكم أن تذكروا باستدراك هذا الخطأ ، الذي نعتذر عن حصوله بأننا كنا نكتبه على عجل .

سيد أحمد فهمي

الثقافة بين الشرق والغرب

للأستاذ أمين فهمي أحمد

ألقى حنا (سير) دينسون روس «الثقافة بين الشرق والغرب» بالجامعة الأمريكية في القاهرة (يورت) تذكارية الجامعة الأمريكية مساء يوم الأربعاء ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٢. وألقى محاضرة الأستاذ الدكتور منصور فهمي «استاد الفلسفة بالجامعة المصرية في نفس القاعة عند الساعة السادسة من مساء الثلاثاء ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٢ محاضرة في «البراهن الفكرية للثقافة الشرقية» باللغة العربية. وقد رأيت أن الخصة، تلخيصاً شعرياً موجزاً في الآيات التالية.

بين أهل العلم خلف وقاش ونض — ال
في ثقافات نراها، هل هي السحر الحلال؟
قد مرى للشرق قدما أم إلى الشرق المآل
والهدى في الغرب أصل لابتكار ما يزال
كل يوم في صعود بعده ليس محال
أن نرى الغيب شهوداً أم على الرأي الضلال؟

«دينسون» قام وجلى رأيه، ما حل حلا !!
قال يا حيرة نفسي أي هذين المثل؟
حينما يبدأ شرق ذلك الغرب تدلى
حينما يبدأ غرب ذلك الشرق تجلى
ليس بين العلم شرق ولا غرب قوى
إنما هم قسموه، قصة التاريخ أصلا

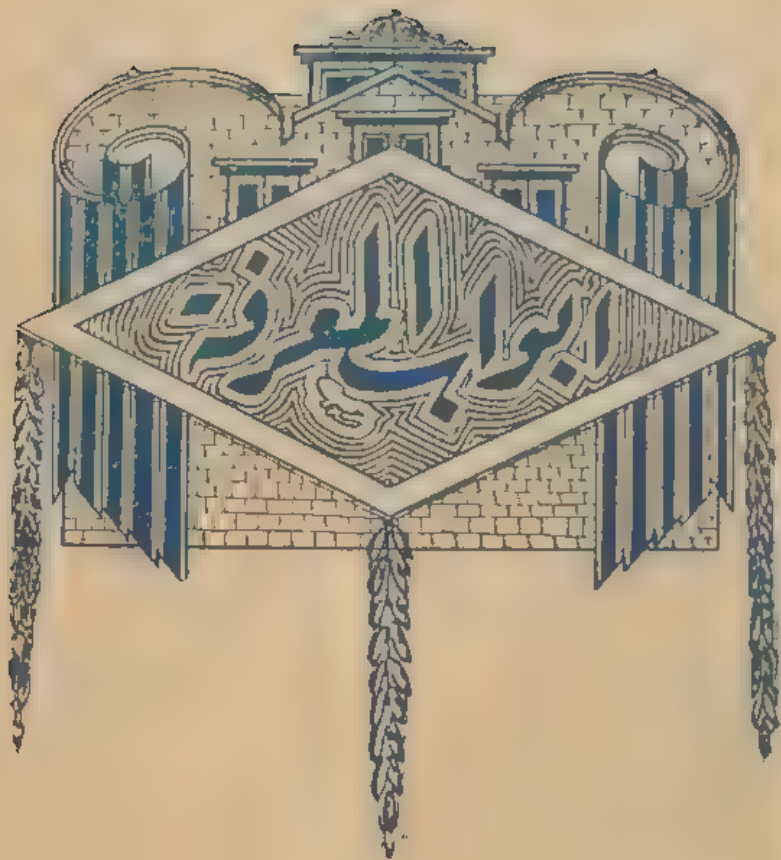
قال «منصور» تعالوا نبحث الرأي المبينا
فليقولوا الشرق مصر أو يقولوا الصين جينا
أو يقولوا الهند شرق ليس هذا ما عني

حسبكم حجرة « رس » حين أبدى ماروينا
إنما الشرق قديماً كان مهداً ومعيناً
للدyanat جميعاً ————— وأهدى منه يقيناً

وانظروا الآن « لغاندى » فى محجات بيانه
قبلاً الحرب وبعد ال حرب فى فيض جنانه
قال : إن الغرب مهما نصره ، فى هوانه !!
ضل بالشيطان لــــــــــــــــــــا قد نسى روح أمانه
ثم من « تاغور » قول مثله فى ترجمــــــــــــــــــــه
قال « جبران خليل » عزفنا غير (بيانه)

هكذا « منصور » أدلى ببيان قد سمعــــــــــــــــــــا
قال : للشرق نقد فيه للأديان معنى
وهو كالروح لغرب لا يلقاهــــــــــــــــــــا المعنى
ذلك القسم جلياً كان فى الناس وكنا
فرقة الألهام قوت فى مجالها ، وجلنا
فرقة أخرى تبدت فى كفاح لم يصنا

قسموها زعةــــــــــــــــــــين واهتدوا للفرقين
زعة الباطن تغنى عن دناءم دون مين
زعة الأسباب تفرى بافتان الأسفرين
بالمباني والمــــــــــــــــــــانى فى حدود المقتنين
بينما الباطن يوحى دون تحديد وآين
من فيوض وتجل مابه قره عين



العلوم والفنون



قارب بخاري

على الرغم من تلك المساحات الواسعة من الأرض لم يعرفه الانسان بعد ، ذلك نظراً لأنه محوط بمياه ضحلة ، يمتد على القوارب البخارية العادية المارور بها ، وهذا ما حدا ببعض المهندسين إلى اختراع القارب البخاري الذي ترى صورته فوق هذا الكلام ، وهو يسير بمحرك طائرة وبنا كينة قوة ٧ أحفنة ، وميزته أنه يستطيع أن يسير في الماء الضحل بسرعة هائلة ، ولو كان عمق تيار الماء ثلاث بوصات فقط !!

البحر

فلاح للسباحة

تمثل هذه الصورة فلماً حديثاً بثبته راقب السباحة إلى وسطه ثم يسمح ما شاء على شرط وجود الهواء .



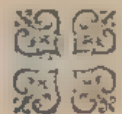


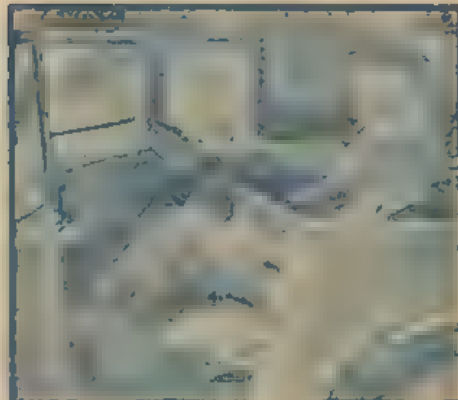
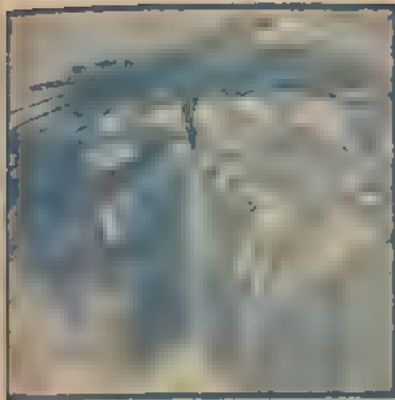
هذا فرحة حد المصورين بهذه الصورة التي لا يستبعد العمد حقيقها . وهي تمثل جهازاً
للبو صاغية على المواضع فيبرها . مدهماً على ما يكون اشتورها ، من صاب



مكنة متفئة في المستشفيات

بكر للرضى في مستشفى جامعة (جورج
ميجنون) في مدينة واشنطن ، أن
أقواما يريدون من الكتب من مثل هذه
التي منقولة التي تراها في هذه الصورة ...
ومن شأن في أن الكتب حبر حليس
المن . كما فوا قدماً .





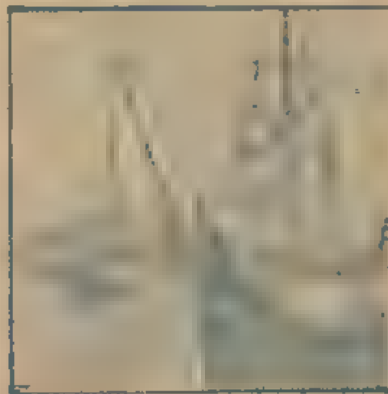
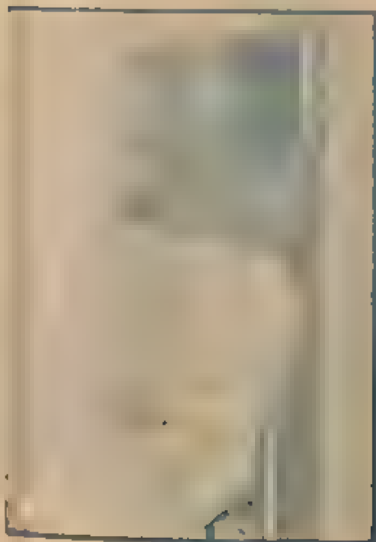
تمثل الصورة بوعاً طريف من إعلان
ممنوع من بعض أوراق امتحان في نسوي
أحد الأدلة لاستمواته - وقد ظهر الأسون
السكوبية لمساحته ورحص ثمة .

أُسْهَ اكس

جهاز جديد للتداوى

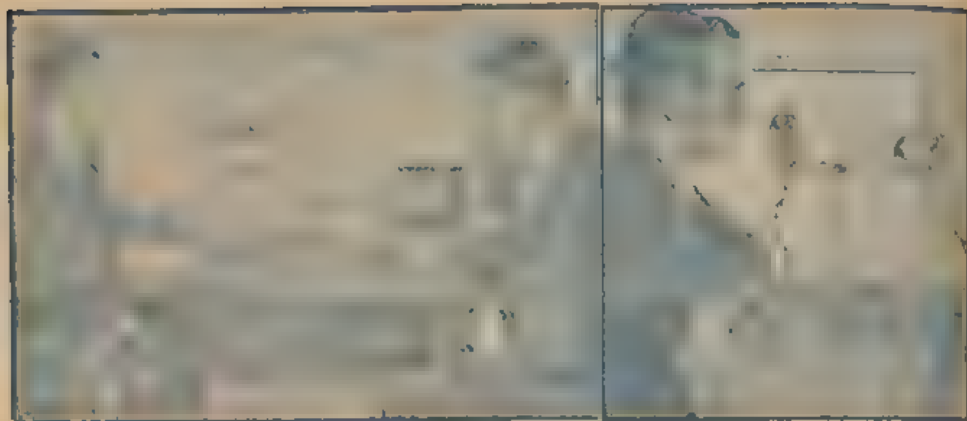
السيارة التي ترى صورتها في على الصفحة .
تمشي لغير (تروس نعليق) . والسرعة تطفه فقط
(بفرملة) . رجل ، وصفاً فان قيادة هذه السيارة
تكون من من قيادة ذات تروس . نظراً لأن ابدين
تخصصان فقط لادارة (الديركسيون) .

أكبر غراصة أمريكية



هذه صورة (الدقيق) أكبر غواصة في
الولايات المتحدة وهي مجهزة « بقارب سيارة »
له إخراج خاص يرفع فيه عن التربة في حالة
عدم استعماله . وفي حالة الغطس . فان المياه
لا تضره . نظراً لأنه ذو مناعة ضد الماء .

تمثل الصورة جهازاً حديداً ينسج بالزمن . ثم
تسلط عليه شمع إكس فيس للتداوى بها



اشترى في نفس في أيام الأحمرة من دائرة البحوث العلمية المصرية إلى دائرة التجارب
مصرية في ستده لآخرتها في الأحمرة والأدوات الحديثة وريث الصورة
جهازاً جديداً لقياس الذكاء وتفاوت درجات التفكير .

كاميرا تحت الماء !!

لغاطة المصومي !!



يرى لقارئ في هذه الصورة جهازاً جديداً
يقبض لصوص النوك كثيراً !! ذلك لأن ضربات
اليد الانسانية وهي مما د بات قلب اللص
تجس جرساً في هذا الجهاز يدق . وذلك عند
ما يقترب اللص من قفص السمك !!

تودع مكبر من نوع من الكاميرات اسبج بوجرافيه
عربه والكامير موضوعه داخل حزانة من المعدن
ثقب وتعمل مباشرة "ن يوض تحتها الحامدو
ثلاث قوائم على قاع المحيط .

مملكة المرأة والبيت

الزواج السعيد

حدث قراء « المعرفة » هذا الشهر عن الزواج وكيف يمكن أن يؤدي بالزوجين إلى السعادة ، التي هي إربة الجفنين من هذه الحياة الدنيا .

والمرأة إذا تحدثت عن الزواج ، كان معنى ذلك أنها تتحدث حديثاً صادف . لا نغفوره اريب ، ولا تحمره اشكوك . ذلك لأن البيت وتكوينه هو مهمتها الأولى والأخيرة من الحياة . وكادبة دعيه حائلة تبت التي تقول : إن المرأة حلق لمير المرأة وحيدة لمير . والقدرى إذا سمع معنى بأن الصيغة بقانونها الاجتماعي الذي قصص بالزواج . كان لا بد منه يصح أن يسلم معنى بأن في الزواج معنى انقسم . . . وليس انقسم إلا تقسيم . جهود التي تدور في سين تكوير البيت ولأمره . أو نظام الزواج . سمع كما نشاء . ولدت الحمية واقعية التي حص بها الرجل دور المرأة . فقد أرادت الصيغة له أن يقوم بالحجز الذي والالتعب من خصائص هذه الشركة . وركب لمرأة مهمة أخرى من هذه الخصائص . هي مهمة إدارة مركز هذه الشركة . هكذا أرادت الصيغة في نظام الزواج . وعلى هذا الأساس يجب أن يسير الزوجان . لكي يعيشا سعيدين . ونسعى آخر لكي يستمتع دكي ما في الزواج من متعة مشروعة .

وطبعاً فليس في من حازه لأن أذكر لقدرتاني وقرائي الكرام . أن نظام متكافؤ الاجتماعي « يجب أن يعنى في مسألة الزواج ، معنى أساس مراعاته . أو عديمها . بوجد سعاده المتزلية ، أو تنعدم .

ومن مقتضيات ، قانون التكافؤ الاجتماعي « في الزواج . ألا يقتصر المعنى إلا بقتاة . والرجل إلا بامرأة . والأرمل إلا بأرملة . والمعنى إلا بغيره . والمفقر إلا بفقيرة . ذلك لأن كلا من الحالات السابقة تستمر لصاحبها درجة خاصة من « المستوى الاجتماعي » . يصيقه كثيراً أن يتحول عنها إلى أقل منها . وهو إذا ارتفع إلى مستوى أعلى غير عارف بتقليده وأوضاعه . فأما يسير فيه نسمى فاقدر الادراك ، ومتى اجتمع المعنى وفقدان الادراك . فعلى السعادة السلام .

والآن عندما شاب وشابة . عندهما تكافؤ اجتماعي . ويربط بينهما رابط الحب . أو رابط الخطوبة الودية . . . وكل منهما ينتظر أن تؤاتيه سعادة الدنيا كلها عند ما يكون مع الآخر حباً إلى حب . وقد يكون أحدهما تعرف إلى الآخر قصاً وحلقاً . وقد لا يكون هذا . ذلك ما لا يهم الآن . . . وماهى إلا أيام حتى يكون الرافق . وتبدأ الشركة بدأها العملى .

على التدرج تراح أستاذ التحفظ ، وبكشف كل من الطرفين للآخر ، بما فيه من محامد ومبررات ، لا تمتد على توالي الأيام ، حتى تفلط وترداد . وهنا يدحس كل من الطرفين « رنوش » على الصورة التي كان رسمها في مخيلته عن الطرف الآخر . وهذا أيضاً يكون من واجب كل من الطرفين أن يأخذ بما في الآخر من محسن . ويحاول أن يسدل ستراً كثيراً على ما فيه من نقائص ... ويبدأ بوضع نظره يسير عليه في حياته مع الطرف الآخر ، على مقتضاه . يمكن أن توحد السمادة ، حتى مع دمامه الخلقية . أو حده لضعف ، أو ضعف انكسب ، أو القوة الجماعية ، أو العقلية .

وإن كن من الخسرين ، فها واحد انسان يتفقد في محاسنها ، أو في عيوبها . ومن هنا يكون من المستحيل وضع نصائح محددة

لأنه لو حصل أن الروح تحب من روحه في المرات

١ - أن تحبها - ولو احتراماً صاهر ، فقد - حصة ثمة الناس .

٢ - أن تخلص له العاطفة من كل قلبها .

٣ - أن تظهر له اهتمامها به عن أي إنسان غيره من الرجال . حتى حوتها .

٤ - أن تعمل ، وتقدم له كل ما تثبت التجربة ميله إليه .

٥ - ألا تنهر ثمة إلا بليفة جميلة على قدر الامكان .

٦ - ألا تستقبله إلا هاشة باشة ، مرحبة مؤهلة .

٧ - ألا تخصص يوم راحته لأسبوعية نفس ، أو عجن ، أو تنظيف المنزل .

٨ - أن تحفظ على مواعيد عمله وحروجه فتوقفه في الوقت المناسب وبالأمور المناسب .

٩ - أن تخصص نفسها لبيتها وولادها . ولا تخصص نفسها لزيارة حاراتها وصوتها .

كما لوحظ أن الزوجة تحب من زوجها :

١ - أن يظهر حبه لها في كل الفرص والمناسبات .

٢ - ألا يسيئها بكلمة واحدة أمام الضيوف .

٣ - أن يظهر اهتمامه بها عن أي مخلوقة عداها من النساء ، ولا ييسم لأخته .

٤ - أن يسرع باحصر كل ما قبله منه : من ملوسات ، وحى ، وربة .

٥ - ألا يقطب وجهه في حضرتها .

٦ - ألا يتأخر عن موعد غداؤه أو عشائه .

٧ - ألا يتأخر خارج البيت إلى ما بعد التاسعة .

٨ - ألا يقره دون مصاحبته إياه .

٩ - أن يلازمها داخل لدر وخارجها ، كما تلامه عصاته .

١٠ - أن يكون قبي القلب ، ولو شاخت منه .

وأغلب طمنا أن زوجين يراعيان ما تقدم يمكن بسهولة أن يعيشا سعيدين . (س)

مكتبة المعرفة

نهج الانشاء

هذا ما الأستاذان الفاضلان : محمد عتي أبو شنت ناظر مدرسة المعلمين الاولى الاميرية في بنى سويف . ومصطفى محمد ابراهيم المدرس بالمدرسة المحمدية الابتدائية الاميرية بالقاهرة . الطبعة الثانية - المراجعة والمقابلة - من كتابهما « نهج الانشاء » . وقد قرأناه فوجدناه محاولة لا بأس بها . تساعد الطلبة كثيراً على تفهم مرائق الانشاء والكتابة . مما نشكر لأحد الأستاذين الفاضلين .

ولكن لنا بعض ملاحظات في تدريس الانشاء العربي بالمدارس . كما نود لو التفت إليهم المؤلفان ... إذا لوصل منهجها حد الكمال .

فحين نلاحظ - مثلاً - أن الأساتذة ما يزالون يحرون في تدريس الانشاء على طريقة التقديعة (غير المباشرة) (١) . وهي طريقة ثبت فسادها وعدم ملائمتها للطلبة في هذه الأيام . بخلاف الطريقة الحديثة المباشرة (٢) (٣) (٤) التي نصحبت بها كثيراً في الوصول بالطلبة إلى استنتاج كثير من المعلومات والحقائق . التي كان المعلم يجد صعوبات شديدة في تهيئتها لهم عن طريق الكتب ولأسفار العلماء العقيمة .

ونلاحظ أيضاً أن مدرّس الانشاء العربي حرواً على أن يصوغ في الامتحان كتابة في موضوعات تلبو عنها فهمهم ومداركهم . ولا تستيعب خيالاً . كأن يكتب بينهم كتابة عن حكمه من الحكمة أو مثل من الأمثال . وكتب من الشعر لريد أو عمرو من شعره . كما يكون مدعاة لاضطراب الخيال في نتائجه . فبشأ وهو لا يعرف كيف يعبر عن مدونات نفسه . وبشأ وهو لا يعرف كيف يكتب حديثاً ارتفعت حملتها ببعضها . وما هذا العرس كان تدريس الانشاء !

ونلاحظ أيضاً أنه حتى أولئك الذين يستعملون طريقة المباشرة - وهي أقبله صفة - يحدون في بعض الأحيان إلى تكليف الطلبة الكتابة في موضوعات لا يرتاحون فيها . ولا يجدونها في الأدب المختص عن وضعها أو الكلام عنها . كأن يطلبوا منهم وصف نخلة . ماذا يعرف الطالب الصغير في علم النبات أو في الخيال العالي حتى يستطيع أن يصور لنا النخلة تصويراً بلياً من يقرأه أو يطرب لسماعه ؟

وهناك ملاحظات أخرى قد نفرد لها مقالا خاصاً . كما نرجو لو أتاحت الفرصة للمؤلفين الفاضلين . ليخرجوا لنا نهجاً حديثاً على الطريقة المباشرة الحديثة

محاضرات محفل فرعون

نهدي إلينا محفل فرعون كتاباً بهذا العنوان ، يقع في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط .
ويتناول عن المختار من المحاضرات التي أُلقيت من كبار الأدباء بالدار الماسونية المصرية ، من
سبع المطبعة الأهلية بالاسكندرية ونعنه ٢٥ ملليماً .

والكتاب - على صفه - له قيمته ، فقد حوى كفة من رئيس المجمع فوج جودة ، يشرح
بها فكرة الماسونية : ثم محاضرة في المذاعة الاجتماعية للأستاذ محمود عوض البحر اوى منبه
أول عمل . ثم أخرى في الأخلاق لمرميل العاضل الأستاذ زكريا أحمد رشدي صاحب جريدة
«الرشديات» أعراه . تسلكه فيها صمم ما تكلمه عن وجود النفس وقواها المختلفة ، وتكلم أيضاً عن
حلاق سودة عتمارها المثل الأعلى في الأخلاق : ثم محاضرة عن واجب الأحرار في الشرق للأستاذ
بيكس فارس رئيس قسم الترجمة ببلدية اسكندرية ، وحتمها بشيء عن الماسونية في بلاد الغرب ،
وعن فكرة الخلد ، والمدنيات المقرصة : ثم محاضرة في عهد النفس للأستاذ محمد مطهر سعيد ،
من حيث تاريخه وتطوراته وأبعاده ، وعن الفلاسفة والحكماء طوي زمناً طويلاً يخطون بين
نطق والنفس والأخلاق . وكيف أن عهد النفس صار في عداد لعوبه التحريية . بعد أن كان
جزءاً من فلسفه : ثم محاضرة في عهد الاحتجاج لمصطفى فهمي ، بدأها بفكاهة لذيذة عن عم
الاجب ومحاولة معاه سبته بن فلاصور أو رسطو . وشقق على هذين الفيلسوفين أن
يصب إليهما كل ما هب ودب من العلوم .

وتؤيد هذه المعرفة ، فكرة طبع المحاضرات التي تدعى في مصر في اعمام العامة ، لتتمكن
رئيسه ١٧ من أن يساعدته سرورهم الخاصة على حضورها .

المناسبات ومكائد الرابطة

رسالتان خطيرتان من جاوة

طبعهما ونشرهما السيد حسن بن جديد الحبشي : لابوان حاجي

من ليبيا يريد انشر في الأخير كتم . بالعنوان المتقدم . يقع في ثمان عشرة صفحة من
حجم كبير . وهو مطبوع في مؤسسة الوحدة في حصر موت

يحتوي هذا الكتاب على مقدمة ورسالتين :

١ - مقدمة فقيها شرح لموقف حزب الارشاد ورجاله من السادة الباعولين . والبهمة
عربية في المهجر ، ومنها يهيم أن حزب الارشاد - الذي أعلن في رابعه الرسمي أنه لم ينشأ
لأغراض سياسية - قد لعب به رؤساؤه ، وداروا دفته إلى الأعمال السياسية ، التي تنحصر
لما كسة الهيئات الحاكمة ، ودوى المناصب الرفيعة من الباعولين ، مع أن للباعولين على

زعماء هذا الحزب حياً كثيراً : وتحوى المقدمة أيضاً صعباً في رميلتنا حريدة
« حضرموت » الثراء .

وأما الرسالتان : فأولهم رسالة من عيسى وسالم الحبشي إلى أحييم السيد حسن الحبشي ،
والأخرى رده على الأولى : وفيهما يحدد القارئ « كثيراً من الحقائق ، وصورة مصورة
لحياة في حضرموت . ومحرج الخلاف الواقع في حارة . وعنى من تلقى المسئولية » .

القصص

للفيلسوف الشاعر الألماني فردريخ شلر

تغريب الأستاذ عبده حسن الزيات

أهدي إليكم لأديب « عبده حسن الزيات » نسخة من روايته القصص . تأليف شاعر الألمان
وفيلسوف فردريخ شلر ، قام هو بتغريبها عن نسخة إنكليزية ، وكتب مقدمتها لأستاذ
لدكتور منصور فهمي — طُبعت في مطبعته ودعى لمولده وتفتح في نماذج ومائتين من صفحاته .
وقد ريت غلاقتها بصورة مؤلف . وبذلك الحكمة الخالدة التي قرط بها (توماس كارلين)
روايته القصص . « إن القصص مأساة ستمثل ضويلاً ولها فراء تدهشهم . بل تهزهم . رعب كل
ما يرد عليها من مأخذ » .

ولقصة تمثيلية رائعة . كتبها (شلر) وهو ما يزال صابغاً طبيباً ، وانتهى من كتابتها في
عام ١٧٨٠ م . وطُبعت للمرة الأولى . فكان لها في نفوس آلاف قرائها أثر بالغ ، شرب به
(دوق واتمبورج) مؤسس المدرسة الحربية بها ، فاستدعاه وطلب إليه أن يكف عن كتبه
مثل هذه لتقصير ، وأن يقتصر في كتاباته على البحوث العلمية ، إذا كان لابد له من
مزاولة الكتابة .

ولقد ترجمت هذه القصة الخالدة إلى سائر اللغات الحية . وحاء لأديب عبده حسن
الزيات فنقلها لنا إلى اللغة العربية عن طريق إحدى الطبعات باللغة الانجليزية ، والترجمة حرفية
خالية من كحل التواليف الخيالية .

أما من حيث فكرتها المسرحية . فقد مثلت في ألمانيا وفي إنجلترا ، أيضاً ، ولكن بعد
أن هُذبت وحذف منها الشيء الكثير ... ولعل التطويل هو المأخذ الوحيد على هذه لقصة
الرائعة ، التي تهاجت الرأي العام الألماني ردهاً من الزمان غير قصير ، والتي من أحلها
ومن أحل روايتين آخرين منحت فرنسا مؤلفها وسام الشرف .

وبعد ، فلعل من خير اللغة العربية أن ترجمت هذه القصة إليها ، ولعل من خير « عبده
الزيات » أن يكون نافلاً إلى العربية .

الطاغية أو الكونت فيسكو

دراما تاريخية في خمسة فصول

تأليف الشاعر الألماني العظيم فردريخ شلر ، وتعريب الاستاذ فائق رياض أهدي إلينا الأديب فائق رياض نسخة من رواية الطاغية تأليف (فردريخ شلر)، وتعريب الأديب المذكور تقع في ثمان وتسعين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، طبعت في مطبعة المجلة الجديدة . وهي دراما تاريخية في خمسة فصول لشلر ، وضعها بعد إذ صدرت قصته المسرحية الأولى «الصوص» . و (شلر) شاعر وفيلسوف يحب من صميمنا أن تقتشر بيننا كتاباته لأنها تدور في الأول والآخر حول الحرية ، وحرية الفكر خاصة ، ولا نها تنطبق على حياتنا في هذه الأيام انطباقاً كبيراً ، فقط : تستبدل بالاسماء الاقريقية والبلدان الاقريقية أسماء مصرية . والطاغية ثمانية القصص المسرحية التي تترجم للعربية من ثمار قريحة هذا الفحل الألماني العظيم .
لنأخذ لو أقبل عليها عشاق الادب والفن .

إيمان في أقسام القرآن

في ٦٦ صفحة من القطع المتوسط — تأليف « المعلم عبد الحميد القرامي » —
طبع عن دار المصنفين بمدينة أعظم كره (بالهند)

هذا الكتاب هو فريد في نوعه ، قيم في موضوعه ، إذ أنه تفرد للبحث في الشبهات التي أوردتها بعض الناس على أقسام القرآن ، وقد تصدى لذلك كثير من أئمة الاسلام ، أمثال : الفخر الرازي وابن القيم وغيرهم ، إلا أن هذا الكتاب هداه إلى فتح جديد في هذا الباب ، فقام بتأليف هذه الرسالة القيمة وحصرها في الرد على إزالة الظن الباطل الذي صار حججاً على فهم أقسام القرآن ، حتى يتبين أن أصل القسم ليس في شيء من التعاليم ، إنما هو يفهم من بعض أقسامه ، ثم بيان أقسام القرآن بالمخلفات ليست إلا آيات دالة ، ثم الفرق بين مواضع القسم الحمودة وغير الحمودة .

هذه هي أغراض الكتاب الأساسية ، فقد صدر بردي العلامتين : الفخر الرازي وابن القيم على النقط ، ثم ناقشا المؤلف مناقشة منطقية ، أظهرت ضعفها في كثير من المواطن ، ثم تولى الرد عليها في بيان قوى وحجج دامغة ، مما يوقننا على أن المؤلف كان على جانب عظيم من العلم ، ثم استتبع ذلك الكلام باثنين وعشرين بحثاً تتعلق بالموضوع ، كلها بحث ، وكلها علم وافر ، وبيان فياض ، ثم ترجمة حياة المؤلف وأعماله ومؤلفاته .

ومؤلف هذا الكتاب هو مؤلف لعدة كتب قيمة مثل : أساليب القرآن ، وأسباب النزول ، وتاريخ القرآن ، وأوصاف القرآن ، والتناسخ والنسخ ، ومفردات القرآن ، وأصول التأويل ، وغيرها مما يضرنا على أن المؤلف خير معلوم القرآن ، وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق ممتاز ، فنوجه إليه أنظار العلم .

بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَقَرَارِهَا

تناسخ الأرواح

(النجف الأشرف . العراق) عبد الطيف سعاد - ماهو رأيكم في تناسخ الأرواح؟
هل هو حقيقة أم خرافة ؟ ومتى عرف ؟

(المعرفة) نعتقد أن القول بتناسخ الأرواح خرافة من غير شك ، إذ لم تؤيده العلوم
الوضعية ، كما لم تؤيده الكتب السماوية ؛ وإن كان البراهمة يدعون أنه ثابت في كتابهم المقدس
(فيداس) ؛ ولهذا تراهم يمتدنون به ، زاعمين أن روح الانسان تحل في إنسان آخر إن كان
سعيدا ، أو في حيوان إن كان شقياً ، وهذه الأرواح جميعاً على تمدد مظاهرها تندمج في
النهاية في الاله الأكبر (برهما) .

وقد وقفنا - في بعض كتب تاريخ الفلسفة - على رأى ينسب هذه العقيدة إلى قدماء
المصريين ، وقد يكون هذا الرأى صحيحاً ، خصوصاً بعد أن أيدته الاكتشافات
الأثرية الحديثة .

هل تعرف جنسية الجنين ؟

(ريوحه . أرجنتين) شكر الله مسعود - هل يمكن معرفة الجنين وهو في بطن أمه ،
وتحديد ما إذا كان ذكراً أم أنثى ؟ لقد رأيت إحدى الطبيبات تحكم بذلك في منتصف شهر
الحمل ، فما رأيكم ؟

(المعرفة) رأينا أن هذه دجالة وليست طليبة ؛ لأن العلم الحديث لم يستطع - حتى الآن -
معرفة ذلك ؛ فأنى لهذه المدعية بمعرفة ما تدعيه ؟

من هو هوميروس ؟

(القدس . فلسطين) علي حسن الطيب - في المحاضرة الأخيرة التي ألقاها الدكتور طه
حسين ، ونشرت بجريدة « السياسة » ، وردت عبارة عن الشعر اليوناني وهوميروس ،
أشعر القارئ بوجود هوميروس هذا ؛ فهل كان موجوداً حقيقة ؟ ومتى ؟

(المعرفة) كما تصدى الدكتور طه حسين لانكار وجود « مجنون ليلي » وأكثر شعراء المملكات
ومم قبل مجنون ليلي كما تعلم - ؛ كذلك تصدى كثيرون من كتاب النقد الأدبي الانجليزي
لانكار وجود هوميروس ، فزعموا أنه شخص خيالي لا أثر لوجوده مطلقاً ، وأن كل
ما ذكر عنه يدخل في باب الأساطير :

والرأى القديم يرى أنه وجد في المدة التي تقع بين عام ١٢٠٠ وعام ٨٥٠ قبل الميلاد؛ وكما اختلفوا في تحديد المدة التي وجد فيها، اختلفوا أيضاً في القرية التي نشأ منها أو ولد بها؛ وكل ما نعرفه عنه أنه كان شاعراً كفيف البصر، وأن من آثاره (الإلياذة) وقد عرّبها البستاني، و (الأودسا) ولم تقف لها على ترجمة.

هل ترجع اللغات إلى أصل واحد؟

(صالح جبر - غربية) على محمود الدريني — هل ترجع اللغات إلى أصل واحد؟ هذا رأى بعض علماء الفرنجة فهل هو صحيح؟ وإذا كان صحيحاً فما هو الأصل الذي ترجع إليه؟ (المعرفة) لعلماء اللغات وفقهها آراء في ذلك الموضوع غاية في التناقض؛ والرأى الشائع هو إرجاعها إلى أصل واحد؛ ذلك لأنهم قسموها إلى أقسام عدة، كل قسم منها يرجع إلى قسم آخر، لما بينهما من علاقات ومشايات وقرابة في أشياء كثيرة أخصها المفردات، ثم يجمعون هذه الأقسام إلى طوائف، كطائفة السامية مثلاً، فإنها تضم: العربية، والعبرانية، والسريانية، والكلدانية. وطائفة الآرية وهذه تضم: السنسكريتية، والأوردية، ولغات الهند جيماً، وبعض اللغات الأوربية.

أما الأصل الذي اشتقت منه أو ترجع إليه، فذلك ما نحيل الجواب عنه على شيخ العروبة أحمد زكي باشا؛ فقد يكون لديه من المعلومات ما يتيح لك تحقيق سؤالك هذا.

انتظروا قريباً كتاب

الفكر والعالم

مجموعة أبحاث في الأدب والاجتماع، مزينة بقصة تمثيلية «نحو النور»

يصدر في منتصف يناير

تأليف

الدكتور إبراهيم المصري

فهرس

الجزء التاسع من السنة الثانية

صفحة	
١٠٢٩	آراء عامة في الشعر والشعراء
١٠٣١	» » » » »
١٠٣٣	» » » » »
١٠٣٤	» » » » »
١٠٣٨	» » » » »
١٠٤٤	شباب الشيطنة أو شيطنة الشباب
١٠٥٢	أدب الاسكافي وأسلوبه اللاذع
١٠٥٧	التربية في الأسرة
١٠٦٢	التصوف في الشرق والغرب
١٠٦٩	مصر في نظر عالم ألماني
١٠٧٣	مملكة الحيوة في أيامها الأخيرة
١٠٧٩	هردر الألماني
١٠٨٣	أهمية المعركة في التاريخ
١٠٨٨	إبراهيم باشا معلم المدرسة
١٠٩٣	اليابان ونظمها التعليمية
١٠٩٨	قوة الحيوية في الشعب المصري
١١٠١	ذكريات من إيطاليا
١١٠٥	نظرية الكوائيم
١١١٢	عشائر البدو الرحل
١١١٧	في كتاب ابن الرومي
١١٢١	مارستانات مصر
١١٢٥	الروح وماهيتها
١١٢٩	المزارعون العارفون بالصناعات كلها
١١٣٣	حول مقال الدكتور طه حسين
١١٣٧	التقافة بين الشرق والغرب (قصيدة)
١١٣٩	أبواب الجحيم
	للأستاذ إبراهيم المازني
	للأستاذ محمد المراوي
	للأستاذ أنطون بك الجليل
	للدكتور محمد حسين هيكل بك
	للأستاذ علي الجارم
	للأستاذ أحمد زكي باشا
	للدكتور أحمد فريد رفاعي
	للأستاذ أحمد العمروسي بك
	للسيد محمد الغنيمي التفتازاني
	للأستاذ هرمان جرابو
	للأستاذ يوسف بك غنيمه
	للدكتور علي مظهر
	للأستاذ علي حسن عبد القادر
	للأستاذ نقولا شكري
	للدكتور سيدرامس مسعود
	للأستاذ أحمد محمد فهمي
	للأستاذ زكي محمد حسن
	للأستاذ محمد محمد السيد
	للدكتور خالد بك الخطيب
	للأستاذ مصطفى جواد
	للدكتور أحمد بك عيسى
	للسيد محمد الحريري
	للكاتب الانجليزي روبرنسن
	للأستاذ محمد خورشيد
	للأستاذ أمين فهمي أحمد